

# الحادي في شعر العربي

في سوريا ولبنان وفلسطين

الدكتور جهاد فيض الإسلام

## معاونة التحقيق

فيض الاسلام، جهاد، ١٣٩٣	سرشنه: عنوان و نام پدیدآور
القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان و فلسطين» ١٩٤٨ - ٢٠٠٠ م / جهاد فيض الاسلام	مشخصات نشر: قم، مركز بين الملل ترجمة و نشر المعرفة ١٤٣٣ / ١٣٩١
مشخصات ظاهري شابك: ٩٧٨-٩٦٤-١٩٥٦-٢	مشخصات ظاهري شابك: ٩٥٢
وضعيت فهرستنوس فيما يادداشت عرب	وضعيت فهرستنوس فيما يادداشت عرب
شعر عربي - قرن ٢٠م - تاريخ و نقد	موضوع: شعر عرب
بيت المقدس - شعر	موضوع: شعر عرب
PJA ١٣٩١ ناق ٩ ٢٢٨٥	ردبندی کنگره ردبندی دیبورن
شعارات كتابشاسن مل ٢٦٤٠٥٩٤	شعارات كتابشاسن مل ٢٦٤٠٥٩٤

### الإهداء

إلى الذين تضرّجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج: فلسطين  
 إلى شهداء المقاومة في جنوب لبنان الخالدين  
 إلى روح الإمام الخميني المنادي بتحرير القدس  
 إلى السيد القائد الخامنئي  
 إلى السيد حسن نصر الله  
 إلى كل المناضلين والمقاومين  
 إلى الجمهورية الإسلامية في إيران حكومة وشعباً  
 إلى أمي وإلى أبي رحمه الله  
 إلى زوجتي وأولادي لما تحملوه في هذا الطريق الشاق  
 إلى كل من علمني حرفاً وإلى كل من أخذ بيدي نحو الصواب أهدي هذا  
 العمل المتواضع.

القدس في الشعر العربي الحديث  
في سوريا ولبنان وفلسطين  
«١٩٤٨ - ٢٠٠٠ م»

الدكتور جهاد فيض الإسلام



مركز لاصحافى العالمى  
للترجمة والنشر

القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين «١٩٤٨-٢٠٠٠م»  
المؤلف: الدكتور جهاد فيض الإسلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٣ هـ / ١٣٩١ م

الناشر: مركز المصطفى للترجمة والنشر

• المطبعة: توحيد • السعر: ٦٨٠٠ ريال • عدد النسخ: ٢٠٠٠

### حقوق الطبع محفوظة للناشر.

- قم، ساحة الشهداء، شارع عالم الغرب (شارع المحطة)، رقاق ١٨ هـ / ٧٣٩٤٦ +٩٨ ٠٣١ ٧٣٩٤٦
- قم، شارع محمد الأدين، تقلع سالزية هـ / ٣٣٣١٦ +٩٨ ٠٣١ ٢١٣٣١٤٦
- طهران، شارع تقليد، بين شارع الوصال وشارع الشيراز، الرقم ١٠٠٣ هـ / ٦٦٩٧٨٩٢ +٩٨ ٠٢١ ٦٦٩٧٨٩٢
- إصفهان، شارع مسجد السيد، مقابل الوصول إلى شارع آية الله زاهد +٩٨ ٠٣٣ ٥٧٥٤
- مشهد العقدة، شارع الإمام الرضا (عليه السلام)، شارع داش الشرقي، بين فرعون (١٥ و١٧) هـ / ٨٥١٣٠٥٩ +٩٨ ٥١١ ٨٥١٣٠٥٩

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطبع والنشر حتى مرحلة الأخيرة.

- الإعداد الفني: سراجط كلبيش
- الإشراف الفني: السيد مهدي عمادي
- مفهوم النص: سد الله عبد الله
- مصمم الغلاف: مسعود المهدوي
- المشرف على الاتجاه: حمفر قاسمي
- المدققة الفنية: جواد حاج حسين
- المشرف على الطباعة: نعمت الله اليزدانی
- المقاللة الفنية: هادی عبدالمالکی

## كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَاهٍ﴾ والصلة والسلام على النبي الأمين محمد ﷺ وآلـهـ الـهـدـاـةـ المـهـدـيـينـ وـعـرـتـهـ المـتـجـبـيـنـ والـلـعـنـ الدـانـمـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ أـعـدـاءـ الدـيـنـ.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعة عشر قرناً على طيلة تاريخها العلمي المشرف مستوىً من التغير المستمر في الحركة إلى الأمام على صعيد الثقافة والحضارة الإسلامية فأوجـدـ تـطـوـرـاًـ مـنـهـجـاًـ فـيـ الـعـلـومـ الرـئـيـسـةـ المـخـصـصـةـ بـالـشـرـيعـةـ كـ:ـ الـفـقـهـ الـإـسـلـامـيـ وـعـلـمـ الـكـلـامـ وـالـفـلـسـفـةـ وـالـأـخـلـاقـ..ـ وـتـبـعـاـ لـهـذـاـ الجـانـبـ تـرـكـ التـطـوـرـ اـنـطـبـاعـاـ مـواـزـيـاـ بـيـنـاـ فـيـ الـعـلـومـ الـأـدـوـاتـيـةـ كـ:ـ الـمـنـطـقـ وـعـلـمـ الـرـجـالـ وـالـحـقـوقـ....ـ.

وفي ضوء انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية المعظمة وحدثها الداعي إلى رؤية دينية حديثة في نطاق الحكم بغضون القرن الداعي إلى الانفلات من ظل الدين والأيديولوجية الدينية وما يعرض في مسرح أحدهاته من تطور في مسار نظريات العلاقات الدولية أو تصاعد الأسئلة المعرفية المتعلقة بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغلة لذهن الإنسان الحاضر وكذلك

ما حصل من توسيع لدى علم الوجود الإنساني في ظل الأحداث والمتغيرات المعنية بهذا الجانب؛ جعلت المفکر الإسلامي في أعلى مستوى من المسؤولية أكثر مما سلف، خاصة في الدول الإسلامية التي باتت في محاولة ضرورية لمواجهة الشعارات الخاوية في عصر العولمة في ضوء التدقيق والملاحظة والنقد البناء لاجتياح أي فقرة يخشى أن تسبب مشكلات في مقبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلب الصعيد الحوزوي والجامعي التير ضرورة الوقوف على آخر المستجدات الفكرية في حقولها المتعددة والاستعانة بضروب من التحقيق العلمي الرصين بمعايير عالمية حية لتوظُّف في نطاق الدين والشريعة للإجابة على المتطلبات العصرية والمنطلق الداعي إلى التكامل والتعالي في ظل الدين والتزام نظامه في العلم والحياة من جهة أخرى حيث يتطلب الأمر من الحوزة العلمية مسؤولية وضع حد لردع الجانب العلمي وتبعاته المنحطة على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤية التصدِّي لهذا الأمر في عنابة من مؤسسي الحوزة العلمية، هذه الشجرة الطيبة التي «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعَاهَا فِي السَّمَاءِ»، بينما الإمام الخميني رض الراحل والقائد المبجل الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله الوارف في الوقت الراهن.

وقد سعت جامعة المصطفى رس العالمية في ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى رس العالمي للترجمة والنشر حيث تكفل بنشر نتاج هذا الجانب العلمي الهام.

وإن هذه الدراسة «القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين» جاءت بجهود فضيلة الأستاذ الدكتور جهاد فيض الإسلام متوافقة مع نسق الرؤية السائدة المتبعة وهذه الأهداف السامية.



كلمة الناشر ٧

كما ندعوا أصحاب الفضيلة والاختصاص بما لديهم من آراء بناءة  
وخبرات علمية ومنهجية حصرية بالمساهمة معنا والمشاركة في نشر علوم  
أهل البيت عليهم السلام.

وختاماً ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّة المساهمين الكرام  
بجهودهم الخاصة بإعداد الكتاب للطباعة والنشر.

مركز المصطفى عليه السلام العالمي للترجمة والنشر

## شكر وتقدير

الحمد والشكر لله - أولاً وأخيراً، الذي سدَّد خطاي في طريق رحلتي الطويل  
وحقق لي النجاح والتوفيق.

ثم أنقدم بالشكر الجليل إلى كل من قدم لي العون والمساعدة لمواصلة  
دراستي في إيران وسوريا لاسيما أستاذِي الفاضل الدكتور خليل الموسى  
الذي أشرف على رسالتي في سوريا.

كما أسجل بفخر عظيم امتناني وشكري لجامعة دمشق وكذلك جامعة  
المصطفى العالمية وإلى كل من أسهم معي في إنجاز هذا البحث من أساتذة  
وزملاء وأصدقاء وأخص بالذكر السيد هاشميان.

## الفهرس

١٥	المقدمة
١٦	أهداف البحث ومسوّغاته
١٧	الدراسات السابقة
١٩	المنهج وخطة العمل
٢٣	تمهيد
٢٣	القدس الشامخة
٢٣	١. الخصائص الجغرافية
٢٤	٢. القدس - أسماؤها ونحوتها
٢٥	٣. أصالة القدس العربية والإسلامية
٢٧	٤. القدس في الإسلام ومكانها عند المسلمين
٣٠	القدس في عصور ما قبل الإسلام
٣٠	١. القدس في العصر الكنعاني
٣١	٢. القدس في عصر التوحيد
٣٢	٣. القدس في العصر البابلي
٣٢	٤. القدس في العصر الفارسي (الساساني)
٣٢	٥. القدس في العصر اليوناني
٣٣	٦. القدس في العصر الروماني

القدس في عصر الحضارة الإسلامية .....	٣٤
١. القدس في العصر النبوي .....	٣٤
٢. القدس في العصر الإسلامي الأول .....	٣٤
٣. القدس في العصر الإسلامي الثاني .....	٣٥
٤. القدس في العصر الأيوبي .....	٣٦
٥. القدس في عصر المماليك .....	٣٨
٦. القدس في العصر العثماني .....	٣٨
أيام لها صدى .....	٣٩
القدس في العصر الحديث .....	٤١
١. القدس والصهيونية العالمية .....	٤١
٢. القدس والمقاومة العربية - الإسلامية .....	٤٤
٣. لمحات من تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الأدبي والسياسي في العصر الحديث .....	٤٨
<b>الباب الأول: دواعي شعر القدس واتجاهاته</b>	
<b>تمهيد</b> .....	<b>٥٥</b>
١. شعر القدس، الدواعي والاتجاهات العربية .....	٥٧
٢. إيقاظ الوجدان القومي .....	٥٧
٣. القدس وخطاب الأربعينيات .....	٦٠
٤. خطاب الخمسينيات .....	٦٢
٥. السبعينيات ونكسة حزيران .....	٦٤
٦. خطاب السبعينيات .....	٦٧
٧. القدس في الثمانينيات .....	٧٠
٨. القدس في التسعينيات .....	٧٣
٩. القدس في عام ٢٠٠٠ .....	٧٨
١٠. الحنين إلى القدس .....	٨٢
١١. القدس وآه الأربعينيات .....	٨٣
١٢. القدس في حنين الخمسينيات .....	٨٤
١٣. حنين السبعينيات .....	٨٥
١٤. القدس وحنين السبعينيات .....	٨٨
١٥. حنين الثمانينيات .....	٩٢

٦. حنين التسعينيات.....	٩٤
استمرار الصماoir العربية .....	٩٦
١. الصماoir العربية في خطاب الأربعينيات .....	٩٧
٢. الضمير العربي في الخمسينيات .....	٩٩
٣. خطاب الصماoir في السبعينيات .....	١٠٠
٤. الضمير العربي في الثمانينيات .....	١٠٢
٥. خطاب الصماoir في التسعينيات .....	١٠٣
٦. التسعينيات وخطاب الصماoir العربية .....	١٠٤
إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق .....	١٠٦
١. القدس وماضي العرب في الأربعينيات .....	١٠٦
٢. القدس في الخمسينيات والستينيات .....	١٠٧
٣. السبعينيات والذكر بالماضي .....	١٠٨
٤. عبر الماضي في الثمانينيات .....	١٠٩
٥. الإشادة بالأمجاد في التسعينيات .....	١١١
الشجاعة وحجارة الغضب .....	١١٣
١. انتفاضة الشانينيات وحجر الغضب .....	١١٤
٢. الشجاعة وحجارة الغضب في التسعينيات .....	١١٦
٣. عام ٢٠٠٠ م وحجر الغضب .....	١١٧
القدس ودور الشباب العربي والمسلم .....	١١٨
القدس وشباب الشانينيات .....	١١٩
القدس والمرأة العربية والمسلمة .....	١٢٠
١. المرأة في التسعينيات .....	١٢١
٢. الشانينيات ودور المرأة .....	١٢٢
٢. الدواعي والاتجاهات الإسلامية .....	١٢٥
مدخل .....	١٢٥
القدس واليقظة الإسلامية .....	١٢٧
ملامح البقعة الإسلامية في القدس .....	١٢٨
القدس والوحدة الإسلامية .....	١٣٦
القدس - الثورة والجهاد .....	١٣٨
القدس - الصمود والمقاومة .....	١٤٧

القدس - الشهادة والشهيد.....	١٥٣
بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل.....	١٦٢
٣. الدواعي والاتجاهات السياسية.....	١٦٥
القدس والضمير السياسي .....	١٦٥
القدس والوحدة العربية والإسلامية.....	١٧٥
القدس وقضية السلام.....	١٨٠
القدس والانتفاضة المقدسة.....	١٩٠
<b>الباب الثاني: صورة القدس الجمالية</b>	
١. الصورة الشعرية في شعر القدس.....	٢٠١
وقفة مع الصورة.....	٢٠١
١. مفهوم الصورة الشعرية.....	٢٠١
٢. الصورة الشعرية في النقد الحديث.....	٢٠٣
المؤثرات في صور القدس في الشعر .....	٢٠٦
١. المؤثرات القرآنية.....	٢٠٦
٢. المؤثرات التاريخية والتراثية.....	٢١٢
الصورة الوظيفية في شعر القدس .....	٢١٨
١. توظيف العاطفة.....	٢١٨
٢. توظيف الحياة اليومية.....	٢٢٢
٣. توظيف الخيال .....	٢٢٨
بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل.....	٢٣٢
٤. اللغة والأساليب في شعر القدس.....	٢٣٣
اللغة الشعرية.....	٢٣٣
١. الألفاظ والمفردات.....	٢٣٣
٢. التراكيب وأساليبها.....	٢٣٥
(أ) التكرار.....	٢٣٥
ب) الاستفهام.....	٢٤٣
ج) النفي .....	٢٤٥
د) التداء .....	٢٤٨
الأساليب.....	٢٥١

١. الأسلوب الخطابي.....	٢٥١
٢. الأسلوب التعبيري.....	٢٥٤
٣. الأسلوب الرمزي والأسطوري.....	٢٥٧
٤. شعر الفعلة.....	٢٦١
٥. القدس والشعر المثور.....	٢٦٥
موسيقى شعر القدس.....	٢٦٨
٦. الموسيقى الخارجية.....	٢٦٩
أ) الوزن .....	٢٦٩
ب) القافية.....	٢٧٢
٧. الموسيقى الداخلية.....	٢٧٤
أ) الإيقاع.....	٢٧٤
ب) التصريح.....	٢٧٦
ج) التكرار.....	٢٧٦
د) الجناس والطابق.....	٢٧٨
بعض نتائج ما توصل إليه البحث في هذا الفصل.....	٢٧٩
٨. فنون وخصائص شعر القدس.....	٢٨١
القدس والفنون الشعرية .....	٢٨١
٩. الشعر الغنائي .....	٢٨١
١٠. القدس في الشعر القصصي والدرامي .....	٢٨٤
١١. القدس والشعر الملحمي.....	٢٩٠
خصائص وسمات شعر القدس.....	٢٩٥
١٢. الخطائية المفرطة وال مباشرة.....	٢٩٥
١٣. البساطة والوضوح.....	٢٩٨
١٤. روح العقيدة والالتزام والمقاومة.....	٣٠٠
بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل .....	٣٠١
١٥. شعراً محور البحث.....	٣٠٣
١٦. خاتمة البحث .....	٣٢٧
١٧. شهادة.....	٣٣٥
١٨. فهرس المصادر والمراجع .....	٣٤٣

## ١٤ القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين

أولاً: المصادر والمراجع الدينية والمقدسة.....	٣٤٣
ثانياً: المصادر والمراجع العامة.....	٣٤٣
ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصة.....	٣٤٤
رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعرية.....	٣٤٧
خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعية.....	٣٥١
سادساً: الكتب المترجمة.....	٣٥١
سابعاً: الكتب الأجنبية.....	٣٥٢
ثامناً: الدوريات.....	٣٥٢

## المقدمة

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ من العدم إلى الوجودِ حمدَ الشاكرينَ، والصلوةُ والسلامُ على نبيِّ الأمينِ محمدٍ<sup>صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وآلِه الطاهرينِ وأصحابِه المنتجبينَ وعلى جميعِ الأنبياءِ والمرسلينَ وبعدَ.

ربما لا نجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميرَا حياً وهو لا يفكِّر بقضية القدس وفلسطين ولا يهتم بها، إذ أصبحت القدس وفلسطين في العقود الأخيرة حديث الساعة وهاجس القلب، ولذا سالت الأقلام وفاضت القرائح وكتبَت العشرات بل المئات من الكتب بشَّتِّ اللغات، وامتلأت المكتبات بالعديد منها، تعالج القدس وما حلَّ بها من جراح. ولكن حين تتصفحها نرى أن جلَّها تعرضت لقضية القدس إنما تاريخياً أو سياسياً أو دينياً، أما من الناحية الشعرية والأدبية فما زالت تفتقر إلى العناية الأدبية ولاسيما في المجال الشعري، لأن الشعر قد تحول إلى صوت من أقوى الأصوات المكافحة، بل إلى سلاح يدافع به المظلوم عن كرامته وعن أرضه، ومن هذا المنطلق كان للشعر موقفاً مشرقاًً منذ النواة الأولى للاحتلال الصهيوني للقدس إلى الآن، ففاضت قرائح الشعراء قصائد وألفت عشرات الدواوين التي كانت وما زالت المرأة الصادقة التي

تعكس القضية بسجلها الضخم أحداثاً ومشاعر، مأساة ولهفة، نعم هي القدس، هي أرض الجراح وبرك الدم الحمراء، هي...، ربما بات الحديث عن القدس وفلسطين شرعاً ونثراً حديثاً مكرراً، ولكن مادام الخطب جسيماً والخطر عظيماً، ومادام الظلم والعدوان مستمراً، فالمسؤولية ما تزال على عاتق الجميع قولهً وفعلاً، أما ما يخصنا نحن في إيران ولاسيما جيل الشباب فإننا لم نعرفحقيقة فلسطين وشعبها المظلوم إلا بعد انتصار الثورة الإسلامية؛ إذ أصبحت القدس من أهم أمورنا ليلاً ونهاراً، ولهذا فكرت - وأنا أتابع الدراسات العليا ومن منطلق إحساس بالمسؤولية باعتباري إنساناً يحمل الشعور الإنساني والإسلامي معاً، إضافة إلى ندرة الأبحاث حول أدب القدس - باختيار هذا الموضوع، أي: «القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين من عام ١٩٤٨ - ٢٠٠٠» وشعرت بارتياح تام عندما وافق القسم في كلية الآداب على هذا الاختيار حيث ستكون لي مشاركة ولو بهذا المقدار المتواضع جداً.

### **أهداف البحث ومسوغاته**

لاشك أن هناك أهدافاً مهمة تحت على اختيار بحث أدبي يتناول موضوعاً أدبياً ممتازاً، فمن بواعث اختياري لموضوع القدس الأمور التالية:

١. ندرة الأبحاث بل جدة الموضوع لاسيما في القطر السوري واللبناني والفلسطيني.

٢. حيوية هذا الموضوع لدى الشعوب العربية والإسلامية حيث تعيش الأمة العربية الإسلامية برمتها هذه المأساة الأليمة وتشاهد احتلال القدس.
٣. إحياء هذا التراث الشعري العظيم وجعله في متناول أيدي محبيه ومستقايه من الجيل الجديد لاسيما المخطوط منه لأنني وجدت الشعر السوري واللبناني والفلسطيني جديراً بالدراسة والعناية من جميع النواحي.

٤. محاولة تحريض ودفع الشعر إلى خدمة القدس الشريف وذلك من خلال الاعتناء بجهود شعراء القدس وتعريفهم إلى المجتمع العربي والإسلامي.
  ٥. تبيين الدواعي والاتجاهات التي سلكها شعراء القدس في العصر الحديث والتطورات الفكرية والفنية الموجودة في هذا المجال ومقارنتها مع غيرها.
  ٦. تبيين الناحية الكمية والكيفية وأساليب وخصائص شعر القدس.
  ٧. دراسة أثر الشعر في قضية القدس وأثر القدس على الشعر.
- أما الأسباب التي دعتني لحصر بحثي ضمن هذه البقعة المكانية (سورية، لبنان، فلسطين) وال فترة الزمانية (١٩٤٨ - ٢٠٠٠م) فهي:
- أولاً: أنها المدة التي شهدت الصراع الدامي واحتلال القدس، أي منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن.
- ثانياً: تفحر بر كان شعر القدس كمّاً وكيفاً في هذه البقعة وفي هذه الفترة بالذات ثم انتشر إلى البلدان الأخرى.
- ثالثاً: الأقطار المذكورة هي الخط الأمامي لقضية القدس ورأس الحربة لمواجهة الاحتلال الصهيوني وهذا ما جعل الشعر هنا يختلف عن غيره.

### الدراسات السابقة

على الرغم من اهتمام الدارسين بالأدب والشعر الفلسطيني في العالمين العربي والإسلامي، لم أجد أحداً استوفى في دراسته هذا الموضوع مالخلا دراسات عامة تعرضت للأدب الفلسطيني، وقد أجاد بعضهم في كتابتها إلا أنها مررت على قضية القدس مرور الكرام ذكر منها: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية للدكتور عبد الجليل المهدى، الذي درس فيه أدب بيت المقدس بصورة عامة أيام الحروب الصليبية من سنة ٤٩٢ إلى سنة ٦٤٢هـ وبين صدى تلك الفترة في الأدب العربي من شعر وقصة ومسرحية ورسائل، وأما كتاب القدس

الشريف بين شعراً الشعوب الإسلامية لحسين محيب المصري فعرض فيه المؤلف نماذج من شعر القدس باللغات: العربية والفارسية والأردية والتركية، ويلاحظ عليه أنه لم يكتب بالشعر العربي ولا يختص بالشعر في الأقطار المذكورة ويظهر أنه أراد أن يبين أهمية القدس لدى الشعوب الإسلامية.

وأنا كتاب الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين للدكتور عبد الرحمن الكيالي والاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني للدكتور كامل السوافيري والمحاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن» للدكتور ناصر الدين الأسد، وحياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة للدكتور عبد الرحمن الباغي وكتابه أيضاً دراسات في شعر الأرض المحتلة وغيرها من الدراسات المشابهة لها فمع أن مؤلفيها بذلوا جهداً جباراً في دراسة قضية فلسطين، إلا أن جميع هذه الدراسات لم تتناول شعر القدس في الزمان والمكان اللذين اختص بهما بحثي فهي خارجة إما زماناً أو مكاناً وإما كمّاً أو كيفاً، وبعبارة أخرى خارجة إما تخصيصاً وإما تخصصاً.

ومن هنا كان الموضوع جديداً في تناوله لهذا البحث. وقد اعتمدت في مصادر البحث على ما يلي:

١. دواوين الشعر المتوفرة في المكتبات.

٢. الاتصال بالشعراء.

٣. الرسائل الجامعية المخطوطية والمطبوعة منها.

٤. المجالات والصحف.

٥. كتب التاريخ.

لذلك توافرت لدى مادة غزيرة في أثناء عملية الجمع للنصوص الشعرية، وقد واجهت الدراسة صعوبات عدّة أهمّها: أولاً: كثرة الدواوين الشعرية وبعثرة النصوص التي ترتبط بالقدس.

ثانياً: صعوبة فهم اللغة العربية للأجانب ولاسيما الشعر منها.  
 ثالثاً: حداثة الموضوع والنصوص المختصة به.  
 آمل أن تروي محاولتي المتواضعة ظلماً طلاب شعر القدس ومستاقيه، أو  
 تلفت أنظار الأساتذة لهذا الموضوع الجديد إن شاء الله تعالى.

### المنهج وخطة العمل

وقد اعتمدت في دراستي لشعر القدس منهج المقارنة التاريخية والمنهج التحليلي اللذين يبيّنان أثر الأحداث التاريخية في شعر القدس وأثر القدس في تلك الأحداث؛ لأننا إذا أمعنا النظر في الموضوع وجدنا هناك واقعين أساسيين يسيران جنباً إلى جنب: واقعاً ظاهراً وبازياً يجري فيه الصراع الإسلامي العربي - الصهيوني؛ وواقعاً فكرياً وأدبياً تبلور على السنة الأدباء والشعراء لاسيما في سوريا ولبنان وفلسطين، ومحور هذين الواقعين هو القدس الشريف. فعلى هذا الأساس حاولنا تحليل النصوص الشعرية وقراءتها وتبيين اتجاهاتها ودواعيها المختلفة، وما هي التطورات الشعرية والفكرية التي حملها شعر القدس، وكيف حاول الشعراء الملزمون تسريب القضية إلى الجيل الحديث وتغذيتهم بروح الحماسة والمقاومة من أجل تحريرها.

وأما محور البحث فهو نصوص شعر القدس فقط في سوريا ولبنان وفلسطين في الفترة ما بين (١٩٤٨ - ٢٠٠٠م)، فتناولت كل شاعر له دور ملموس في مسيرة شعر القدس بغض النظر عن انتقامه الفكري والإيديولوجي والسياسي، ثم عمدت إلى ما طبع من دواوين ومحاترات شعرية، فعكفت على قراءة المؤلفات وكتب الدراسات الفنية والأدبية التي لها صلة بالموضوع، وقد وزّعت مادة دراستي إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة، ففي المقدمة تناولت سبب اختياري لهذا الموضوع والأهداف التي قصدتها

والخطة التي اتبعتها في البحث، وفي التمهيد تحدثت عن لمحات من تاريخ القدس وفلسطين منذ عام ١٩٤٨م حتى نكبة (١٩٤٨) وأيضاً بَيَّنت مكانة وأهمية القدس عند العرب والمسلمين والمسحيين.

وقد خصصت الباب الأول بحصر دواعي شعر القدس واتجاهاته

الرئيسية وهي:

الدوعي والاتجاهات العربية

الدوعي والاتجاهات الإسلامية.

الدوعي والاتجاهات السياسية.

ثم فصلت تلك الدوعي والاتجاهات في ثلاثة فصول، تناول الحديث في الفصل الأول منها الدوعي والاتجاهات العربية وأبرز المحاور التي سلكها شعراء القدس وحاولوا من خلالها معالجة القضية، فوجدت أن شعر القدس في هذا الاتجاه تحدث عن استمرار الضماير وإيقاظ الوجدان والشجاعة ودور الشباب ودور المرأة وحنين المبعدين ومن استفاق إلى القدس، وقد كثُر منادوا رواد هذا الاتجاه بتحرير القدس، حاثين الأمة على النضال والمقاومة والجهاد ضد الاحتلال الصهيوني للقدس الشريف وذلك تحت شعار القومية العربية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الدوعي والاتجاهات الإسلامية وأثرها على القدس وأثر القدس على روادها، فأهم المحاور التي خاضها شعراء هذا الاتجاه مابين عامي (١٩٤٨ - ٢٠٠٠م) هي: الشهادة والشهيد، الصمود والمقاومة، اليقظة الإسلامية، الثورة والجهاد، الوحدة الإسلامية، فحاول الشعراء إرجاع المسلمين إلى قيمهم ومعتقداتهم والتمسك بها؛ لأن القدس هي قبلتهم الأولى وهم أولى بتحريرها من غيرهم مهما اختلفت لغاتهم وتعددت طوائفهم؛ ذلك لأن الإسلام يجمع الكل تحت لوائه.

وفي الفصل الثالث تناول الحديث الدواعي والاتجاهات السياسية، فاستمد رواد هذا الاتجاه مادة شعرهم من أهم الحوادث السياسية والوطنية لحربيك المكان فأصبحت القدس رمزاً للمقاومة الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، فطرق الشعراء محور الضمير السياسي محاولين توجيه العالم بأسره لما تعانبه القدس من وطأة الاحتلال وتوعية المسلمين خاصة، وأيضاً كان للافتاقة قضية السلام نصيب كبير في هذا الاتجاه.

أما الباب الثاني من البحث فهو يتحدث عن صورة القدس الشعرية والجمالية في سوريا ولبنان وفلسطين من خلال فصول ثلاثة أيضاً: ففي الفصل الأول تناول البحث مفهوم الصورة الشعرية والمؤثرات التي لها دور كبير في صورة القدس أمثل المؤثرات القرآنية والتاريخية وما لها من أثر على قضية القدس، ثم تكلمت في آخر هذا الفصل عن التوظيف ودوره في صياغة صور القدس الشعرية.

وانصرف الفصل الثاني إلى اللغة والأساليب في شعر القدس وتركز البحث على الألفاظ والمفردات والترakinib والتكرار والاستفهام والنفي والنداء والأسلوب الخطابي والأسلوب التعبيري والرمز والأسطورة وشعر التفعيلة وشعر الشر وموسيقى شعر القدس، وغير ذلك من الأمور المهمة التي أعطت شعر القدس الجمالية والطراوة والأثر اللازم والبالغ.

وأفردت الفصل الثالث والأخير للحديث عن الفنون والخصائص والسمات لشعر القدس، فتطرق البحث للشعر الغنائي ونصيب القدس فيه، إذ كان أبرز رواده الشاعر عبد الرحيم محمود والشاعر هارون هاشم رشيد وكذلك عمر أبو ريشة فغنّى هؤلاء لتكون القدس حيّة على طول التاريخ.

أما الشعر القصصي والدرامي، فكان له الأثر المشهود في القدس، وفي المقابل كان للقدس أثر يليغ فيه أيضاً، ولعل أول من طرقه الشاعر برهان

الدين العبوسي وفدوى طوقان، حيث حكت الأخيرة قصة المحتلين لمدينة القدس العذراء وليلها الداجي.

وفي نهاية هذا الفصل تناول البحث خصائص وسمات شعر القدس أمثل الخطابية المفردة ولاسيما في بداية الاحتلال، والبساطة والوضوح وروح العقيدة والالتزام والمقاومة حيث ثبت لنا في هذا المجال أن الشاعر نزار قباني، وهارون هاشم رشيد، ودرويش، وطوقان، والبحيري كان لهم الدور الأكبر. وأخيراً خصّصت الخاتمة لايجاز ماتوصل إليه البحث وسرد بعض نتائجه.

ويعد:

فقد بذلك كل ما بوسعي وحاوّلت بأقصى جهدي أن أقترب نحو الواقع، وأماماً ما وقعت فيه من نواقص وعيوب فذلك يعود لي وحدي، والذي كان يواسيني وبرر لي عملي محاولي الدؤوبة لإنجاز هذا البحث، فإن وفقت فالفضل والشكر لله سبحانه، وإن تراجعت فيكفي أني جاهدت. وإنما اعتراني من مشاكل وعراقل فكان معلّمي فيه على الله تعالى، إنه بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين.

## تمهيد

### القدس الشامخة

#### ١. الخصائص الجغرافية

تقع القدس على خط العرض على خط العرض على خط العرض ٣١.٥٢ شمالاً وخط الطول ٣٥.١٣ شرقاً غرينتش، وتمتد وسط فلسطين الواقعة في غرب آسيا، وهي جزء من الوطن العربي والإسلامي، تتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتصل ما بين البحر الأبيض المتوسط الموصل بالمحيط الأطلطي والبحر الأحمر وجزء من المحيط الهندي. ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريا، ومن الجنوب صحراء سيناء وخليج العقبة. وتمتاز فلسطين بما فيها القدس الشريف بموقع جغرافي على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها تتصل بأوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، كما ترتبط بأفريقيا عبر البحر الأحمر، ثم تتصل بالطرق البحرية بآسيا. ومكانتها هذه جعلتها بمنزلة مركز حيوي وجسر للسيطرة على السواحل البحرية، وأيضاً فهي تشكل قاعدة انطلاق للمستعمرين المستكثرين لأهدافهم التوسيعية في الشرق الأوسط لاسيما في سوريا ولبنان والأردن ومصر،

وكذلك تعتبر فلسطين بوابة أوروبا على العالم العربي الإسلامي وبالعكس، وتضاعفت أهميتها بعد اكتشاف حقول النفط في الشرق الأوسط إضافة إلى اعتدال مناخها، وعدوتها هوانها، وخصوصية أراضيها، وكثرة خيراتها، كما يدل على هذا كلام ياقوت حين سئل: أي بلد أجمل؟ قال: المقدس، قيل: فأيهما أطيب؟ قال المقدس، قيل: فأيهما أفضل؟ قال: المقدس، قيل: فأيهما أكبر؟ قال: المقدس، قيل: فأيهما أحسن؟ قال: المقدس، قيل فأيهما أكثر خيرات؟ قال: المقدس<sup>١</sup>. ولذا جعلت منها هذه الخصائص هدفاً مستمراً للغازيين والطامعين فكانت مطمع الأنظار في مختلف العصور والأمسكار، فصبت الويلاط والحروب عليها واحدة بعد الأخرى. وما يشهده العالم من صراع مرير على القدس وفلسطين ما هو إلا استمرار لتلك المطامع والمخاطبات الاستعمارية والاستكبارية المبرمجة المتمثلة بالكيان الصهيوني الغاصب.

## ٢. القدس – أسماؤها ونوعتها

للقدس عدة أسماء سميت بها تبعاً للألم والشعوب التي استوطنتها وسكتتها على مر الدور وفي مختلف العصور، وربما لا تجد مدينة اكتسبت من الأسماء ما اكتسبه القدس.

ومن هذه الأسماء: يبوس<sup>٢</sup> نسبة إلى اليوسين<sup>٣</sup>، ولعله أقدم اسم للقدس الشريف. ومن أسمائها شلم<sup>٤</sup> أي: مدينة السلام، سميت بهذا الاسم من قبل الكعنانيين ولذا قالوا إنها كعنانية الأصل. وأطلق عليها بنو إسرائيل عام

١. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥ / ١٦٧.

٢. خسر و شاهي، تاريخ بيت المقدس: ص ٧.

٣. اليوسيون: هم يطعنون من بطون العرب الأوائل نزحوا من شبه الجزيرة العربية حوالي عام (٣٠٠٠ق.م)، المصدر: ص ٨.

٤. مجير الدين الحنبلي، الإبس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ص ٧٠.

(٤٩ق.م) اسم أورشليم<sup>١</sup> وهو اسم مشتق من أور - سالم، وعليه فهي ليست عبرية، وأطلق عليها المكابيون حوالي عام (١٣٩ق.م) اسم يرسليما. وسمها الرومان حوالي عام (٦٣ق.م) هيروسليما وسوسيموس<sup>٢</sup> وإيلاء<sup>٣</sup>. وظلت تُدعى بهذا الاسم حتى الفتح الإسلامي. وسمها الأتراك القدس الشريف. وسمها القرآن الكريم القرية<sup>٤</sup>، والزيتون<sup>٥</sup>، والمسجد الأقصى<sup>٦</sup>، والأرض المقدسة<sup>٧</sup>، ومن أسمائها أيضاً بيت إيل، أي: بيت الله. وإيليا كابيتوليا<sup>٨</sup>، وظلت القدس تدعى إيليا لفترة ست سنوات بعد الفتح الإسلامي.

«The First Six hundred years names in early islam the full name of Jerusalem Was «Iliyaa» madint bayt al makdis».<sup>٩</sup>

### ٣. أصالة القدس العربية والإسلامية

تؤكد الدلائل التاريخية المسلمة لدى عامة المؤرخين قديماً وحديثاً من العرب وغيرهم أن صلة العرب بالقدس وفلسطين لم تبدأ بالإسلام والفتح الإسلامي وإنما هي مدينة عربية المنشأ، فقد سكن البيوسيون القدس منذ أقدم العصور ولعله من العصر الحجري ما بين عام (٧٠٠٠ - ٥٠٠٠ق.م)<sup>١٠</sup> وهم قبيلة تتفرع من الكلتعانيين، والكلتعانيون فرع من الساميين وهم أقدم الأمم من بعد نوح وأعظمهم

١. موحد خوئي، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص ١١.

٢. المصدر: ص ١٥.

٣. الإنسان الجليل: ١/٦٩، وكذلك فضائل بيت المقدس لمحمود إبراهيم: ص ٤٥٠.

٤. الأعراف: ١٦ و ١٦٠؛ وكذلك البقرة: ٢٥٩.

٥. الزيتون: ١.

٦. الإسراء: ١.

٧. المائدـة: ٢٣.

٨. كامل جميل العسلـي، القدس في التاريخ: ص ١٠٥.

9. abar O. Encyclopaed in of islam Vol. 5. Leiden, 1989, p.322.

١٠. موحد خوئي، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص ١٧.

قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض<sup>١</sup>، وقد بنت مدينة القدس على يد مليكا صادق، ملك البيوسين وظلت تسمى أرض كنعان إلى يومنا هذا. وقيل إن الذي بناها هو آدم عليه شم سام ابن نوح شم مليكا صادق.<sup>٢</sup>

ولقد أثبتت النسابون والمؤرخون، أصالة هذه القبائل العربية وأنها عربية صرفة كما ذكر في تاريخه محمد بن جرير الطبرى: «عمليق: أبو العمالق، كلهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق وعمان والحجاز والشام ومصر ومنهم كانت الجابرة بالشام الذين يقال لهم الكتعانيون»<sup>٣</sup>. ووصفهم ابن خلدون قريباً من هذا<sup>٤</sup>. وقال القلقشندي: «إن القدس من أعمال بلاد الشام»<sup>٥</sup>. فإذا كانت الشام من بلاد العرب والإسلام، كانت القدس عربية إسلامية بالضرورة. ومن المحالات أن تكون القدس التي هي جزء من الوطن العربي والإسلامي، دولة عربية وغير عربية وإسلامية، كما لا نشاهد اليوم وسط أمريكا وأوروبا أي دولة عربية، ولكن وكما أسلفنا ذكره بأن فلسطين بحكم موقعها الجغرافي كانت مسرحاً لكثير من الحروب الطاحنة بين الغزاة وأهلها، وظلت القدس طوال الزمان كتعانية عربية إسلامية صفة وسيادة، والاحتلال الأجنبي لم يؤثر فيها، فقد قاوم عرب فلسطين من مسلمين وغيرهم هذا الاحتلال وحافظوا على أصالة القدس العربية والإسلامية في أرض آبائهم وأجدادهم أصحابها الشرعيين منذ عام (٣٠٠٠ ق.م) وحتى الآن. وما يسعى إليه الاستعمار البريطاني الصهيون - أمريكي جنباً إلى جنب في طريق محور عروبة فلسطين وإسلاميتها بعد هذا التطوير والتعقيد لإقامة دولة لقيطة

١. ابن خلدون، العبر وديوان المبدأ والخبر: ١ / ٢٧.

٢. مجير الدين الحبلي، الإبس الجليل: ١ / ٧١.

٣. تاريخ الرسل والملوك: ١ / ٢٠٣.

٤. العبر وديوان المبدأ والخبر: ١ / ٢٧.

٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤ / ٧٢.

لإسرائيل لم يُجْدِ شيئاً، واتضحت للصغار والكبار كل هذه المخططات والمؤامرات الاستعمارية، إذ ليس في الوجود الإنساني قضية تستند إلى الأباطيل والتخطيبات مثلما استندت إليها الصهيونية في مزاعمها تجاه فلسطين والقدس الشريف، ولذا نرى أبناءها ثابروا على المجاهدة والمقاومة والمطالبة بحقوقهم المغصوبة وأرضهم المحتلة، وظللت القدس عربية إسلامية عريقة إلى يومنا هذا.

#### ٤. القدس في الإسلام ومكانتها عند المسلمين

القدس مدينة نشأت بإرادة سماوية ربانية<sup>١</sup>. فهي من أقدس المدن الدينية والإسلامية، فقد شرفها الله تعالى بالإسراء إذ عرج أشرف الخلق منها إلى السماء<sup>٢</sup>. ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة أشار المفسرون إلى أنها تخص القدس. ومن تلك الآيات ما جاء في سورة: (الإسراء، ١٥) و(المائدة، ٢٣) و(البقرة، ٢٥٩) و(المؤمنون، ٥١) و(الأعراف، ١٦٠) و(التين، ١) و(الحديد، ١٣) و(النازعات، ١٤). نعم إن الله تعالى قدّس هذه المدينة المباركة<sup>٣</sup>، وأية الإسراء تفيد بأنه علاوة على قدسيّة الأقصى فإن ما حوله وأطرافه أيضاً تمتاز بالبركة والأفضلية على سواها ظاهراً وباطناً<sup>٤</sup>. أما بالنسبة إلى الأحاديث الشريفة التي تؤكد مكانة القدس في الإسلام على اختلاف درجاتها فهي

١. ورد عن النبي ﷺ: أنه سئل أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال السائل: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قال: كم ينتما؟ قال: أربعون سنة. سئل أَحْمَد: ١٥٠ / ٥.

٢. الإسراء: ١.

٣. روى ياقوت عن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنه الأنبياء، ياقوت، معجم البلدان: ١٦٧ / ٥.

٤. ناصر مكارم شيرازي، تفسير الأمثل: ٢٥٧ / ٨.

كثيرة جداً، فقد ورد في كتب فضائل القدس<sup>١</sup> عشرات الأحاديث نقلها الفريقيان الشيعة وأهل السنة، وإليك نماذج منها:

ذكر في كتاب (الأنس الجليل) نقاًلاً عن مقاتل بن سليمان يقول: ما فيه - أي: القدس - شبر إلا وقد صلى عليه النبي مرسلاً أو قام عليه ملك، وتاب الله على داود وسلمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس، وبشر زكريا يحيى في بيت المقدس، وأوتت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف، ولولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد صبياً في بيت المقدس، ورفعه الله إلى السماء وينزل إلى الأرض بيت المقدس، ونزلت عليه المائدة بيت المقدس وأعطى الله البراق للنبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه فحمله إلى بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام بيت المقدس، وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة بأرض بيت المقدس، وتوضع الموازين يوم القيمة بيت المقدس، وسنخ إسرافيل في الصور بيت المقدس، ومن سرّه أن يمشي في روضة من رياض الجنة فليمش في صخرة بيت المقدس، وأيد الله عيسى عليه السلام بروح القدس، وآتى الله يحيى الحكم صبياً في بيت المقدس. وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، قال: فنزل بي جرانيل فقال: صل، فصلت، فقال: تدري أين صللت؟ قلت: لا، قال: صلبت بطور سيناء حيث كلام الله موسى تتكلّماً، ثم ركبت فمضينا ماشاء الله ثم قال لي: إنزل فصل فنزلت وصلت، فقال لي: تدري أين صللت؟ قلت: لا، قال: صللت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم، ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى

١. ااطلعت على أكثر من عشرين كتاباً كتب في فضائل القدس، منها: روضة الأنـس في فضائل القدس لكتابه عارف شريف، وفضائل بـيت المقدس لنـسـس الدين محمد الكجي، وفضائل مـكـة والمـدـيـنـة وبيـت المـقـدـس لأـحمدـ بنـ مـحـمـدـ، وروـضـةـ الـأـوـلـيـاءـ فيـ مـسـجـدـ إـبـلـيـاءـ لمـحـمـدـ بنـ مـحـمـدـ الشـافـعـيـ، وـالـفـتـحـ الـقـسـيـ فيـ الـفـتـحـ الـقـدـسـيـ لـلـعـمـادـ الـأـصـفـهـانـيـ، وـإـنـحـافـ الـإـحـصـاءـ بـفـضـائـلـ مـسـجـدـ الـأـقـصـيـ، لـنـسـسـ الدـيـنـ الـمـهـاجـيـ السـيـوطـيـ ..

بيت المقدس<sup>١</sup>. وعن ابن عباس أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس»<sup>٢</sup>. وعن حفص بن عمرو نقل أنه من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة<sup>٣</sup>. وقد تعددت الأقوال في أول من بنى بيت المقدس، فروى بعض العلماء أن أول من بناء الملائكة بأمر من الله تعالى، ويقال إن الذي بناه إسراويل. وقد روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: قلت: يا رسول الله: أي مسجد وضع على الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنة<sup>٤</sup>. وذكر أن سام بن نوح هو الذي اخترط مدينة القدس وأسس مسجدها وكان ملكاً عليها<sup>٥</sup>. إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرت في كتب المؤرخين، ويستفاد منها أن بناء المسجد الأقصى كان بأمر إلهي وبوحي منه كما هو الحال في بناء المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ولهذا كانت له قدسيته الخاصة عند الديانات السماوية الثلاث.

وأما بداية العلاقة الوثيقة بين الإسلام والقدس فمنذ حادث الإسراء، إذ أصبح الإيمان بهذه المعجزة الكبرى جزءاً من العقائد الإسلامية الراسخة، لذكرها في القرآن. ولا سيما أن القدس حين وجبت الصلاة على المسلمين كانت قبلتهم الأولى إلى أن جاء الأمر الإلهي بالتوجه نحو الكعبة.

وقد زحف المسلمون لتحرير القدس بأمر من الخليفة الأول وقتاحت على يد الخليفة الثاني دون قتال عام (٦٣٨م)، وببدأ السيادة على القدس

١. السيد محمد حسين الطاطاني، تفسير العزيزان: ٨١/١٣. وكذلك أنظر: ثرى تاريخ القدس والخليل: ٣٦٠/١ و ٣٦١.

٢. مجبر الدين الحنبلي، الأسس الجليل: ٣٦٠/١.

٣. الطبرى، تفسير الطبرى: ١٥/٤ و ٥.

٤. مجبر الدين الحنبلي، الأسس الجليل: ٧٠/١.

٥. المصدر: ٧١/١.

وأصبحت مظهراً من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية، ولؤلؤة يترنّ بها كل مسلم أينما وجده. واتجهت الأنظار لها وخفقت القلوب بحثها وهانت التضحيات لها والجهاد في سبيلها. ومع هذه المكانة السامية للقدس عند المسلمين فإنهم يعترفون ويحترمون مكانتها عند الآخرين من أبناء الديانات الأخرى نتيجة اعتراف الإسلام بوحدة الأديان السماوية والربانية.

## القدس في عصور ما قبل الإسلام

### ١. القدس في العصر الكنعاني

قبل الخوض في هذا الموضوع رأيت من الضروري أن أتوء إلى نكتة مهمة وهي أنه لم يكن القصد من كتابة هذا التمهيد أن أضمن الموضوع الأصلي وهو «القدس في الشعر العربي الحديث» بحثاً تاريخياً لممارسات الاحتلال الصهيوني، أو ذكر الأبعاد السياسية لقضية القدس، وإنما القصد أن أعطي فكرة موجزة ومحضرة جداً عما مر على القدس الشريف طوال العصور الماضية المليئة بالأحداث والأزمات، ليكون هذا توطنة للدخول في موضوعنا الأساسي.

وأما القدس في العصر الكنعاني، فقد بدأت أولى الهجرات البشرية وأكبر

الموجات المهمة التي خرجت من شبه الجزيرة العربية ما بين (٤ - ٣) آلاف سنة قبل الميلاد، وهي هجرة القبائل الكنعانية السامية العربية، واستوطنت فلسطين والتي عرفت بأرض كنعان، وبقيت لهم السيادة التامة عليها إلى نحو (١٠٠٠) عام ق.م)، وأول من سكن القدس أحد بطون هذه القبائل العربية والتي كانت تحمل اسم البيوسين الذين أنشأوا الكثير من المدن ووضعوا اللبنة الأولى لمدينة القدس، وحافظ عليها أولئك وطوروها كعاصمة لهم وما لبث أن كونتواقعة وأصبحت لهم حضارة واشتهرت بالزراعة والصناعة كزراعة العنب والزيتون، وصناعة الأسلحة والثياب. كما عرفوا أنواعاً عديدة من المعادن منها النحاس

والبرونز وعرفت حضارتهم بالحضارة الكنعانية، وحملت القدس في هذا العصر اسم يوس نسبي لليوسيين وهي أقدم بلد في التاريخ عرفه العالم.<sup>١</sup> في عام (١٨٤ق.م) دخل الفلسطينيون إلى أرض كنعان وامتنعوا بالسكان الأصليين وأصبحت أرض كنعان بعد ذلك تعرف باسمها الحالي «فلسطين».

## ٢. القدس في عصر التوحيد

لعل فلسطين بما فيها القدس الشريف أقدم بقاع الأرض التي عرفت التوحيد والدعوة إلى وحدانية المولى عز وجل بعد ما هاجر إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليهما السلام قادماً من بلدة أور العراقية إلى الشام حوالي عام (١٨٠٠ق.م) ومعه زوجته سارة ولوط ابن أخيه لنشر التوحيد الإلهي كما ذكر القرآن الكريم<sup>٢</sup>. وفي فلسطين أنجب إبراهيم إسحاق والد يعقوب الذي كان يلقب بإسرائيل أيضاً كما يقال وإليه ينسب الإسرائيليون. وأقام يعقوب في أرض كنعان، أما إبراهيم فهاجر إلى مصر فدخلها أيام حكم العمالق، وفي عهد رمسيس الثاني - فرعون مصر - وبعد أربعين سنة وثلاثين عاماً من دخول يعقوب مصر، قرر موسى عليهما السلام الخروج يعني إسرائيل إلى أرض كنعان، وقد وقعت خلال طي المسافة ما بين مصر وفلسطين حوادث كبيرة، منها أن موسى عليهما السلام عندما غاب عن قومه أربعين يوماً ليأتي بالألواح، عاد قومه مرة أخرى لعبادة الأصنام<sup>٣</sup>. وبسبب هذا العصيان فقد تاهوا في الصحراء أربعين عاماً، وبعد ما توفى موسى عليهما السلام خلفه يوشع فعبر نهر الأردن بتلك القبائل العبرانية<sup>٤</sup> إلى فلسطين

١. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ١/٣٦٠.

٢. آل عمران: ٨٧.

٣. طه: ٩٨ و ٩٩ كذلك البقرة: ٥١.

٤. لم تكن العبرانية صفة لإبراهيم عليهما السلام كما ادعى الصهاينة وإنما كانت خطأ من عدة قبائل بدوية منها العبر والخمير، انظر كتاب القدس ماضيها... حاضرها... مستقبلها لكتابه فهد جابر: ص ١٧.

حوالي عام (١١٨٦ق.م) ولم يسعطوا أن يحتلوا أرض كنعان ولم يدخلوا القدس، وبعد ذلك استطاع داود ملك إسرائيل قبل ألف سنة من الميلاد أن يجعل القدس عاصمة لملكه ما بين عام (٩٧٣ - ١٠١٣ق.م) عندما انتصر على جالوت وجندوه دعاء الشرك والوثنية ودامت حكومته أربعين عاماً فقط وتوفي ودفن في القدس.

### ٣. القدس في العصر البابلي

زحف نبوخذ نصر البابلي نحو القدس عام (٥٩٧ق.م) فاحتلها وأخذ ملكها ومعظم جيشه وقادته أسرى إلى بابل في العراق بعد ما غير نظام الحكم في القدس، وعاد إليها ثانية بعدما تمرد بعض اليهود وأوقع هزيمته الكبرى بهم وسي أكتسح السكان إلى بابل وعرف هذا بالسي بابلي.  
وهكذا زالت دولة اليهود من فلسطين بعدما عاشت أربعة قرون فقط (١٠٠٠ - ٥٨٦ق.م).

### ٤. القدس في العصر الفارسي (الساساني)

انتصر كورش الهمخامنشي ملك الفرس آنذاك على البابليين عام (٥٣٩ق.م) وقد أخضع البلدان واحداً بعد الآخر ماضياً في فتوحاته حتى احتل القدس وأصبحت له السلطة عليها وألحقها بدولته طيلة قرنين، وقد أظهر كورش المداراة لكل القوميات والمذاهب والأديان، وأعاد بقايا اليهود من بابل إلى القدس عام (٥٣٨ق.م) واستمر الهدوء في القدس حتى نهاية حكم داريوش الثالث وببداية الاحتلال الإسكندرى عام (٣٣٢ق.م).

### ٥. القدس في العصر اليوناني

احتل الاسكندر المقدوني القدس عام (٣٣٢ق.م) عندما انسحب منها الفرس وتحولت أورشليم إلى مدينة يونانية وهرولت بقايا اليهود إلى اسكندر وعفى

عنهم وأمرهم أن ينخرطوا في جيشه<sup>١</sup>. ولما مات الاسكندر المقدوني عام (٣٢٣ق.م) اقتسم ملكه وكانت القدس من نصيب البطالسة وظلت القدس في عهد بطليموس، الملك اليوناني تعيش الفوضى والحرروب حتى عام (٩٠ق.م).

## ٦. القدس في العصر الروماني

بدأت السيطرة الرومية على القدس وفلسطين منذ حوالي عام (٦٣ق.م) حيث شنوا هجوماً كاسحاً على أرمينيا وآسيا وأفريقيا ثم سوريا والقدس بقيادة «يامبيوس»، ونصب «هيرودوس» ملكاً على الجليل والقدس وظل يحكمها حتى عام (٤م)، وفي زمانه ولد النبي عيسى عليه السلام في بيت لحم، وبعد ما بدأ المسيح عليه السلام بالتعليم والتعلم والإرشاد وشي به اليهود للحاكم الروماني واتهموه بالكفر وصلب<sup>٢</sup> بفتوى شورى اليهود، لكن المسيح عليه السلام بقي خالداً وأصبح له من الأتباع حلق كثير، وكانت النتيجة إبادة المحجة من قبل حكام الروم للسيد المسيح عليه السلام، وأخذوا يعاملون اليهود بقسوة بعد إصرارهم على الطغيان، فهاجم «تيبطس» ابن إمبراطور الروم أورشليم وقتل معظم السكان، ومن بقي من اليهود على قيد الحياة فر إلى خارج البلاد أو ذاب بين السكان العرب<sup>٣</sup>. وآخر محاولة في زمن الحاكم الروماني «هادريان» حينما طفى اليهود فقتل ما يقارب من (٥٨٠٠٠) نسمة منهم وأمر بإنشاء مدينة جديدة مكان القدس سماها «إيليا كابيتولينا» وحرم على اليهود سكناها. من الجدير بالذكر أنه في حوالي ثلاثة أيام بعد واقعة صلب المسيح عليه السلام اعتنق إمبراطور الروم قسطنطين الكبير (٣٠٦ - ٣٣٨م) الدين

١. عارف باشا العارف، التكبة: ١ / ٢٥.

٢. هذا حسب العقبدة المسيحية ولكن القرآن الكريم ينفي صلب المسيح عليه السلام إذ يقول:  
«... وَمَا قُتْلُوا وَمَا صُلِّيَّ وَلَكُنْ شَيْءٌ لَهُمْ...»، النساء: ١٥٧.

٣. الموسوعة الفلسطينية: ٢ / ١٩٦.

المسيحي وأعلن المسيحية في القدس وأصبحت مركزاً دينياً للمسيحية، وشيدوا فيها عدداً من الكنائس منها كنيسة المهد والقيامة، وفي عهد خسرو برويز الساساني الفارسي وقعت حرب ضارية بين الإمبراطورية الفارسية والرومية آنذاك، وذلك خلال السنوات (٦٠٤ - ٦٣٠ م) إذ انتصر الفارسيون على جيوش الروم، وصارت القدس بأيديهم، ولكن بعد وفاة خسرو برويز سقطت يد «هرقل» البيزنطي الروماني عام (٦٢٨ م).

## القدس في عصر الحضارة الإسلامية

### ١. القدس في العصر البوي

كان القدس الشريف القبلة الأولى لل المسلمين بعد بعثة النبي محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حتى السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية حيث كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يعيش في مكة المكرمة، وفي السنة الثانية من الهجرة النبوية وأمر الله صلوات الله عليه وآله وسلامه تحولت قبلة المسلمين إلى الكعبة في مكة المكرمة، وقد تطورت العلاقات بين القدس والإسلام منذ أسرى رسول الله محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه عام (٦٢١ م)، وحرص الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلامه على أن يحرر القدس من الاحتلال الروماني في غزوة مؤتة عام (٦٢٩ م) وغزوة تبوك (٦٣٠ م) ولكن لم يكن النصر حليف المسلمين.<sup>١</sup> وبعد رحلة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى الرفيق الأعلى عام (٦٣٤ - ٥١٣ هـ) وقعت معركة «أجنادين» وانتصر المسلمون فيها على الروم، وفي عام (٦٣٦ م) وقعت معركة «اليرموك» وانتصر المسلمون فيها أيضاً وانهزم الرومان هناك.

### ٢. القدس في العصر الإسلامي الأول

بعد أن انتصر المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، اشترط البطريرك

<sup>١</sup>. الطبرى، تاريخ الطبرى: ٣٦ / ٣ - ٤٠.

«صفرونيوس» - الحاكم الروماني - أن يتسلم الخليفة الثاني القدس بنفسه فبادر الخليفة عام (٦٣٦ م - ١٥١ هـ) إلى دخول مدينة القدس وصالح أهلها فكتب معهم «العهدة العمرية»<sup>١</sup> وقد عامل الخليفة أهل المدينة بلطف ولين ورأفة ومنذ ذلك الحين اتخذت المدينة طابعها الإسلامي وغيّر اسم المدينة من إيلاء إلى بيت المقدس باعتباره القبلة الأولى للمسلمين وحظيت القدس باهتمام المؤلفات العربية والإسلامية إلى يومنا هذا، وخضعت القدس إلى حكم معاوية وضمها إلى دمشق مركز خلافته، واهتم بها الأمويون خلال الأعوام (٦٦١ - ٧٥٠ م) ومن أهم الآثار الإسلامية في العهد الأموي بناء مسجد الصخرة على يد عبد الملك بن مروان، وحرّص العباسيون على القدس من بعدهم، وشهدت القدس في فترة (٧٠٩ - ١٠٧٩ م) عدم استقرار سياسي بسبب الصراعات والنزاعات العسكرية والسياسية التي نشبت بين العباسيين، والفاطميين، والقراطمة، وكانت النتيجة خضوع القدس الشريف لحكم السلجوقية عام (١٠٧١ م).<sup>٢</sup>

### ٣. القدس في العصر الإسلامي الثاني

في منتصف القرن الثالث الهجري أخذت الدولة الإسلامية بالضعف المستمر حتى تمزقت إلى ثلاث خلافات، الخلافة العباسية في الشرق، والخلافة الفاطمية في مصر والمغرب والشام، والخلافة الأموية في الأندلس، وفي تلك الظروف من الكساد والتشتت عاد الاحتلال الأجنبي لمدينة القدس بعد أن دعا البابا «أوربان الثاني» إلى ضرورة الحرب ضد المسلمين، وأدعى أنَّ كل من يشترك في الحروب الصليبية تغفر له ذنبه، وأصدر قراراً بأن يخيط كل

١. وثيقة صلح، انظر: الأنس الجليل: ١ / ٣٧٧ - ٣٨٠.

٢. سيد هادي خرسو شاهي، تاريخ بيت المقدس: ٢٠.

فارس صليبياً من القماش على ردامه الخارجي، ولذا عرفت تلك الحروب بالحروب الصليبية، لأنها اتخذت الصليب شعاراً لها.

احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) وارتکبوا مجازر دموية في ساحة المسجد الأقصى وقاموا بقتل الكبار والصغار، قدّرتها بعض المراجع التاريخية بأكثر من سبعين ألفاً. ويثبت هذا رسالة القائد الصليبي إلى البابا حين يقول: «إذا أردت أن تعرف كيف تم التعامل مع الأعداء الذين وقعوا بأيدينا في بيت المقدس، فاعلم أن جنودنا في معبد سليمان كانوا يخوضون في بحر من دم المسلمين وكان الدم يصل ركب الخيل»<sup>١</sup>. واستمر الحكم الصليبي إلى أكثر من مitti عام، وخلال هذه الفترة تداول المسلمون والصلبيون النصر والهزيمة في المعارك واحتلال المدن.

بدأت نقطة التحول الحقيقي في العالم العربي والإسلامي عام (١١٢١م) عندما ظهر عماد الدين زنكي الذي تولى مسؤولية توحيد المسلمين في العراق والشام وأخذ يحقق الانتصارات ضد المحتلين والغزاة. واستمرت جهود زنكي في توحيد الصفوف حتى قتل عام (١١٤٦م) وتولى بعده زمام الأمور ولده نور الدين محمود وحذا حذو أبيه محاولة منه لتحرير القدس الشريف.

#### ٤. القدس في العصر الأيوببي

بعد وفاة نور الدين محمود عام (١١٧٤م) أصبح صلاح الدين الأيوببي هو الوراث الحقيقي لآمال العرب والمسلمين وأخذ يعمل على توحيد الصفوف منادياً وقدساه وإسلاماه، وتركزت جهوده في معركة حطين عام (١١٨٧م) حيث كان النصر حليف المسلمين بعدما انهزم الغزاة، ثم فتحت المدن واحدة

١. المصدر: ص ٢٢.

٢. المصدر: ص ٢٢.

بعد الأخرى وتطلعت الأنظار إلى القدس الشريف فأعاد صلاح الدين عداته وبدأ بحصاره للقدس فكانت النتيجة تسلیم الغزاة، وهكذا عاد القدس إلى أهلها في الثاني من تشرين الأول عام (١١٨٧م) وبعدما أزال صلاح الدين كل ما علق بمقدساتها، واهتز العالم العربي والإسلامي طرباً وفرحاً بعودتها إلى الوطن العربي والإسلامي بعد تسعين عاماً، وبعد موت صلاح الدين الأيوبى أعقبته سلسلة الأيوبيين، وبعد حروب طاحنة ونشوب الخلافات فرط الكامل محمود في القدس إذ استجاب لملك ألمانيا «فدرريك الثاني» حينما عقد معه صلح يافا في ١٨ شباط (١٢٢٩م) وتقرر أن يأخذ الغزاة القدس، وهكذا استولى الفرنجة على بيت المقدس<sup>١</sup> وحلت بالعرب والمسلمين الطامة الكبرى والمصاب الجلل، الأمر الذي أثار غضب المسلمين فاشتد البكاء وعلا الصراخ وأقيمت المآتم، إذ ترك الاحتلال الصليبي أثراً بالغاً على العرب والمسلمين، وكان له صدىً كبير في البعد الأدبي حينما وقف الأدب والشعر العربي موقفاً قوياً وهذا ظاهر من كلام صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس حين خاطب فرسانه قائلاً: «الاتظروا إني فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل»<sup>٢</sup> والذي يفهم منه هو أن الأدب لم يكن غائباً عن أرض المعركة، بل حرص الضمائر الحية ضد المحتلين الغزاة كما نرى في قصيدة ابن الساعاتي مخاطباً صلاح الدين الأيوبى حين يقول:

قضيت فريضة الإسلام منها وصدقت الأماني والظنون؟  
تهزُّ معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنك مكة والحجونا  
قلب القدس مسرور ولولا سلطاك لكان مكتَّاحزيناً<sup>٣</sup>

١. المصدر: ص ٢٥.

٢. النجوم الزاهرة: ٢ / ١٥٧.

٣. ابن الساعاتي، الديوان: ٢ / ٤٠٧.

## ٥. القدس في عصر المماليك

بعد الأسرة الأيوبية سيطر المماليك على زمام الأمور لفترة ثلاثة قرون تقريباً بعدما انطلقوا من قاعدتهم في مصر وألحقوا الهزيمة بالغزاة في معركة عين جالوت عام (١٢٦٠م) ورجعت فلسطين إلى حضن العرب والمسلمين بما فيها القدس الشريف على يد الأشرف ابن «فلاوون» عام (١٢٩١م).

## ٦. القدس في العصر العثماني

دخل العثمانيون القدس بقيادة السلطان «سليم الأول» بعد معركة «مرج دابق» عام (١٤٦١م) وظلت القدس في إطار الإمبراطورية العثمانية لمدة أربعة قرون تقريباً وقام العثمانيون ببعض المشاريع كإعادة بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة ولم يطرأ على القدس تغير محسوس إلا إغماض بل إعطاء الامتياز للجانب الأوروبي والذي كان السبب لتدفق الأجانب نحو القدس، ووّقعت على ضوء تلك الامتيازات عدة معاهدات أمثل معاهدة «كارلوفيتز»<sup>١</sup> ومعاهدة «كوتوكيناوجي»<sup>٢</sup>. وحملت هذه المعاهدة عنوان المحافظة على الأماكن المقدسة ورعايتها، وكان لليهود دور كبير في كتابة هذه الامتيازات التي أصبحت خطيرة على القدس ونمط في ظلها المؤسسات اليهودية ولم تستطع الدولة العثمانية استدراك القضية بل كان التساهل والتسامح من العثمانيين أحد الأسباب الرئيسية لعودة التيار الصهيوني لاسماها في عهد سليمان القانوني إلى القدس وقد تضاعف عدد اليهود في القرن التاسع عشر، حتى صاق الحي اليهودي في القدس بسكانه وبنى أول ضاحية يهودية، خارج أسوار المدينة عام (١٨٦٠م) وتصاعد بناء الضواحي والمستوطنات الصهيونية حتى وصل إلى سبع ضواح أخرى، والتي كونت فيما بعد نواة مدينة القدس الجديدة

1. Karlowitz.

2. Kuchuk Kaainardji.

والتي أطلق عليها القدس الغربية. وتزامناً مع هذا التزايد اليهودي بدأ إحياء اللغة العبرية وكانت النتيجة تكوين الثقافة اليهودية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هذا إضافة إلى الامتيازات التي أعطتها منظمة الأمم المتحدة فيما بعد كما يذكر.

**Measures taken by israel in violation of the status of jerusalem and their condemnation by the united nations**

Since 1948 israel has taken three measures in violation of the legal status of jerusalem. These were:

1. the occupation and annexation of the city
2. the alteration of its demographic composition, and
3. the looting and confiscation of arab property.

It is obvious that these measures have aimed at the judaization of the government.<sup>1</sup>

### أيام لها صدى

في خاتمة موضوع تاريخ القدس السياسي والأدبي رأينا من المناسب أن ننوه إلى أهم الأحداث التي مرت بها القدس من عام (٣٠٠٠ق.م) إلى عام (٢٠٠٠ق.م) والتي كان لها الأثر البالغ في مصير القدس الشريف:

ففي عام (٣٠٠٠ق.م) هاجر الكتاعيون العرب من شبه الجزيرة إلى فلسطين.

وفي عام (١٨٠٠ق.م) هاجر إبراهيم ثانية من أور إلى فلسطين.

وفي عام (١٠٠٣ق.م) اتخذ داود ثانية القدس عاصمة له.

وفي عام (٧٢٢ق.م) سقطت القدس بيد الآشوريين.

وفي عام (٥٨٦ق.م) سقطت القدس بيد نبوخذ نصر البابلي.

وفي عام (٥٣٨ق.م) احتل كورش الهاخامنشي القدس.

وفي عام (٣٣٢ق.م) احتل الإسكندر المقدوني القدس.

وفي عام (٦٢ق.م) احتل الرومان القدس.

وفي عام (٣٧هـ) حكم هيرودس القدس، وولد عيسى.  
 وفي عام (٣٢٤هـ) أصبحت القدس تحت الاحتلال البيزنطي.  
 وفي عام (٦٢١هـ) أُسرى النبي محمد ﷺ إلى القدس.  
 وفي عام (٥٢هـ) صلَّى النبي ﷺ أول صلاته إلى القدس.  
 وفي عام (٦٢٨هـ) احتل هرقل البيزنطي القدس.  
 وفي عام (٦٢٩هـ) وقعت معركة مؤتة.  
 وفي عام (٦٣٠هـ) وقعت معركة تبوك ولم تُحرر القدس.  
 وفي عام (٦٣٤هـ) وقعت معركة أجنادين وانتصر المسلمين.  
 وفي عام (٦٣٦هـ) وقعت معركة اليرموك وانتصر المسلمين.  
 وفي عام (٦٣٨هـ) دخل المسلمون القدس وصالح الخليفة الثاني أهلها.  
 وفي عام (٤٩٣هـ) احتل الصليبيون القدس وارتکبوا المجازر.  
 وفي عام (١١٨٧هـ / ٥٨٣م) استردَّ صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين بعد معركة حطين.  
 وفي عام (١١٩٠هـ / ٥٨٦م) وقعت الحملة الصليبية الثالثة وسقطت القدس.  
 وفي عام (١٢٥٣هـ / ١٢٥١م) استولى المماليك على القدس.  
 وفي عام (١٢٩١هـ / ٦٩٠م) أنهى الأشرف بن قلاوون المملكة الصليبية من القدس.  
 وفي عام (١٨٣١هـ) استولى إبراهيم باشا على القدس.  
 وفي عام (١٨٥٤هـ) أقيم أول حي (مونتيورى) صهيوني في القدس.  
 وفي عام (١٩٢٠هـ) وضعت القدس تحت الانتداب البريطاني من أجل الصهيونية.  
 وفي عام (١٩٤٨م) اغتصبت الصهيونية العالمية فلسطين.  
 وفي عام (١٩٦٧م) احتل الصهاينة القدس وأحكموا سيطرتهم عليها.

وعلى فلسطين بعد نكسة حزيران وأخذوا يسمونها أورشليم.  
وفي عام (١٩٦٩م) أحرق الصهاينة المسجد الأقصى.  
وفي عام (١٩٧٣م) وقعت حرب أكتوبر.  
وفي عام (١٩٧٨م) وقع السادات مع مناحم بيجن اتفاقية السلام.  
وفي عام (١٩٨٠م) تم إعلان ضم القدس إلى دولة الاحتلال بشكل رسمي.  
وفي عام (١٩٨٢م) وقعت مذبحة صبرا وشاتلا.  
وفي عام (١٩٨٧م) وقعت الانتفاضة الأولى.  
وفي عام (١٩٩١م) عقد مؤتمر السلام في مدريد.  
وفي عام (١٩٩٣م) عقد مؤتمر أوسلو للسلام.  
وفي تاريخ (٢٠٠٠/٩/٢٨م) اشتعلت الانتفاضة الثانية في القدس.

## القدس في العصر الحديث

### ١. القدس والصهيونية العالمية

منذ حوالي عام (١٩٠٧م) سار الاستعمار البريطاني والمنظمات الصهيونية جنباً إلى جنب واتفقت كلمتهما على محو عروبة القدس وإسلاميتها وإبادة الشعب الفلسطيني لتحل محله عصابات وجماعات صهيونية تمهد الطريق لإقامة دولة أطلق عليها عثنا وزوراً اسم دولة إسرائيل. ولكن فلسطين لم تكن في حوزة بريطانيا وكانت لاتزال تشكل جزءاً من ولايتي دمشق وبيروت آنذاك في سلطة الدولة العثمانية. وما أن اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) ووقفت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا حتى شنت بريطانيا حملتها على فلسطين واستطاع الجنرال (إدموند) الوصول إلى القدس واحتلالها، وطوي ملف الدولة العثمانية وانتقلت إدارة القدس إلى الحكومة العسكرية البريطانية التي اتفقت سراً مع زعماء الصهاينة على منحهم وطنًا

قومياً لهم في أرض كنعان حسب قرار مؤتمرهم الأول<sup>١</sup> الذي عقد في سويسرا عام (١٨٩٧م) مقابل مساعدتها في الحرب. وكان هدف بريطانيا إقامة دولة للصهاينة في فلسطين لتشكل قاعدة للاستعمار في الوطن العربي والإسلامي، وإثر وعد بلفور الذي صدر في الثاني من تشرين الثاني (١٩١٧م) بدأت القضية الفلسطينية تتكون لتنسج أشباكها المهلكة والخطيرة على الشعب الفلسطيني والوطن الإسلامي، ذلك لأن هذا الوعد أفضى إلى قيام وطن قومي للصهاينة على أرض فلسطين العربية والإسلامية، وليس من الغريب أن تجد الشعراء يتحدثون عن هذا الوعد ومخاطره بل يرون دولة إسرائيل قائمة بصدور وعد بلفور، ولعل الشاعر اللبناني «وديع البستانى» الذي كان مقيناً في فلسطين هو أول من حذر من قيام إسرائيل في قصيدة التي نظمها في شهر تشرين الثاني من عام (١٩١٧م) والتي قال فيها:

من اليوم سرأ إن أردتم أو جهرا  
تريدونها جداً وأقولها  
فتحنا لكم صدرأ، مددنا لكم يداً  
عشرت طريق الهند من باب طارق  
فإن تحسبونا الجسر يبنيه عابر  
أرى هؤة تزداد عمقاً سحيفة  
أرى الوطن القومي يعلو بناؤه  
وذكرهم ذكرأ ولست مسيطرأ  
وهكذا دخل الشعر ميدان المعركة والنصال وأخذ يكشف للناس التوايا  
الاستعمارية للبريطانيين والصهاينة وينطلق معهم في الكفاح والجهاد كما نرى

١. مؤتمر بال وبرئاسة أحد زعماء الصهاينة (هيرتزل).

٢. وديع البستانى، ديوان الفلسطينيات: ص ٨٢.

في شعر رشيد سليم الخوري حينما يقول:

الحق منك ومن وعدك أكبر فاحسب حساب الحق يا متجر  
 تَعْدُ الْوَعْدَ وَتَنْقِضِي إِنْجَازَهَا مهج العباد، خسئتَ يا مستعمراً  
 لو كنتَ من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسناً يا «بلفر»  
 عَدْ مَنْ تَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ فَإِنَّمَا دُعْوَاهُ خَاسِرَةٌ وَوَعْدُكَ أَخْسَرٌ<sup>١</sup>

وفي هذا السياق أبيات الشاعر حسين زيد الكيلاني إذ يقول:

يا وعد بلفور يا شؤم الموعيد يا وصمة العار في أيامك السود  
 ما كان أساخاك فيما لست تملكه وما أشدهك إنجاز الموعود  
 ومن منطلق الخطة الصهيونية العالمية فتحت حكومة الانتداب البريطاني  
 الباب على مصراعيه للهجرة اليهودية، وتتدفق العصابات الصهيونية إلى  
 فلسطين من مختلف أنحاء العالم وارتفاع عدد الصهاينة في فلسطين وبلغ عام  
 (١٩٤٨) ٦٥٠ ألف نسمة. وارتفاع عدد الصهاينة في القدس من ١٠ آلاف  
 عام (١٩١٨) إلى ١٠٠ ألف عام (١٩٤٨). وتمكن الصهاينة - بمساعدة  
 الإمبريالية العالمية ولا سيما بريطانيا - من إنشاء قوات عسكرية عرفت بالهاغانأ  
 التي أصبحت جيش إسرائيل وسلحتها بأحدث أنواع الأسلحة وبلغ عددها  
 قبل نهاية الانتداب ٧٥ ألف مقاتل إضافة إلى عصابة الأرغون وشيتزن<sup>٢</sup>. ولما  
 اطمأن الاستكبار العالمي إلى نجاح المؤامرة وتفوق الصهاينة عسكرياً حان  
 وقت انتطاف الثمر وبدأت الصهيونية العالمية بمرحلة جديدة من مخططها

١. رشيد سليم الخوري (القروي)، ديوانه: ص ١١١.

٢. حسين زيد الكيلاني، أطياف وأغاريد: ص ٣٦.

٣. عصابة الأرغون وعصابة شيتزن كانت الوكالة اليهودية تستخدمنها للأجرائم السياسية  
 لتعلن بعد كل جريمة أن هذه العصابات خارجة من طاعتها ومسؤوليتها مثل ما حدث في  
 مذبحة دير ياسين<sup>٤</sup> على يد العصابة الصهيونية شيتزن.

الغادر وذلك بتقسيم الأرضي المحتلة عن طريق هيئة الأمم المتحدة، فقررت الأخيرة تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأكبر والأخصب تقام عليه دولة إسرائيل، ولم يجف حبر إعلان التقسيم الذي أُعلن عنه بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧م حتى أُعلن الرئيس الأمريكي آنذاك اعترافه بدولة إسرائيل، وهكذا تبلورت الدعوة الصهيونية بأنها خطة استعمارية معدة من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والمنظمة الصهيونية العالمية لتبادل خدمات المصالح المشتركة، كما يقول حاييم وايزمن: «لو لم تكن الحركة الصهيونية موجودة لكانت بريطانيا ستخلقها، لأن لها مصلحة بوجودها»<sup>١</sup>. وفي عام (١٩٦٤م) نشرت الولايات المتحدة بعض الوثائق السرية التي تعود إلى عام (١٩٤٣م) ومنها تقرير كتبه ممثلها - روزفلت - في الشرق الأوسط تلتزم المنظمة الصهيونية في فلسطين ببرنامج يقوم على إقامة دولة يهودية تشمل فلسطين والأردن<sup>٢</sup>. وكان من الممكن أن تظل جميع قرارات الصهاينة ومخططاتهم أمني وأحلاماً لو بقي اليهود وحدهم في المؤامرات ضد القدس وفلسطين، إلا أن تلك الأحلام والمخططات قد توحدت مع مصالح الاستعمار العالمي وخططه في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين بزعامة بريطانيا وظلت إسرائيل تخدم الاستعمار وهو يخدمها، وكل ما في الأمر إنما هي مصالح ومنافع مشتركة بين شياطين الأرض ومحاور الشر.

## ٢. القدس والمقاومة العربية – الإسلامية

اكتسب الكيان الصهيوني في فلسطين معظم مقومات المجتمع وسمات الدولة الحديثة في العقود الثلاثة للاتداب، ولم يكن قد بقي إلا إعلان الدولة

١. إميل توما، ستون عاماً على الحركة التحريرية العربية الفلسطينية: ص. ٣.

٢. المصدر: ١٩١٢.

اليهودية، وهو الأمر الذي بدأ بقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين (القرار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧م)، ثم إعلانه رسمياً من تل أبيب ١٤ أيار ١٩٤٨م). وخلال الفترة من ٢٩ تشرين الثاني (١٩٤٧) إلى ١٥ أيار (١٩٤٨م) (موعد خروج بريطانيا) لم يتضرر الصهاينة خروج المحتل وإنما بادروا إلى تروع الفلسطينيين والفتكت بهم، وفي المقابل وقف الفلسطينيون ضد هذا الاحتلال ولم يستسلموا لسياسة الاستعمار والعصابات الصهيونية وعملوا جاهدين على الدفاع عن الكيان والوطن واستمرروا في المقاومة ضد الاحتلال وما يضممه من نوايا خبيثة، فوقيع مجموعة من الثورات ضد المحتلين في بداية الأمر ثم الدفع والنضال العسكري. وحينما واجه الصهاينة مقاومة الشعب ارتكبوا جرائم بشعة مثل مذبحة دير ياسين وكفر قاسم وذلك في نيسان (١٩٤٨م)، ودخلت الجيوش العربية في الصراع من أجل الدفاع عن القدس وفلسطين. ولكن الصهاينة واجهوا العرب بدعم أوروبي وأمريكي بكمية هائلة من الطائرات والأسلحة التي أرسلت لهم، وتغير الموقف لصالح الصهاينة بعدما أصبحت تل أبيب تحت مرمى مدفع الجيوش العربية وبانت معالم النصر، وغمرت البهجة نفوس الشعوب العربية والإسلامية وكانت تُسحق تلك العصابات الصهيونية لو لا الدعم الأمريكي - الأوروبي ووقف الأمم المتحدة إلى جانب إسرائيل عندما قررت هدنة لمدة أربعة أسابيع، وتوقف القتال من صباح اليوم الحادي عشر من حزيران عام (١٩٤٨م) وأثبتت الواقع التي تلت عقد الهدنة أن العرب والمسلمين خسروا حرب فلسطين يوم قيلوا الهدنة الأولى، وأنها غيرت مجرى القتال وجعلته لصالح اليهود بعد أن كان يتجه لصالح العرب والمسلمين كما قال السوافيري<sup>١</sup>. ووقف شعاء العرب وقفة عنيفة وثارت ثائرتهم كما نرى

---

١. كامل السوافيري؛ *الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين*: ص ٣٩٠.

نرى في قصيدة محمد العدناني التي حملت اسم «انقضوا الهدنة»:  
 فهدنة كانت على الغرب نسمة أضاعوا بها ما شيدوا بالجماجم  
 ونال اليهود الجائعون مُناهم وباتوا كأن لم يخذلوا في الملاحمِ  
 لقد نكثوا عهداً ففازوا وأيسّروا وصاروا بفضل الختل مثل الضراغم<sup>١</sup>  
 ويقول أيضاً:

ألا يالىوتَ الغَرْبِ نَقْضًا لِهَدْنَةٍ كَنْفَضَ عَصَابَاتِ الْيَهُودِ الْجَوَارِمِ  
 أَلَا تَنْكَأُوا وَمَالَمَ مِنْ جُرْحِ قَلْبِنَا لَكِي تَخْبِرُوا مِنْ بَعْدِ فَعْلِ الْمَرَاهِمِ  
 وفي ٥ حزيران عام (١٩٦٧م) أشعلت إسرائيل فتيل الحرب بشنها هجوماً  
 مباغتاً على مطارات مصر وسوريا والأردن، واحتلالها للضفة الغربية لنهر  
 الأردن ومرتفعات الجولان في الحدود السورية وصحراء سيناء في مصر. وفي  
 السابع من حزيران عام (١٩٦٧م) سقطت القدس الغربية بيد الصهاينة وأطلق  
 الإسرائيليون القذائف على الحرم الشريف، وفي ٢٨ حزيران عام (١٩٦٧م)  
 ضمت إسرائيل القدس الشرقية لها أيضاً. وفي عام (١٩٦٨م) هجمت القوات  
 الإسرائيلية على مدينة الكرامة حيث كان يسكنها عدد من اللاجئين  
 الفلسطينيين ودارت معركة حامية وجهاً لوجه مع ٣٠٠ مقاتل فلسطيني، فوقع  
 عدد كبير من القتلى الصهاينة وعلى أثرها تراجع الجنود الصهاينة، ورسمت  
 هذه المقاومة الشعبية طريقاً للنصر ومنتَحتَ أوسع دعم شعبي وحكومي عربي  
 وإسلامي للشعب الفلسطيني، وفي عام (١٩٧٣م) تقدم الجيش المصري نحو  
 صحراء سيناء وتزامناً مع هذا الاندفاع أغارت الطائرات السورية على إسرائيل  
 وتم تحطيم عدد كبير من الطائرات الصهيونية في الأيام الأولى لحرب

١. ديوان النهيب: ٩٨ / ١.

٢. المصدر: ١٠١.

٣. كامل جميل العسلي، «القدس في التاريخ»: ص ٣٢٧ و ٣٢٨.

رمضان وقتل الآلاف من الجنود الصهاينة. وبالفعل تحطمـت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، ولكن الدعم الأمريكي والأوروبي لإسرائيل من جانب وعدم تقديم الدعم لمصر وسوريا من قبل العرب والمسلمين من جانب آخر، غير مجرى الحرب لصالح الصهاينة أيضاً، وفي أوائل نيسان عام (١٩٨٧م) عُقد في عمان مؤتمر القادة العرب وبنحو لا سابقة له إذ لم يتخذ المؤتمر أي موقف على صعيد النضال ضد الكيان الصهيوني. وبذلك فقد تبدّل آخر آمال الفلسطينيين الذين كانوا منذ سنوات يتظرون الأمة العربية والإسلامية أن تبادر لإنقاذهـم من محتفهم، وأخذـت فكرة الاعتماد على الذات والتحرك من الداخل والمقاومة الشعبية تترسخ وتنشر وبهذا تكونـت الأرضية لانطلاقـة جديدة من المواجهـة ضد الكيان الغاصـب وذلك في خريف ١٩٨٧م من قبل سكان الأرضـي المحتـلة تحت اسم المقاومة والانتفاضـة، وتعددـت أشكالـها بتغيـير الظروف الداخلية والعالمـية، وكان عمـاد هذه المقاومة والانتفاضـة الأطفال والشباب الذين استخدموـا «الحجـارة» ضدـ الدروع والمحـصـون والدبابـات. ولم يتـصور الكـيان الصـهيـوني وـمؤـيدـوهـ بأنـ الـانتـفـاضـة ستـمر وستـكون مؤـثـرة علىـ كـيانـ الـاحتـلالـ، ولـكـنـها استـمرـتـ وأنـهـكتـ قـوـاتـ اليـهـودـ مـادـياًـ وـمعـنـواـيـاًـ،ـ وـمـنـ ثـمـ أـذـعـتـ إـسـرـائـيلـ بـقـوـةـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـ بـحـيـثـ جـعـلـهـاـ تـفـعـلـ وـتـكـونـ مـسـتـعـدةـ لـلـتـفـاوـضـ لـأـنـهـ شـعـرـتـ بـخـطـورـةـ الـأـمـرـ فـأـخـذـتـ ذـلـكـ بـنـظرـ الـاعتـبارـ.ـ وـهـكـذـاـ أـخـذـتـ المـقاـومـةـ تـشـقـ طـرـيقـهـاـ إـلـىـ الـأـمـامـ،ـ وـبـطـيـعـةـ الـحـالـ فـقـدـ كانـ منـ شـأنـ هـذـهـ الـانتـفـاضـةـ أـنـ تـرـكـ أـثـرـاـ كـبـيرـاـ فـيـ صـفـحـاتـ التـابـاجـ الأـدـبـيـ وـلـاـ سـيـماـ فـيـ مـجـالـ الشـعـرـ،ـ ذـلـكـ لـأـنـ الـأـدـبـ أـسـرـ تـأـثـرـاـ بـالـمـعـطـىـ الـحـدـثـيـ<sup>١</sup>.ـ فـكـانـ النـتـيـجـةـ فـتـحـ بـابـ شـعـرـ المـقاـومـةـ الـذـيـ تـرـنـمـ بـهـ مـنـاتـ الشـعـراءـ فـيـ الـوـطـنـ الـعـربـيـ وـالـإـسـلامـيـ كـمـاـ نـرـاهـ فـيـ شـعـرـ الشـاعـرـ الـفـلـسـطـيـنـيـ سـمـيـعـ الـقـاسـمـ إـذـ يـقـولـ:

---

١. محمد توفيق الصواف، الـانتـفـاضـةـ فـيـ أـدـبـ الـوـطـنـ الـمـحـلـ: صـ ١٢.

ربما أخمد عرياناً وجائع  
يا عدوَ الشمس لكن لن أسأوم  
وإلى آخر نبض في عروقي سأقام.<sup>١</sup>

### ٣. لمحات من تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الأدبي والسياسي في العصر الحديث

يعد القرن الشامن عشر نهاية لفترة الجمود والركود الأدبي والاستبداد الاجتماعي، والسياسي، وذلك بعد ما بزغت معايير النهضة العربية في ربوع الشام، ولا سيما في سماء سوريا ولبنان وفلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت هذه الفترة الزمنية في الوقت نفسه قاسية على شعوب المنطقة إذ كانت مليئة بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية إذ فيها انهارت حكومات، واندلعت ثورات، وزالت نظم، وبرزت أزمات وانقلابات، أهمها سقوط الحكم العثماني من بلاد الشام، واشتعال الحربين العالميتين والانتداب البريطاني على فلسطين والصادمات التي حصلت بين العرب والأتراك من جهة، وبين العرب والغزاة من جهة أخرى، وقد تركت آثارها على نفوس الشعراء الذين تعاملوا معها فبدأت أصواتهم تذوّي في الآفاق والأنفس فكان الشعب يرددتها ويترنم بها صباحاً ومساءً. وفي هذا الحقل من الزمن ظهر الشعر العربي الحديث في سوريا على مسلكين وزنتين: أولهما<sup>٢</sup> جنحت لرصد أحداث الأمة وأحوال الوطن، وتجلت في الشعر الاجتماعي والقومي، والتزعة الأخرى آثرت الشعر الذاتي وتجلت في شعر الوجدان العاطفي. وقسم «سامي الدهان» مضمون الشعر الحديث في سوريا إلى ثلاثة أقسام

١. سبيع القاسم، الدبوران: ص ٤٧

٢. عمر الدقاد، تاريخ الأدب الحديث في سوريا: ص ٣٢١

هي: شعر الطبيعة، وشعر النضال، والشعر الاجتماعي والإنساني<sup>١</sup>، ولكن كما أشرنا آنفًا أن للشعر السوري نزاعاته وألوانه المتعددة إلا أن أقوى ألوانه هو اللون القومي والوطني.

فمعظم شعراً القطر السوري تجلّى عندهم الاتجاه القومي في العصر الحديث أمثال محمد البزم (١٨٨٧ - ١٩٥٥م)، وخليل مردم بك (١٨٩٥ - ١٩٥٩م)، وخير الدين الزركلي (١٨٩٣ - ١٩٧٦م)، وشفيق جبري (١٨٩٨ - ١٩٨٠م)، وبدوي الجبل (١٩٠٤ - ١٩٦١م)، وعمر أبو ريشة (١٩١٠ - ١٩٩٠م) إذ أخذت نفسه تغلي حين حلّت النكبة فقال:

أمتى، هل لك بين الأمم منبرٌ للسيف أو للقليل  
أنتفاكِ وطرفِي مُطْرِيقٌ خجلاً من أمسك المنصرِمِ  
الإسرايل تَغلُّ ورَايَةً في جمى المهدِ وظلَّ الحرَمَ!  
وكم نشاهد الشعر القومي عند خليل مردم بك إذ ينادي صارخاً بالأمة  
لإنقاذ فلسطين والقدس:

بني العروبة كم من صيحة ذهبت لو يُستثار بها الموتى إذن شاروا  
هتم على كلِّ شعبٍ من تخاذلكم شأن العبيد وباقٍ الناس أحرار  
إخوانكم في فلسطين تناهم بالسوء والعسف آثياب وأطفار  
مهد المسيح ومراجع النبي وأو لو يُستثار بها الموتى إذن شاروا  
وأمّا في لبنان فقد انصرف جُلَّ شعر انه نحو هموم وغيارات أخرى لأن  
الظاهرة الشعرية الحديثة في القطر اللبناني شأنها ك شأن البلاد الأخرى قد  
تفاعل مع ظروف عصرها واستجابت لها، لأنها مقيدة بحكم انتماها إلى

١. سامي الدهان، الشعر العربي الحديث في الإقليم السوري: ص ٩ - ٢٧.

٢. الديوان: ١ / ٤٧ - ٤٨.

بيتها وظروفها الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولذانرى الصيغة التربوية والثقافية تركت أثراً هاماً في الشعر اللبناني أكثر من غيرها في العصر الحديث. ولعلها ناتجة من التبادل بين الثقافتين والأديرين العربي - الإسلامي مع الشعوب الأخرى إذ وجد في لبنان الأبواب مفتوحة على مصراعيها، ولكن في الآونة الأخيرة ولا سيما بعد الاجتياح الصهيوني أخذ مضمون شعر النضال والمقاومة والشعر الحماسي يتغلب على غيره.

كما نشاهد في شعر عفيف النابليسي وهو يخاطب عشاق القدس إذ يقول:

يا عاشق القدس قم للقدس إن لها حقاً علينا أتى من سالف الزمن  
وخلص القدس والأقدس من نجس طهر المسجد الأقصى من الفتنة<sup>١</sup>  
وأما فلسطين فقد اشتهرت مع شقيقتها سوريا ولبنان وسار الشعر فيها  
الاتجاه نفسه إلى إبان الحرب العالمية الأولى، ولكن بعدما تبلور الخطر  
الصهيوني تغير موقف أبناء فلسطين بما فيهم الشعراء وأخذوا يتجهون إلى  
التعبير عن خطورة الموقف، وتنمية الشعب واستنهاضه وقد كان هذا أهم ما  
استولى على الإنتاج الشعري منذ عصر الانتداب، وحتى هذه اللحظة  
فإن الشعب الفلسطيني بعد نكبة الكبرى جند كل ما يملك من الوسائل  
خصوصاً الأدبية منها لمساعدة القدس وفلسطين التي هزّت المشاعر وأشارت  
العواطف وفتحت للشعر آفاقاً وأبواباً كانت مغلقة وأبدعت موضوعات لم  
توجد من قبل، فأصبح الشعر من أقوى أسلحة الدفاع وسخر الشعراء  
أفلامهم لحرق بنار كلماتها الغزارة وتقاوم المحتل الغاصب، وفي مختلف  
الظروف حيث نشاهد محمود درويش يرسل شعره الثوري وأصوات

١. عفيف النابليسي، نفحات عاملية: ص ٦.

أغالل السجن الصهيوني تمتزج مع صوته النضالي إذ يقول:

من آخر السجن، طارت كفُّ أشعاريِّ تشد أيديَكُمْ ريحًا على النار  
مذ جئتُ أدفع مهر الحرف، مالرتفعتُ غيرُ النجوم على أسلاك أسواريِّ  
وقد تمثلت في الحياة الشعرية الفلسطينية جميع الاتجاهات والتزعّات ولا  
سيما الاتجاه القومي والوطني والنضالي والحماسى وشارك شعراً الأرض  
المحتلة شعهم وأمتهم، بوعي وإدراك ووضوح هدف، وواكبوا الأحداث  
القائمة وصوروها في أحسن تصوير.

وفي الحقيقة منذ حلّت نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م) دخلت حياة العرب  
بل الأمة الإسلامية برمتها في إطار خاص وأصبح الشعر معبراً عن العصر  
وأحداثه وما ألمَّ بالأمة العربية والإسلامية من فواجع ونكبات في مختلف  
الشؤون، وما نلاحظه من خصوصيات للشعر السوري واللبناني والفلسطيني ما  
هي إلا انعكاس لتلك الحوادث وتلك الجريمة التي ارتكبها الاستعمار  
والصهيونية لإبادة شعب أعزل واغتصاب وطنه لجعلها وطنًا لخليط من  
الصهاينة غرباء عنه. وبالفعل استطاع الشعر السوري واللبناني والفلسطيني أن  
يُثِّلَّ الواقع، ويُفضح العدو، ويحرّك عزائم الشعب العربي، ويكشف عن  
الزوايا الخبيثة للأعداء، ويشق طريق النضال، ومواجهة الاستعمار  
بالتعبير الصادق الذي لازم المدفع والرشاش في كثير من المواقف، ونأمل أن  
نكون في هذا التمهيد الوجيز قد مهدنا لموضوعنا الرئيس ألا وهو القدس في  
الشعر العربي الحديث من النكبة عام (١٩٤٨م) حتى عام (٢٠٠٠م). وعليه  
نوكِّل وبه نستعين.



# الباب الأول

دواعي شعر القدس واتجاهاته



## تمهيد

في الباب الأول من هذه الدراسة نعرض لدعائي واتجاهات شعر القدس في سوريا ولبنان وفلسطين منذ عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (١٩٤٨م) وحتى نهاية عام الألفين (٢٠٠٠م).

وقد بدا لي أن أقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول نبحث في كل فصل منها اتجاهًا من اتجاهات شعر القدس دعائي وهي:

١. الدعائي والاتجاهات العربية.

٢. الدعائي والاتجاهات الإسلامية

٣. الدعائي والاتجاهات السياسية.

وقد تضمن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التي تمحورت فيها، وتناولها رواد شعر القدس في الفترة الآنفة الذكر، ولعلها هي الأساس في الخطاب الشعري حيث دار حولها شعر القدس وركز عليها شعراً، ولقد اخترنا أفضل النصوص والنماذج الشعرية التي تعكس مأساة القدس وتعالجها بالشكل المناسب وتضع الحلول وتحدد الفعل الذي يجب أن يُمارس من

## ٥٦ القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين

أجل تحرير القدس من مخالب الصهيونية العالمية وإحراز النصر المؤزر. هذا وستقف عند كل اتجاه ومحور منه لنرى كيف صور شعراً الأقطار الثلاثة القدس وكيف ظهرت في قصائدهم ومدى تأثير الأحداث التاريخية في شعر القدس وأثر الشعر في هذه الأحداث أيضاً كي تتضح قدرة الشعر ومساهمته في استنهاض الشعب بل الأمة لإعادة الحق والتضحية من أجله.

١

## شعر القدس، الدواعي والاتجاهات العربية

### إيقاظ الوجدان القومي

لامح النكبة:

لأنماط حينما نقول: إن شعراء سوريا ولبنان وفلسطين وأدباءها كانوا الأكثر يقظةً وإحساساً بخطر الصهيونية ومشروعها الذي شاع وذاع في الثلاثينيات وببداية الأربعينيات، وهذا يلمسه المتابع لقصائد هؤلاء كما في قصيدة خير الدين الزركلي (فلسطين - ١٩٣٠) إذ دعا العرب فيها لكي يهربوا ويلبون داء فلسطين التي راحت تشهق وتتنفس من شدة ما نالها من حيف وظلم قائلاً:

صرخت فلسطين الكلمة صرخةٌ تشكو ظلامتها فسأل عقيقها هي شهقة حملت مأسى أمةٍ بسنا الأسنة قد أجب شهيقها واستبشر الشاعر محبي الدين الحاج عيسى في قصيده (المؤتمر الإسلامي - ١٩٣٢م) بالمؤتمرين لدراسة وضع فلسطين وليشكوا لهم ما حلّ بها من معاناة قائلاً:

فلسطين ذاقت صنوف الأذى وكاد البراق بها يذهب  
وأضحت على ضعفها سلعةٌ تباع وتُشرى وتُستَهَبُ  
فيما قادة الشرق هذا الحمى إليكم جميعاً أغداً يُنسَبُ  
قصونوه حتى يُصان البراق١ ويرضى الذي داره يُثرب٢  
وقد أحسن الشهيد عبد الرحيم محمود بالكارثة قبل أن تقع وذلك من  
خلال تتبعه لمجريات الأحداث التي تعصف بفلسطين وعلى رأسها غفلة  
 أصحابها والعمل الدؤوب لأعدائها، إذ يطلق صرخة المدوية الممزوجة  
بعرارة الشكوى والإحباط مخاطباً الأمير سعود بن عبد العزيز الذي جاء يزور  
القدس حينذاك:

يَا إِذَا الْأَمِيرُ أَمَّا عَيْنَكَ شَاعِرٌ ضُمِّتْ عَلَى الشَّكْوِيِّ الْمَرِيرَةِ أَصْلَعَةُ  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصِيِّ أَجْتَنَتْ تَزُورَةً أَمْ جَنَتْ مِنْ قَبْلِ الضَّيَاعِ تُودِعَةً  
وَأَمَّا الشَّاعِرُ بَدْرُ الدِّينِ الْحَامِدُ فَقَدْ دَعَا الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ لِمَدَاوَةِ الْجَرَحِ  
الْفَلَسْطِينِيِّ وَمَعَالِجَةِ الْوَاقِعَةِ قَبْلِ اسْتِفْحَالِهَا لِاقْتَاصَانِ الْأَنْظَارِ لِمَأْسَاهُ الشَّعْبِ  
الْفَلَسْطِينِيِّ السَّلِيبِ مُحاوَلَةً مِنْهُ لِإِيقَاظِ الْوَجْدَانِ فِي قَصِيْدَتِهِ (وَقَدِ الْأُمَّةُ -  
١٩٣٦م) حين يقول:

هَذِي فَلَسْطِينُ الشَّهِيدَةِ تَصْطَلِي نَارُ الْوَعِيدِ  
يَرْمُونَهَا بِالْعَدَدِ الصَّمَاءِ ظَلْمًا وَعَدِيدًا  
كَمْ مِنْ فَتَاهُ رُوعَتْ بِرَصَاصِهِمْ كَمْ مِنْ وَلِيَّ  
إِخْوَانَنَا وَبِلَادَنَا يَجْتَاحُهَا الْبَاغِيُّ الشَّرِيدُ  
وَبَلْ لَهُمْ مِنْ غَارَةِ عَرَبِيَّةِ تَفْرِي الْحَدِيدُ<sup>٣</sup>

١. محبي الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص ١٧.

٢. عبد الرحيم محمود، ديوانه: ص ١١٣.

٣. بدر الدين الحامد، ديوانه: ص ١٨٠.

وقد اعتبر وديع البستاني الجامعة العربية فكرة فارغة من المحتوى، إذ كيف تكون جامعة يراد بها الحفاظ على الحياض والذود عن الحمى وهي لم تعالج عدواً انتهك قلب الحمى وعدا عليه، وهذا بعد ما لاحظ الشاعر أن الجامعة لم تورد القدس في بنود قراراتها الرئيسة عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين قاتلاً:

أجامعةٌ وما للقدس فيها سوى الذيل المعلق بالبنود  
وما معنى العروبة في حماها وفي قلب الحمى وطن اليهود<sup>١</sup>  
وبناءً على هذا يرى عمر الدقاد أن ملامح المأساة كانت واضحة لدى  
الكثيرين من أدباء العرب في العديد من أقطارهم خلال فترة ما بين الحربين،  
حين كان شبح النكبة ماثلاً بوجهه الكالح لدى الأدباء الذين استشعروا الخطر  
قبل ساستها وزعمانها<sup>٢</sup>. ومع اندلاع النكبة ازداد التزام الأدب عاممة والشعر  
خاصة بالقضية الفلسطينية، حتى بات الأدب كله أدباً فلسطينياً<sup>٣</sup> وبعد ما فجرت  
كارثة القدس وفلسطين قرائح شعراً بلاد الشام، حتى أصبح صرائحهم شعراً  
منظوماً، وألامهم نشراً مسجعاً ألهب العواطف الجياشة، وأثار المشاعر  
الوجданية، وأشعل نيران القومية العربية وهزّها هزاً عنيفاً، امتزج حب الوطن  
والأهل والدين وكون إنساناً قد تصل الحالة به إلى أن لا يرى إلا وطنه  
وقوميته وقيمه - حسب تعبيرهم - فكيف به إذا رأى نفسه مشرداً منكوباً،  
سليب الوطن، قتيل الأهل، وحاضره مظلماً من جانب، ويحمل أملاً قوياً  
لمستقبله المشرق من جانب آخر، وغيرها من الدواعي حيث دفعت شعراً  
القدس إلى الفكر والاتجاه القومي العربي في سبيل أن يقوم هذا الاتجاه

١. وديع البستاني، ديوان الفلسطينيات: ص ٨١

٢. عمر الدقاد، فنون الأدب المعاصر في سوريا: ص ٣٦١.

٣. حنا عبد، التزورات الكبرى ومعالم الأدب العربي: ص ٢١.

لعلاج مأساة القدس وتقليل أزمتها وتحريرها من براثن الاحتلال الصهيوني عن الطريق القومي العربي، إذ أرض فلسطين هي بقعة من الوطن العربي، وأبنااؤه أولى من غيرهم في شد الحزام لتحريره، إذ يرى هذا الاتجاه العرب أمة واحدة ويؤكد استطاعتها لاسترجاع ما أخذ منها إذا ما وحدت الأمة العربية صفوتها وكرست طاقاتها لخدمة الأمة والوطن. ولقد كان وما زال لشعراء هذا الاتجاه دور عظيم في إيقاظ الوجدان القومي العربي وشحذ العزائم، وتصعيد الهمم، وبيث الوعي الثوري، واستثاررة الحماسة والنخوة في النّفوس الأبية، والدعوة إلى النضال ومواجهة الاستعمار والاحتلال الغاشم، وبالفعل فقد تبلور هذا الجهد من الشعراء في انتفاضات شعبية قومية عديدة، بعد نكبة فلسطين عام (١٩٤٨).

### ١. القدس وخطاب الأربعينيات

من يتصفّح ديوان شعر الاتجاه القومي العربي يجدُه منغمساً في برُك الدم العربي الموجَّ وذلِك من أجل القدس والتحرير والحرية، إيماناً عميقاً من أصحابه برسالتهم المجيدة. وانطلاقاً من هذه القناعة جاءت اهتمامات الشاعر عبد الله يوركى حلاق بالقضايا القومية حيث رأى هزيمة الصهاينة قدرأ لا مفرّ منه، وذلك لأنَّه يعلم من قومه العرب أنَّهم أباة ضيِّع لايذعنون للغاصبين المحتلين سِيما إذا كان الاحتلال لأرض عزيزة عليهم ومقدَّسة عندهم، متوجعاً الصهيونية بالهزيمة على يد العرب لا غيرهم، إذ أنَّهم لبالمرصاد وسوف يهزم العدو من القدس أرض محمد<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وأرض عيسى<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، حيث يقول في قصيده (الهدنة - ١٩٤٨) :

صهيون مهلاً لا تنهي بالذى آخرتْه فالغرب بالمرصاد  
لم يذعن العرب الأباء لغاصبٍ باغٍ، ولا صبروا على استبداد

المسجدُ الأقصى لآل محمدٍ ولآل عيسى مهدٌ عبّسي الفادي  
وطنٌ عزيزٌ نحن أسدُ عرينَه ونذوذ عنَّه بعزةِ الآسادِ<sup>١</sup>  
وهكذا يرى الشاعر علي دمر في قصيده (الفراش الأحمق - ١٩٤٨)،  
هزيمة الصهاينة أمراً مؤكداً على يد جيش الأمة العربية بعد توكلهم على الله  
سبحانه ويطرب لزحفهم نحو القدس جاعلاً النهار ليلاً في عيون فلول  
الصهاينة الغزاوة صارت خاماً:

لابدَ من يوم ثثيرٌ قاتمه  
حتى يصيرُ الكون ليلاً أنسحاماً  
تهتزُ للهول السهولُ تذمّراً  
وتتوحُ للخوف الجبالُ تأثماً  
وترى جيوشَ العربَ زاحفةً إلى  
قلبِعروبة كالجراد إذا نما  
يشدُون باسم الله في هيجانِهم  
الله أكبر ما أشدَ وأعظماً  
يوم كيوم القدس من أجدادنا  
لما أحاطوها حصاراً محكماً  
ويبح اليهود إذا مشينا نحوهم  
كالليل يزحف في السماء مُخيماً<sup>٢</sup>

وأما الشاعر الفلسطيني حسن البشيري فقد نظم قصيده (فلسطين - ١٩٤٨) بعد النكبة التي هالت وآذلتني إذ كيف يصدق أن تصبح القدس  
عاصمة ومركز حكم للكيان الغاصب اللقيط، وهناك من الأمة العربية

١. عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص ٥٨.

٢. علي دمر، ديوانه: ص ١٠٢.

إنسان واحد حين يقول وقلبه يتلظى ويكتوي بنار القدس:  
 يا وَيْحَ مَنْ جَاَوَرْتُ أَرْضِي عَروشَهُمْ وَغَصَّنَهُمْ فِي رِيَاضِ الصَّفْوِ وَسَانُ  
 أَغْتَدِي بِهَوَى إِسْرَائِيلَ دَارَ مُتَّى لَهُ بِمَقْدِسِهَا تَاجٌ وَإِيَوانٌ  
 وَيُهَدِّمُ الْمَسْجَدُ الْأَقْصَى وَصَخْرَةٌ وَفِي الْوَرَى مِنْ بَقَاِيَا الْعَرَبِ إِنْسَانٌ<sup>١</sup>  
 نَعَمْ، فَاجْعَةُ الْقَدْسِ أَدْمَتِ الْقُلُوبَ، وَبَدَلَتِ الْأَعْيَادَ أَحْزَانًا لَعْظِيمٍ مَا حَلَّ  
 بِالنُّفُوسِ إِذْ جَعَلُهَا تَكْتُوِي وَتَشْتُوِي بِشَمَانَةِ الْأَعْدَاءِ، فَهَا هُوَ ذَا عَمَرْ أَبُو رِيشَةَ  
 اهْتَزَتْ مَشَاعِرُهُ وَامْتَرَجَ دَمُ قَلْبِهِ بِشَعْرِهِ مِنْذَ كَرَأَ الْمُتَبَّيِّ، فِي قَصِيدَتِهِ (يَا عَيْدَ -  
 ١٩٤٩م) حِينَما أَطْلَّ عَلَيْهِ أَوْلَى عِيدِ النَّكْبَةِ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَدْعُ هُولَ النَّكْبَةِ  
 يَمْسِحَ الْآمَالَ الْمَكْتُوبَةَ فِي قَلْبِهِ بِحَرْوَفِ الْعَزَمِ وَرَفْضَ الدَّلَلَةِ وَالضَّيْمِ.

يَا عَيْدَ كُمْ فِي رَوَابِيِّ الْقَدْسِ مِنْ كَبِيرٍ لَهَا عَلَى الرَّفَرَفِ الْعُلُوِّيِّ تَعْيَيِّدُ  
 سَالَتْ عَلَى الْفَرَارِ وَرَاءَ لَفْصَتِهِ وَالْعَزَّ عِنْدَ أَبَاهَا الضَّيْمِ مَعْبُودٌ  
 هَبَهَاتْ لَنْ يَشْتَكِي مَا طَلَّ مِنْ دَمَهَا فَالْحَقْدُ مَضْطَرْمٌ وَالْعَزَمُ مَشْدُودٌ  
 سِينِجَلِي لِيُنْسَاعِنْ فَجَرِ مَعْتَرِكِي وَنَحْنُ فِي فَمِهِ الْمَشْبُوبُ تَغْرِيدُ<sup>٢</sup>

## ٢. خطاب الخمسينيات

من الأصوات الشعرية التي حاولت إيقاظ الوجدان القومي العربي لتحرير  
 الأمة العربية لتحرير القدس، لا ترى لها عيدها سعيداً في ظل الاحتلال  
 الصهيوني مشيرةً إلى الفجائع الدامية التي ارتكبها الغزاة ولم تترك أحداً يشعر  
 بحلوة الحياة ولذة العيش في وطنه، صوت سليمان العيسى في قصidته (نحن  
 والعيد - ١٩٥١م) إذ عكس حزنه لما حل بالقدس قائلاً:

١. حسن البحيري، الأنهر الظماء: ص ١٠٣

٢. عمر أبو ريشة، ديوانه: ١٠١ / ١

أَيُّ عِيدٌ أَتَلْقَاهُ وَأَغْدَوْ  
مَرْحَاً أَزْهَوْ عَلَى الْكَوْنِ وَأَشْدَوْ؟  
وَبِلَادِي أَلْفُ جُرْحٍ يَسْتَبِدُ وَثَرَى الْقَدْسَ دَمٌ مَاجْفَ بَعْدُ  
أَيُّ عِيدٌ أَتَلْقَاهُ رَغْدَ؟ وَعَدْوَيِ مُدْيَةٌ فَوْقَ وَرِيدِيٍّ<sup>١</sup>  
وَأَمَا يُوسَفُ الْخَطِيبُ فِي قَصِيدَتِهِ (الْعِيدُ يَأْتِي غَدًا - ١٩٥٥م) فَعَطَفَ أَنْظَارَ  
الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَأْسَةِ الْاِحْتِلَالِ وَالنَّكْبَةِ وَمَا خَلَقَتْهُ مِنْ جَرَاحَاتٍ بِلِغَةِ فِي  
جَسْدِ الْأُمَّةِ، مَنَشَدًا الْوَجْدَانَ وَالضَّمَانَ الرَّحِيَّةَ بِاسْمِ الْيَتَامَى الصَّغَارِ أَنْ تَرَكَ  
الْأَفْرَاحَ وَالْاحْتِفَالَاتَ وَتَسَارَعَ لِتَحرِيرِ الْقَدْسِ إِذَا لَا مَعْنَى لِلْأَعْيَادِ وَالْقَدْسِ  
مَكْبَلَةٌ يَدُ الْأَعْدَاءِ إِذَا يَقُولُ:

بِاسْمِ أَيَّتَامَنَا الصَّغَارِ يَحْوِمُونَ عَلَى الْعِيشِ كَالْفَرَاشِ الْحَائِزِ  
فِيمَ أَعْيَادُنَا، وَفِيمَ الأَهَازِيَّ - بَجُ وَحْشَنُ الْآلَافِ حَوْلَ الْمَنَابِرِ!  
أَبْغَنَنِي أَنْشُودَةُ النَّصْرِ مَهْزُورٌ مَّ وَيْذَكِي الْحَمَاسَ تَهْرِيجُ شَاعِرٍ  
مَالَنَا وَالْفَخَارِ، وَالْقَدْسَ تَدْعُونَ نَافَهْلَ حَرَكَتْ حَمِيَّةَ شَائِرٍ<sup>٢</sup>  
يَظْهُرُ مَا مَرَّ أَنْ قَصَائِدَ هَذَا الْعَقْدِ مِنَ الزَّمْنِ جَاءَتْ فِي صُورٍ زَفَرَاتٍ مُّرَّةٍ  
مَكْتُوبَةٌ بِنَارِ الْمُصْبِيَّةِ الَّتِي حَلَّتْ بِالْقَدْسِ مُصْطَلِّيَّةً مُغْتَلِّيَّةً بِهَا، يَعْلُو صَوْتُ الْحَزَنِ  
وَالْأَسَى مِنْهَا، مُسْتَجَدَّةً بِالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ تَخَاطِبُ وَجَدَانِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تَارِيَّةً  
وَوَجَدَانِ الْأَنْظَمَةِ تَارِيَّةً أُخْرَى، يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْيَأسُ وَخَيْرَ الْأَمْلِ فِي يَوْمٍ  
وَتَسْتَبِّشُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذَا نَشَاهِدُهُ أَيْضًا فِي قَصِيدَةِ الشَّاعِرِ  
عَبْدِ الْمُنْعَمِ الرَّفَاعِيِّ (ثُورَةُ الْعَرَبِ - ١٩٥٨م)<sup>٣</sup> وَقَصِيدَةِ الشَّاعِرِ حَسَنِ الْبَحِيرِيِّ  
(الْأَنْهَرُ الظَّمَائِيُّ - ١٩٥٨م)<sup>٤</sup> وَقَصِيدَةِ الشَّاعِرِ مُحَمَّدِ الْعَدَنَانِيِّ (الْجَمَهُورِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ

١. سليمان العبيسي، الأعمال الشعرية: ١١٣ / ١.

٢. يوسف الخطيب، العيون الظمائي للتراث: ص ٨٦.

٣. عبد المنعم الرفاعي، المسافر: ص ٥٣.

٤. حسن البحيري، الأنهر الظمائي: ص ٧٩.

العربية المتحدة - ١٩٥٨) حيث يرى القدس مرتدية ملابسها الجديدة بعدما حررتها العرب ويدوّي في مآذنها آذان الصلوات وتکبرات النصر وتسمع من كنائسها نواقيس العبادة والأفراح يقول فيها:

ونسترد فلسطيناً يُؤازِرُتَا  
نصرٌ من الله يجعل الشكَ والرَّيْبا  
وتلبسُ القدسُ قلبَ الْمَرْبُ مُشْرَقَةً<sup>١</sup>  
من بعْدِ تَلِيلِ الأَسْى أَثْوَابِهَا الْقُشْبَا  
ويضحكُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصِي وصَخْرَةُ<sup>٢</sup>  
الله أَكْبَرُ إِنْ دَوَّتْ مَآذِنَةُ  
بَهَا أَصَاخَ إِلَيْهَا الدَّهْرُ وانجذبَا  
ولنواقيسِ لَحْنٍ فِي كَنَائِسِهَا سَيِّرُكَ اللَّبَّ لَبَّ الْكَوْنُ مُسْتَبَا

### ٣. الستينيات ونكسة حزيران

مرت سبعون ودخلت المأساة في عقد الستينيات والحزن والألم اللذان يعصران قلب الشاعر عبد الله يوركى الحلاق منذ النكبة إذ نجده صارخاً صرخة قويةً منبعثةً من أعماقه الجريحة علىها تهزاً القلوب المتحجرة وتصحو تلك الضمائر الخامدة التي مازالت صماء ولم تسمع الصرخات الموجعة المستجدة متجاهلة القدس وما فيها من الأماكن المقدسة، مذكراً بالعروبة تارةً وداعياً إلى الوحدة القومية تارةً أخرى قائلاً في قصidته (طفل فلسطيني ثان - ١٩٦٣):

دُمْنَا يَصْرُخُ فِي أَعْمَاقِنا مَا لَكُمْ فِي صَمَمِ عَنْ غَبَبِي  
يَا أَبَاءَ الْضَّيْمِ، قَدْ طَالَ الْمَدِي وَاسْتَبَدَ الشَّوْقُ بِالْحَرَّ الْأَبْيِ  
بَيْتُ لَحْمٍ وَلَدَّ الْفَادِي بِهَا وَجَالَ الْقُدْسِ مَعْرَاجُ النَّبِيِّ  
أَوْ نَرَضَى أَنْ نَرَاهَا مَسْرَحاً لِلْبَغَايَا وَعِيَدَ الْلَّهَبِ

١. محمد العدناني، العدنانيات: ٢ / ١٨.

٢. عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص ١٩١ - ١٩٢.

ثم يخاطب الوجдан العربي على لسان أطفال فلسطين بعدما أصبحوا كباراً وأخذوا بالأسئلة عن أوطانهم، عن حيفا ويافا والقدس ... وعن سبب ضياعها وعن النضال والجيوش العربية معلقين كل آمالهم على الغد المرتقب متفانين بالنصر المحتم قائلةً:

رُبَّ طفْلٍ صَاحَ مِنْ أَعْمَاقِهِ أَيْنَ حِيفَا؟ أَيْنَ يَافَا؟ يَا أَبِي أَيْنَ سَهْلُ الْلَّدِ؟ هَلْ يُرْجِعُهُ جِيشُنَا يَوْمَ النِّضَالِ الأَشِيبِ أَيْنَ تُرْبَ الْقَدْسِ، هَلْ تَلْثِمُهُ شَفْتِي فِي غَدِنَا الْمَرْتَبِ؟<sup>١</sup>  
كان الكل يرتفب زحف جيوش الأمة العربية وبعد الثواني للنصر المؤزر وهزيمة المتأمرين والغزاة الصهاينة إذ النصر دائمأ حليف المظلوم مهما كان الظالم متغطساً ومهما كانت قدرته، وكل الشعوب العربية كانت واثقة بالنتيجة بعد ما تبسم الفجر أمام أعينها ورأت جحافل جيوش التحرير تتجه نحو القدس وإذا بهزيمة حزيران (١٩٦٧م) يسد ظلامها الآفاق ويرتد طرف الناظرين باكيأً أرمداً من هول الهزيمة التي حلّت به، لكن تيار إيقاظ الوجدان القومي لم يستسلم لليلأس ويستكين للخيبة مادامت الضمائر فيها ومضى للثورة، ولعل في الهزيمة عبرة، لذا نرى صرخة الشاعر حسن البحيري مدوية في قصidته (يَا أَمْتِي لَنْ تُنْهَرِي - ١٩٦٧م) يقول:

اغضَبْ وَتَعَجَّرْ فِي حَنَاءِ الصَّدْرِ بُرْ كَانَ الغَضَبْ  
اغضَبْ وَخُضْ سَاحَ القَتَالِ وَأَنْتَ أَمْضَى مِنْ لَهَبْ  
اغضَبْ وَقَلْ: قَدْرِي عَلَى صَفَحَاتِ أَيَامِي كَبَّ  
حَفَّيْ وَأَفْرَاحَ الْحَيَاةِ، وَكُلُّ أَمْجَادِ الْحَقْبِ  
في القدس في أرضي الحبيبة في فلسطين العرب<sup>٢</sup>

١. المصدر: ص ١٩٣.

٢. حسن البحيري، الأنهر الظمائى: ص ١٤٣.

ومن هذا المنطلق، أي: العترة لا تعني الهزيمة، فلكل صارم نبوة نرى  
الشاعر زكي قنصل يحرّك الوجدان القومي العربي في قصيده (كفاح وأمل -  
١٩٦٧) يصرخُ قائلاً:

لَمْ يَمْتَ قَوْمِيْ وَلَا ضَاعَ الْأَمْلُ  
يَا بَنِي أَمْيَ اسْتَعْدُوا لِلْغَدِير  
إِنْ لِلْعُودَ بِكَفَّيْ مَؤْمِنٌ  
لَمْ تَرَزَّلْ فِي أَوْلِ الدَّرْبِ فَلَا  
لَا تَثْقِقَ إِلَّا يَامِكَانَاتَنَا  
لَنْ تُرَدَّ الْقَدْسُ إِلَّا بِالْوَغْنِيِّ وَالْأَسْلُّ

ومن نمط هذا الشعر أيضاً خطاب الشاعر عبد الله يوركى الحلاق في  
قصيده (ذكرى أورخان - ١٩٦٨) قائلاً:

وَقُمْ إِلَى الرَّهْرَ نَقْطَفْهُ لِتَسْجَهُ  
وَسِرْ إِلَى الْمَسْجَدِ الْأَقْصَى لِتَنْقِذَهُ  
وَلَكُنْ الشَّاعِرُ عَبْدُ الْمُنْعَمِ الرَّفَاعِيُّ عَكْفُ عَلَى نَفْسِهِ يَكْتُو بِنَارِ الْحُزْنِ وَيَتَوَهُ  
لَمَ رَأَى وَشَعْرَ بُثُورَةِ بَاطِنِهِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ قَصِيَّدَتِهِ (عَام١٩٦٧) إِذْ يَقُولُ:  
وَأَمْدُ السَّمْعَ فِي الْأَفْقَ فَمَا غَيْرُ هَمْسٍ وَبَقَايَا عَنْفَوَانِ  
وَظَلَالُ ذَابِلَاتِ حَوْلَنَا مِنْ شَذِي الْقُدْسِ وَرَيَا عَسْقَلَانِ  
وَالْتَّقَى فِي الْمَسْجَدِ الْأَقْصَى خَبَا فَإِذَا التَّزِيلُ يَرْثِي لِلْأَذَانِ  
وَشَكَّاهُ بَاخْتَ الْبَلْوَى بِهَا بَيْنَ أَشْبَاهِ خِيَامِ وَمَبَانِيِّ  
وَأَنَا وَحْدِي أَدَارِي فِي الدَّجَى ثُورَةً شَمَّا تَدُوَى فِي كِيَانِيٍّ

١. زكي قنصل، الأعمال الكاملة: ١ / ١٠٠.

٢. عبد الله يوركى الحلاق، ديوان عصير الحerman: ص ٢٠٦.

٣. عبد المنعم الرفاعي، ديوانه المسافر: ص ١٠٣.

#### ٤. خطاب السبعينيات

في هذا العقد أخذ خطاب إيقاظ الوجдан القومي نوعاً من الحدة والشدة عند جل شعراً القدس كما شاهده لدى الشاعرة هند هارون في قصيدة (عوده تشرين - ١٩٧٤) إذ تحتَ على القتال والنضال حتى ولو انجر إلى الشهادة فهو السبيل الوحيد لتحرير القدس، وإن وصمة الخزي والعار التي أحقتها هزيمة نكسة حزيران لا يمكن تطهيرها وغسلها إلا بنهر دماء النضال والتضحية لكي يتسمى العيش والحياة بكرامة أو الموت بعزّة، وكأنها ت يريد أن تشير إلى كلام الإمام الحسين بن علي عليهما السلام «لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برأ»، قائلةً:

لا تغبي.. يا أمانى العرب.. عن غالى روانا

واستحمرى.. بتمير.. منه أطيب.. ثرانا..

واغسلى الأحزان.. في نهر.. غزير.. من دمانا

واقطفى.. من بارق النجم.. زهوراً.. من علانا.

قد نذرنا النفس.. أن نحيا.. كراماً.. في ريانا

سوف نصليها.. سعيراً.. سوف نغزو.. من غزاننا.

عزّت القدس.. على الباغين.. لا تبغي سوانا<sup>١</sup>

وقريب من هذا المضمون صوت الشاعر سليمان العيسى في قصيده

(يائِنَ الصخور البيض - ١٩٧٤) قائلًا:

الفَارسُ الْعَربِيُّ تُبَتِّهُ فِي الْقَدْسِ رِيحُ الْمَوْتِ، فِي الْقَبْبِ  
فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مُضَرَّبَةٍ بِدَمِ الْفَلَسْطِينِيِّ، بِاللَّهِ بِ

١. هند هارون، مسار المعبد: ص ٦٦.

٢. الأعمال الشعرية: ١ / ١٥٩.

ومن الأصوات الشعرية التي ظلت تحرض الوجдан القومي العربي وتحثه على الزحف وحمل السلاح لتحرير القدس الشريف، صوت الشاعر ناصر الخوري في قصيده (تشرين - في السبعينيات) إذ يرى عملية التحرير باتت حتمية ولن يتوانى أبناء الأمة العربية، المسلمين منهم والمسيحيون لحظة واحدة وسيجرب بحرها الموج المحتلُّ الغاصبَ وتبقى القدس شامخةً إذ يقول:

قدْرَ قدْ خَطَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا      وَسَمِشِي دربه عَمَّا وَخَالَ  
 وَيَمِنَّا مَا تَرَكَنَا السَّاحِحَ حَتَّى      تَرْجِعُ الْقَدْسَ صَلِيبًا وَمَلَالًا  
 أَمَتِي وَالزَّحْفَ سَيفَ يَتَلَالَا      خَطَّ فِي الْمَيْدَانِ لِلْعَرَبِ الْمَقاَلَا  
 زَخْفَنَا بَحْرَ وَمَوْجَ غَاضِبَ      فَاسْحَوْنَا بَلْحَرَ فِي السَّاحِحِ الْمَجاَلَا  
 لَنْ يَنْسَالُوا الْبَغْيَ مَنَّا مَا صَنَعْنَا      هَبْخَرِ لِلْعَلَالَ— لَالَّذِينَ يَنْسَالُونَا  
 وَيَسْتَمِرُ الْاغْتَصَابُ وَتَسْتَمِرُ الْحَرَقَةُ وَالْحَرَزُ فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ حَنَاجِسُ فِي  
 قصيده (هنا كان شعب؟! - ١٩٧٧م) حيث استمر بنفح العزم في الصدور وإيقاظ  
 الوجدان على الشعر يحين قطافه متغاثلاً بيزوغ النصر مهما كان عمق الجراح، مادامت  
 أمتنا العربية أمة واحدة ولا فرق بين بلاد الشام والعراق ولبنان ... إذ الحدود بينهما  
 هي حدود مصطنعة أو جدها الاستعمار وأقره من يدور في فلكه إذ يقول:

سَيْزِغُ فَجَرُ النَّصْرِ يَا بَنْتَ أَمَّتِي      وَيَنْتَشِرُ الْوَعِيُّ الْكَبِيرُ بِأَرْضِهَا  
 فِيَانِ عَرَاقِ الشَّامِ، شَامِ عَرَاقِهِ      وَقَدْسُ رُبِّي لِبَنَانُ، لِبَنَانُ قَدْسَهَا؟!  
 وَإِنْ طَرِيقَ الشَّارِ بَانَتْ جَلَّيَةً      أَيْفَهُمَا الْحَكَامُ؟ أَمْ عَزَّ فَهُمَا؟!  
 أَمَا نَجِيبُ جَمَالِ الدِّينِ، الشَّاعِرُ الْلَّبَانِيُّ فَقَدْ وَجَهَ أَصَابِعَ اللَّوْمِ إِلَى  
 الْوَجَدَانِ الْقَومِيِّ لِبَعْضِ زُعْمَاءِ وَحُكَّامِ الْأَمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَصَبَّ جَامَ غَضْبِهِ عَلَيْهِمْ

١. ناصر الخوري، ستابل: ص. ١٠.

٢. حنا جاسر، أمّة وجراح: ص. ١٠٦.

إذ لو أعنوا الأمة ولو بالبترول واستعملوه كسلاح بوجه الصهيونية ومن حذا  
حذوهم لأصبح العدو ضعيفاً وانهار أمام أبطال العرب والإسلام الذين لا  
يرهبون الموت، بل ترى الموت يرهبهم إذا وثبوا وهبوا التحرير القدس  
الصادمة، وهذه رؤية الشاعر تنسجم مع رؤى الكثير من أبناء العالم العربي  
والإسلامي ترى فيها سبيلاً لخلاص القدس، وهو يشير إلى الشام ويخصّها  
بالذكر لأنّها كانت وما زالت تذكّر الأمة بالقدس وتعمل لأجلها متحمّلة كلّ  
الضرائب إذ يقول في قصيده (أحِبُّها.. الشام - ١٩٧٩).

كُلُّ الصَّوَارِيخْ مَا كَانَتْ مُجْنَحَةْ  
وَلَا هَوَّتْ عَاصِفَا

يَسْتَأْصِلُ الْعَصَبَا  
لَوْلَا أَصَبَّعُكَ السَّوَادَاءْ  
حَاتِيَّةْ عَلَى الْبَرَامِيلَ  
تُخْصِي الْعَرْضَ وَالْطَّلَبَا  
لَوْ بَانَعَ الرِّزْيَتِ  
وَفَقَى بَعْضَ ذَمَّتِهِ إِلَى دِمِ مِنْ هُنَّا..  
أَعْلَى لَهُ الرَّبَّيَا  
أَوْ بَاعَنَا زَيْتَهُ فِي سِغْرِ عِزَّتِهِ  
أُولًا.. أَمْلَى الْمُنْتَى  
عَنْ غَيْرِنَا حَجَّجا  
لَا نَقْدَ الْقُدْسَ جَنْدَ فِي الشَّامِ  
مَضْوِيَّا، لَوْ وَاثَبُوا الْمَوْتَ  
أَقْعُى الْمَوْتُ مُرْتَبِعاً<sup>١</sup>

١. نجيب جمال الدين، تصاند إلى عاصمة المدن الشرقية: ص ١٧٩.

## ٥. القدس في الثمانينيات

النصوص الشعرية التي تعكس الاتجاهات القومية العربية ودعائياً الوجданى في هذا العقد من الزمن كثيرة جداً ولا سيما تلك التي أبدعت بعد الانفاضة في الثمانينيات واندلاع ثورة الحجارة والمواجهات المسلحة البطولية التي أخذت توسيع في الأراضي المحتلة بعد ما أثبتت بأنها قادرة على مقاومة الاحتلال وقلع براثنه مهما امتلك من أسلحة وأدوات عسكرية متفوقة. ولعل النماذج الشعرية التي حاولنا الإشارة إليها خير دليل على الحقيقة التي ألمحنا إليها قبل سطور، كما نشاهد بأن الشاعر في هذه الفترة لم يكن مقاتلاً بالكلمة الفنية فحسب بل تحول إلى مقاتل يحمل البنادق والقلم معاً ليسطر أروع البطولات وأخلدها في الشعر المقدس ويسجل ملحمة تاريخية حازت على الإكبار والثناء. ولعلَّ أبرز ما لاحظناه في قصائد شعراء هذه الفترة هو نوع يأس من الوجدان القومي العربي، لشعراء بحث أصواتهم وكانت النتيجة الملاحظة في كل ما مرّ هو لقلقة اللسان فقط، إذ لم يثر إيقاظ الوجدان الثمر المطلوب؛ ولذا ومن هنا بدأ خطاب شعر القدس يتوجه للذات الفلسطينية كما يظهر من الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة<sup>١</sup> (يا شاعري لا تقبل العزاء - ١٩٨٢) يقول فيها:

نزار  
إنَّ الشَّعْرَ هَذَا الْيَوْمَ  
يَسْتَقِيلُ  
يُلْمِلُ الْأُوراقَ كُلَّهَا  
وَيُوقِفُ الْهَدَيْلَ  
يَسْسَحِبُ اللَّحْظَةَ مِنْ سَاخِتِهِ

١. هذه القصيدة قدمت كباقة حزن إلى نزار قباني.

وَيَغْلِبُ الرَّحِيلُ  
لَانَّ أَمَّةً كَهَذِهِ  
لَا تَسْتَحْفَهُ فِي عَصْرِهَا الذَّلِيلُ  
لَا نَهَا كَمَا تَرَى،  
مَشْغُولَةٌ عَنْ حَقِّهَا النَّبِيلُ  
مَشْغُولَةٌ عَنْ شَغْبَنَا الْأَصِيلُ،  
فِي الْقُدْسِ  
فِي غَزَّةِ فِي الْخَلِيلِ  
فِي الْلَّدَّ فِي عَكَاءِ فِي الْجَلِيلِ  
مَشْغُولَةٌ عَنْهُ،  
وَعَنْ صِرَاعِهِ الطَّوِيلِ<sup>١</sup>

وتراجع تيار القومية العربية أيضاً لدى الشاعر عززان حجازي كما نشاهد في قصيده (فداء للقدس - في الثمانينيات) إذ فقد شعور الثقة بوجود الأمة العربية لما عرض لها من غفلة، وتفلك، وانشغل في سفاسف الأمور، والاختلافات بين العرب مما زاد في تراخيها عن قضية القدس، ويرى الشاعر أن الحل الوحيد لتحرير الأرض المقدسة هو توحيد الصنوف والعزيمة الفولاذية فقط لا الخطب والتهديدات التي لا تتعدي الألفاظ، حيث يقول:

يَا أَمَّةً مَشْغُولَةً عَنْ عِرْضِهَا بِمَظَاهِرِ الْأَلْقَابِ وَالْأَسْمَاءِ  
لَنْ يَرْجِعَ الْأَقْصِي بِنَظَمِ قَصِيدَةِ أَوْ خُطْبَةِ بُشْرَاءِ أَوْ بِدُعَاءِ  
لَنْ تُرْجِعَ الْأَقْصِي عَزِيمَةً أَمَّةً إِنْ شَابَهَا عَفْوٌ أَصَبَّ بِدَاءِ

١. هارون هاشم رشيد، طيور الحنة: ص ١٣٢.

هل تُرجع القدس الجريحة أمة  
القدس تُرجِع إن أردنا رجعها بتَوحِيد وعزيمة وشَاء  
ولعل هذا نفسه، أي: تراجع تيار القومية العربية، حمل الشاعر كمال  
رشيد على الخطاب بلهجة حزينة، وصربيحة، وصدر يفيض منه الألم  
والحسرة لما جرى ويجري في أرض فلسطين والقدس من الحصار،  
والتشريد، ونسف البيوت وقتل من فيها، وسبى الأطفال والنساء، هذا كله في  
مرأى ومسمع من الأمة العربية وهي لا تحرك ساكناً وتباشر الحياة اليومية  
غير مبالية ولا مكتئبة بما تلاقيه القدس من ويلات، صارخاً في قصيده  
(نانعون - ١٩٨٩م).

تَنامون مِلء العيون  
تَغْبُون مِلء البطون  
وَفِي لِيلَكُمْ تَسْمُرون  
وَفِي صِبحَكُمْ  
إِلَى كُلِّ دربٍ تَسِيرُون تَسْتَرْزَقُون  
تَبِعُون أو تَشْتَرُون  
وَتَسْتَمْتَعُون، وَلَا تَأْلُمُون  
وَلَا تَقْرُؤُون، وَلَا تَسْمَعُون  
بِأَنَّ الْخَلِيلَ تَعْانِي حَسَاراً  
وَتَطْلَبُ عَوْنَأً وَتَرْجُوا انتصاراً  
وَأَنَّ الْعَدُوَّ تَمَادِي، وَقَدْ هَدَّ فِي الْقَدْسِ خَمْسِين دَاراً<sup>١</sup>

١. عزراً حجازي، القدس في القلب وفي الأسر: ص ٢٣.

٢. كمال عبد الرحيم رشيد، القدس في العيون: ص ٧٥.

## ٦. القدس في التسعينيات

وردت القدس في قصائد هذا العقد لتعبر عن المطالبة بتحريرها بالفعل والعمل وترك الشعارات الزائفة والبعيدة عن الواقع، داعين الأمة العربية وساستها لأن تتنفس وتدافع عن وجودها، وشرفها وعرضها، وقدسها المدنى دفاع القوى المقتدر المنبثق عن العزة العربية والكرامة الإنسانية تارة، والمحاولة لإعادة قضية فلسطين والقدس للأذهان وجعلها أهم واجبات العالم العربي والإسلامي بعد ما أصبحت تتصدر البيانات العربية فقط، تارة أخرى ولذانرى صرخة هارون هاشم رشيد في قصidته (صرخة الأقصى في التسعينيات) على لسان المسجد الأقصى في وجه أمته العربية يخاطب وجданها للقيام بالمسؤولية قائلاً:

المسجدُ الأقصى يُماحُ وَيُهَدَّمُ      والعالمُ العربيُّ غافِرٌ يَحْلِمُ  
 المسجدُ الأقصى يَدُورُ بِسَاحِفَةِ الْأَثْمَونِ الفَادِرَوْنِ وَيُظْلَمُ  
 المسجدُ الأقصى عَلَى أَفواهِنَا نَفَمْ نُرَدَّدُهُ وَشَعَرْ يُنَظَّمُ  
 وَقَصَائِدُ رَنَائِلَةَ نَهَذِي بِهَا وَتَلَفُّتَ وَتَخَسُّرَ وَتَأَلَّمُ  
 المسجدُ الأقصى وَفِي كَلْمَاتِنَا وَغَلَبْ بُنْصُرَتِهِ وَعَهْدَ يَتَرَمَّ<sup>١</sup>  
 وأمّا الشاعر علي عقلة عرسان ففرز إلى التاريخ يستذكر القدس منذ  
 نشأتها ويستقلّ التاريخ ليشن حملته على المخططات الصهيونية التي حاولت  
 طمسعروبة القدس وإسلاميتها وليشن حملة أيضاً في آن معًا على الأمة  
 العربية بل الدول العربية والإسلامية ويوجه النقد اللاذع لها لما قصرت في  
 استعادة «أورسالّم» وإنقاذها من العصابة الصهيونية، وهذا النوع من الشعر  
 السياسي، والتاريخي والقومي جعل القدس تحتل مكانة مرموقة في شعر

---

١. هارون هاشم رشيد، تصانيد فلسطينية: ص ١١٦.

القدس وأظهر أن القدس ليس مدينة عادلة وإنما هي مدينة عريقة لها حضارتها وتاريخها وأنها عربية منذ تكوينها ونشأتها، وحاول الشاعر أن يجعل القدس هي القضية المصيرية لدى الأمة العربية والإسلامية ومن الواجب على أبناء العرب أن يفرحوا بفرحها وأن يحزنوا لحزنها ولا يمر صبح ولا مساء إلا وأن يستذكرواها ويشارعوا لتحريرها ولا يوجد أمر أهم من هذا ولا واجب أوجب من هذا، إذ يقول في قصidته (أورسالم... صباح الخير - ١٩٦١م):

أورسالم..

صباحُ الخير..

صباحُ التاريخ،

فأنتَ الخيرُ، وصدقُ التاريخ،

صباحُ الخير.. مسأءُ الخير،

فأنتَ صبحُنا والمساء..

ضحكنا والبكاء.

قبل اليوسيين،

قبل مئتين من سنين من عهد هارون وموسى،

كنتْ تميّمةً العربي ومحرابَ فؤاده،

تبكيك العينُ وتشرقُ بك

في الروح.. أنت نبعُ الفرح ونبعُ الدموع،

ثم يقول:

ولا بد لصاحب الحق والحقول والشجرة والسر من سيف وعزم،

ليكون له ما ملك وما استبنت،

وليحفظ ما ملك وما استبنت؛

يجني الحسرة ونارَ الخسنان،

ويعيش شهقة الأمنيات ساعة النزع،  
وليلًا سرمديًّا الحرمان.<sup>١</sup>

تفاءل الشاعر محمود حامد بانتفاضة الأقصى ورأى تحرير القدس أصبح قاب قوسين أو أدنى وأن ليل الاحتلال الداجي أدبر وانصرم، ونجمة الفجر الصادق تلألأت في سماء فلسطين وأشرقت القدس بنورها وطربت منارات المسجد الأقصى راقصة فرحة لأصوات تكبير أبناء الانتفاضة التي لم يسمعها أحد إلا وكبار معها مستبشراً بقرب النصر مؤكداً استمرار النضال ضد المستعمرین، إذ يقول في قصidته (الطريق إلى نجمة الصبح - نهاية السبعينيات):

أسيغت متذنةً على الأقصى تضجُّ  
غَدَةً يعلو فوقها التَّكْبِيرُ!!<sup>٢</sup>  
تبُدو كأنَّ الصُّوتَ - يخلعُها  
فتنهضُ، أو تكادُ تطيرُ  
تمشي.. كأنَّ الأرضَ وافقةً خُشوعاً،  
والزَّمانُ يسيراً

ثم استحضر محمود حامد بانتفاضة الأقصى وإنجازاتها صورة صلاح الدين الأيوبي الشخصية التي ارتبطت بالقدس ارتباطاً تاريخياً، أخذ يتخيله كيف عاد يرافقه الشهداء يقلع بقوة جذور الاحتلال منادياً يا لثارات الدم المراق ظلماً وعدواناً متوجهًا نحو القدس وخلفه عساكر الشوار والمناضلين ترجم الأرض من صرخاتهم الغاضبة، عبر الشاعر عن أمله وثقته بانتفاضة الشعب الفلسطيني لتحرير القدس اعتماداً على الذات بعد صمود مقاومة طويلة إذ يقول:

هو ذا صلاحُ الدِّينِ يخلعُ قَبَرَةً

١. علي عقلة عرسان، الأعمال الشعرية: ص ٢٩٩ - ٣٠٥.

٢. شهقة الأرجوان: ص ٥٣ - ٥٤.

صَلَى مَعَ الشُّهْدَاءِ،  
 هَزَّ بِقَبْضِيِّ ثَرَى الْخَلِيلِ وَقَامَا  
 وَتَوَضَّأَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمِ  
 وَالدَّمُ الْعَرَبِيُّ يَنْهَضُ  
 فِي الْقِبَابِ حَمَاماً  
 صَلَى بَنَاءً، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ يَنْزِفُ،  
 فِي الْجَمْعَوِيِّ إِمَاماً  
 وَمَشِي..  
 لَعَلَّ الْقَدْسَ وَجْهَتُهُ  
 وَعَلَّ الشَّامَا  
 هِيَ خُطْرَةً..  
 حَتَّى إِذَا صَرَخَ الدَّمُ الْعَرَبِيُّ  
 مِنْ قَوْقَ الْمَآذِنِ: وَاصْلَاحُ الدَّيْنِ  
 ضَعَجَ السَّاحِرُ رِيَاتِيٌّ،  
 وَثَارَ حِمَاماً<sup>١</sup>

شعر التسعينيات كما رأينا عند محمود حامد وغيره من شعراء هذه الفترة يؤكد أن تحرير القدس لا بد من عبره على جسر الافتراضة، والوصول إلى الهدف لا يمكن إلا باستمرارها، والنصر على الأعداء سوف يتحققه الدم، لأن الدم الفلسطيني كما يقول الدكتور خليل الموسى هو أنهار تفيض على السهول والبطاح والهضاب، لتعيد أزمنة الخصب لريوع فلسطين والقدس، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يفضي إلى نهاية أزمنة الجفاف والدخول إلى

فصول الربيع والحياة<sup>١</sup> لتردّه شجرة الحرية والاستقلال وترفرف راية النصر في ربيع القدس خفّاقة شامخة. واتضح أيضاً من شعر هذه الفترة أن الخطاب القومي وإيقاظ الوجدان امتهن بالخطاب الإسلامي والخطاب الديني بشكل عام كما نشاهده في قصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد (قصيدة للقدس - في التسعينيات) قائلاً وهو يخاطب كل وجودان وضمير حي:

لعينيها..

مدينَتِي التي سُجِّنْتْ

لمسجدها..

لأقصادها..

لحرمتها التي انتهكتْ

لخطوِّ مُحَمَّدٍ فيها

لما حملَتْ

ما حفِظَتْ

لمريمَ والمسيحَ

وكلَّ ما عَرَفَتْ ومنْ عَرَفَتْ<sup>٢</sup>

وبهذه النغمة المتوجعة والحزينة تستمر صرخة الشاعر وهو يدعوه كل وجودان أن ينهض لأجل القدس واستخلاصها من يد الغدر والحقن الصهيوني.

أنادي كُلَّ موتنا

أنادي كُلَّ أحيانَا

أناديهم أناجيلاً

١. خليل موسى، تحولات الدم الفلسطيني في شهقة الأرجوان: مدارات تشرين، العدد ١٦٣،

٣، كانون الثاني، ٢٠٠٤.

٢. هارون هاشم رشيد، تصاند فلسطينية: ص ١٠٦.

إذا سمعوا وقرأنا  
أناديهم باسم الله  
أشياخاً وشباناً لأجل القدس  
فطهر القدس قد هاتا<sup>١</sup>

## ٧. القدس في عام ٢٠٠٠

يطلُّ عام الألفين يشدُّ غضب الشعراً وهو يحضر على الانتفاضة إذ يرونها هي المتقى الوحيد للقدس، فحضروا أبناء الشعب الفلسطيني لإنقاذها موجهين اللوم للوجودان العربي مطالبين بحمل السلاح والتوجه نحو القدس كما نرى في قصيدة الشاعر محمد إياد عكاوي (العدراء اليتيمة - ٢٠٠٠) فنالاً:

فمن لي بسل المشرقيات نصرةٌ تُعيد عرين النَّاصِر البيضُ والسمُّ  
نقيمُ جدار الحق سداً مُدَعماً نمضي برأي الهدى، آمالنا الفجرُ  
نحوْ رحاب الكون، نطوي سماكةٍ يُغِيرُّنا صقرٌ، ويُغزو بنا سُرُّ  
ليأتي غياث القدس جيشاً مُوحِداً يُمناه سيف العزّ والأيُّ والذُّكرُ  
ومن هذا المنطلق قصيدة الشاعر عززان حجازي (إلى الأقصى - ٢٠٠٠م)  
إلى الأقصى إلى الأقصى جموع الشّار لا تخصى  
وربُّ البيت نادانا نداء الله لا يُغَصِّى  
أنسادي هئنة الأممِ وشكّلَ الغربِ والعجمِ  
اكتفيت بهذا المقدار اليسير من الشعر المقدسي الذي حمل عنوان «إيقاظ الوجودان القومي العربي». وفي خاتمة هذا المبحث حاولت أن أقدم

١. المصدر: ص ١٠٩ - ١٠٨.

٢. محمد إياد عكاوي، ليك يا أقصى؛ ص ٢٧.

٣. عززان حجازي، القدس في القلب وفي الأسر؛ ص ٨٢.

جدولاً لأهم القصائد التي تطرقت للقدس حسب الاتجاه القومي ما بين الفترة الزمنية (١٩٤٨ - ٢٠٠٠).

### جدول أهم قصائد محور إيقاظ الوجدان القومي العربي حسب الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٥٨ - ٥٧	حصاد الذكريات	١٩٤٨	هدنة	سوري	عبد الله يوركى الملحق
١٠٣ - ١٠١	ديوان علي دمر	١٩٤٨	الفراش الأحقن	سوري	علي دمر
٩٤ - ٨٣	للفلسطين أغنى	١٩٤٨	المسجد الأقصى	فلسطيني	حسن البحيري
١٠٦ - ٩٧	الأنهى الضمائر	١٩٤٨	فلسطين	فلسطيني	حسن البحيري
٣٢ - ٣٢	فلسطينيات	١٩٤٨	الجرحُ الصارخ	سوري	سليمان العيسى
٩٥ - ٩٣ ج	ديوان الشاعر	١٩٤٩	يأيد	سوري	عمر أبو ريشة
٢٢ - ٢٠	أمة وجراح	١٩٤٩	هياكل البوس	فلسطيني	حنا جاسر
٣٤ - ٣٤	جبل النار	١٩٤٩	إلى حليم دموس	فلسطيني	برهان الدين العبوشي
١١٥ - ١١١ ج	الأعمال الشعرية	١٩٥١	نحن والعيد	سوري	سليمان العيسى
٧٨ - ٧٦	جبل النار	١٩٥١	الملكة عالية	فلسطيني	برهان الدين العبوشي
١٣٨ - ١٢٨	ديوان الشاعر	١٩٥٣	ياوحشة النار	سوري	بدوي الجبل
٦٨ - ٦٧	جبل النار	١٩٥٣	أبشر يا وطن	فلسطيني	برهان الدين العبوشي
٦٣ - ٥٨	العيون الضمائر	١٩٥٤	أرض المعاد	فلسطيني	يوسف الخطيب
٩٠ - ٨٣	العيون الضمائر للنور	١٩٥٥	العيد يأتي غداً	فلسطيني	يوسف الخطيب
٤٠٤ - ٤٠٨	الأعمال الشعرية ج	١٩٥٧	يارواهي عمان	سوري	سليمان العيسى
٥٥ - ٥٣	السافر	١٩٥٨	ثورة العرب	لبناني	عبد المنعم الرفاعي

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
١٧٥ - ١٧١	العدنانيات ج ١	١٩٥٨	الجمهورية العربية	فلسطيني	محمد العدناني
٣٣ - ٢١	عصير الحرمان	١٩٦٠	شعب الجزائر	سوري	عبد الله بور كي الحلاق
١٣٢ - ١٠٥	واحة الجحيم	١٩٦٢	مطالع جزائرية	فلسطيني	يوسف الخطيب
١٩٤ - ١٩١	حصاد الذكريات	١٩٦٣	طفل فلسطيني ثائر	سوري	عبد الله بور كي الحلاق
١٠٠ - ٩٩	الأعمال الكاملة	١٩٦٧	كفاح وأمل	سوري	زكي قصل
١٠٨ - ١٠٧	الأعمال الكاملة	١٩٦٧	التأثير المقدس	سوري	زكي قصل
١٠٥ - ١٠٣	المسافر	١٩٦٧	عام	لبناني	عبد المنعم الرفاعي
١٧٥ - ١٦٩	الأنهار الفضائية للنور	١٩٦٧	يا أمتي لن تغوري	فلسطيني	حسن البحري
	الأعمال الكاملة	١٩٦٨	المذلة	فلسطيني	سميح القاسم
٣٧ - ٣٦	في غمرة النكبة	١٩٦٨	يوم الكرامة	فلسطيني	كامل الدجاني
٢٠٨ - ٢٠٤	عصير الحرمان	١٩٦٨	ذكرى أورخان	سوري	عبد الله بور كي الحلاق
٣٩ - ٣٤	شهيد التضحيات	في السينيات	كفاح ناصري	سورية	عفيفة الحصني
١٠٧ - ١٠٤	من فلسطين وإليها	١٩٦٨	إليك يا بيت الفدى	فلسطيني	محي الدين الحاج عبيسي
٦٩ - ٦٥	سارقة المعبد	١٩٧٤	عودة نهرن	سورية	هند هارون
١٦١ - ١٥٩	الأعمال الشعرية ج ٣	١٩٧٤	يابن الصخور اليض	سوري	سلیمان العیسی
١٠٨ - ١٠٣	أمة وجراح	١٩٧٧	هنا كان شعب	فلسطيني	حنا جاسر
١٩٩ - ١٦٥	قصائد إلى عاصمة المدن	١٩٧٩	أحبابها - الشام	لبناني	نجيب جمال الدين
٩١ - ٨٤	مفكرة عاشق	في السبعينيات	الأقصى	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	عربة عربية في السبعينات	١٩٦٩-٩٢	مفكرة عاشق	١٠٦-٩٢
عز الدين المناصرة	فلسطيني	الأرض تندها في السبعينات	١٨٥-١٨٣	الأعمال الشعرية	١٨٥
ناصر الخوري	سوري	تشرين في السبعينات	١٤-٩	ستابل	٢٦-٢٠
ناصر الخوري	سوري	نيسان في السبعينات	٢٦-٢٠	ستابل	٣٨-٢١
عزران حجازي	سوري	فداء للقدس	١٩٨٠	القدس في القلب والأسر	٣٧-٣٥
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	صرخة في وجه جندي عربي	١٩٨١	ثورة الحجر	٤٦-٤٤
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	يا هذه الأمة في السبعينات	١٩٨١	ثورة الحجر	١٨٥-١٨٣
عز الدين المناصرة	فلسطيني	الأرض تندها في السبعينات	١٩٨١	الأعمال الشعرية	٢٩٦-٢٢١
سليمان العيسى	سوري	من أين نبدأ؟	١٩٨١	الأعمال الكاملة ٣ ج	١٣٣-١٢٥
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	يا شاعر لاتقبل العزاء	١٩٨٢	طيور الجنة (قصائد للشهداء)	١٤٨-١٤٣
عبد الله يوركي الملحق	سوري	اللاذقة	١٩٨٤	عصير الحرمان	٢٣-٢١
عبد الله يوركي الملحق	سوري	سد الفرات	١٩٨٥	عصير الحرمان	٧٨-٧٧
جميل علوش	فلسطيني	سلام أيها الباني	١٩٨٥	صوت الشعر	٢٩-١٧
حسن البحيري	فلسطيني	أرضان في وطن واحد	١٩٨٦	سأرجع	٩٥-٩٢
أبو سلمى	فلسطيني	رجاء	٨٠-٧٠	المرشد	٧٦-٧٥
كمال رشيد	فلسطيني	الائمون	١٩٨٩	القدس في العيون	٣٢٤-٢٩٩
علي عقلة عرسان	سوري	أور سالم صباح الخير	١٩٩٦	الأعمال الشعرية	١٧٥-١٦٩
عبد اللطيف محرز	سوري	الكاتب المسرحي	١٩٩٧	شجرات الدماء	

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
١٣٠ - ١١٦	قصائد فلسطينية في السبعينات		صرخة الأقصى	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
١٥١ - ١٤٢	قصائد فلسطينية في السبعينات		يا عروبة..	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٦٠ - ٥٣	شهقة الأرجوان	١٩٩٨	الطريق إلى نجمة الصبح	فلسطيني	محمد حامد
١٨ - ١٧	وطني	في السبعينات	أسد العروبة	سورية	عفيفه الحصني
٤٥ - ٤١	عشق لميون دمشق	السبعينات	ياقدس	سوري	عدنان براري
٥٠ - ٢٧	الكتابة على أعمدة الشمس	نهاية السبعينات	رسائل شادية	لبناني	نجيب جمال الدين
٢٧ - ٢٦	ليك يا أقصى	ماين - ٢٠٠٠ ٢٠٠١	العذراء البتمة	سوري	محمد إبراد عكاوي
٨٤ - ٨٢	القدس في القلب والأسر	ماين - ٢٠٠٠ ٢٠٠١	إلى الأقصى	سوري	عززان حجازي
١٤٢ - ١٣٥	القدس في القلب والأسر	ماين - ٢٠٠٠ ٢٠٠١	من أجل القدس	سوري	عززان حجازي
١٦١	القدس في القلب والأسر	ماين - ٢٠٠٠ ٢٠٠١	القدس أخت بيروت	سوري	عززان حجازي

### الحنين إلى القدس

إن الحنين والأنين إلى القدس لم يترك قلباً إلاً وقطع نياته، ولم يدع عيناً إلاً  
وسلبها لذة نومها، كيف لا.. بعد وطنٍ ومعاناة غربة، وبكاء شوق لأرض

أجداد جمعت رسالات السماء، مهد عيسى ومراجع محمد ﷺ وقبور أنبياء، ضمن هذا الحنين تعرضت كثير من قصائد الشعراء إلى القدس، وقد تناول أصحابها ماحل بأهلها من تشريد وغربة وألام جسمية ونفسية، حولت شوقهم إلى وطنيم شرعاً يتفجر حيناً إلى يافا وحيفا والقدس، إلى غزة وجنين واللد .. وهذا لسان حال كل فلسطيني ومن غادروا وطنهم مضطربين لا مختارين، إذ لا شيء أصعب على المرء من مفارقة وطنه وإخوانه، كيف وقد مضت أيام بل سنون وترامت المعاناة والهموم، ويتناول المبعدون بفارغ الصبر بارقةأمل لزروع الفجر في ربوع الوطن، إذ لم يروا ما هو أجمل وأحسن وأطيب عطراً من وطنهم، ولذا حنوا له وتغنووا به، يصرخ الواحد منهم من وراء البحار والمحيطات: ليك يا قدس، قلوبنا دامية، وعيوننا باكية، نسمع صرخاتك العالية، ونشعر بالآلم الشاكية، لا والله لا ننساك يا أمتنا الغالية، سند وبدن الله تعالى إلى ربوعك بسواعدنا ودمائنا الزاكية.

### ١. القدس وأهـ الأربعينيات

الحنين إلى القدس شعور سار في عروق كثير من قصائد الشعر المقدسي، كيف لا، أولم يكن حب الوطن من الإيمان؟ ويعظم هذا الحب كلما عظم الوطن، وكبرت الأحلام به، وبالعودة إليه، وهل ترجع القدس إلى أهلها؟!؟ فلقد صور لنا حسن البحيري في قصيدة (للفلسطين أغني - ١٩٤٨م) الأسـى الذي يكوي جنبات صدره وهو يلقـي نـظرة الوداع على الأقصـى، وحالـه حال جميع أبناء الشعب الفلسطيني، الذين فارقا وطنـهم مـرغـمين بـقـوة السلاح الصهيوني، تصوـيراً اـمـتزـجـتـ فيه آلامـ النفسـيةـ والجـسمـيةـ، بعد ما أـرـغمـ الشـاعـرـ عامـ «١٩٤٨ـمـ» علىـ مـغـادـرـةـ وـطـنـهـ موـدـعاًـ الـقـدـسـ وـاقـفـاًـ بـبابـ المسـجـدـ الأـقـصـىـ يـتـفـجـرـ قـلـبـهـ حـزـنـاًـ وـيـبـكيـ بدـلـ الدـمـوعـ دـمـاًـ قـائـلاًـ:

وقفتُ بالمسجد الأقصى أسائلهُ والنارُ في جناتِ الصدرِ تَسْتَبِعُ  
وأذْمَعَ القلبِ تَسْتَلِي مصاوبُها من مُهْجَجِي دَمَعَ عَيْني وهي تَهْمِرُ<sup>١</sup>

## ٢. القدس في حنين الخمسينيات

لقد تمكّن حب الوطن من قلوب أبناء فلسطين وامتزج هذا الحب الصادق بجرح الغربة وألم التشرد، ولعلّ مسألة الغربة والحنين إلى القدس لدى هارون هاشم رشيد تبدو أكثر عمقاً إذ تجده يفتح كل بيت من أبيات قصيده (غرباء - ١٩٥٤) بلفظ غرباء، إحساساً منه بمرارة التشرد والابتعاد عن الوطن الحبيب كيف وإذا كان الوطن هو القدس لا غير.

غرباء؟! سلوا فلسطين عننا سلوا كل ثورة كيف كنّا  
غرباء؟! ونحن من جبلانا راندفينا مشاعلاً وانطلقنا  
غرباء؟! ونحن من ثبت المقدّس من يتها المطهّر جتنا  
نستشفّ من شعر هذا الشاعر أنّ واقع الغربة قد تجاوز قضية العطف والشفقة، إذ جعل تعاطف الشاعر مع المشردين والنازحين يمتاز عن تعاطف الآخرين من الشعرا بصدق الحنين وزفة الأنين مؤكداً على العودة مهما طال الزمن وكلف الشمن، ولذا في قصيدة (العودة - ١٩٥٥) يرى الشاعر الشاعر هارون رشيد أنه ليس من الممكن أن تتم العودة إلى القدس، أرض الأجداد إلا عن طريق الكفاح، والثورة، وانتفاضة الأمة إذ يقول:

وأدعوا صاحبي.. أصحاب الحياة وأجمعُ للملتفى أخوتي  
سأجمعهم في صعيد الكفاح وفي نقطة البدء والوثبة  
وأجمعهم حول أرضي التي تсадي وتهتف بالنجدة

١. الفلسطين أغني: ص ٨٣

٢. هارون هاشم رشيد، مع الغرباء: ص ٧٣ - ٧٤

وأدفعهم للقاء الحبيب إلى موعد الشار للعودة  
إلى أرضهم، أرض أجدادهم إليها إلى مهبط العزة  
إلى القدس تواقه للقاء إليها إلى اللدّ للملة<sup>١</sup>  
وأما سليمان العيسى فهو يرى التشرد الذي يرمز إليه بالخيمة التي  
احتضنت مأساة المشرد ولو عنده، ولكنه يرفض الاستسلام للأمر الواقع مهما بلغ  
من التردّي فيمتلى عزيمةً واندفعاً في الرفض لذلك، ولا يعرف التراخي ولا  
التواني، فهو يدعوا على نفسه بالعار والشمار إن غفل عن السير في ركب أمجاد  
أمته التي يعتبرها باعثاً على الرفض والمقاومة حتى تحقيق النصر والعودة إلى  
الوطن، فيقول في قصيده (نشيد العودة - ١٩٥٩):

تعيتْ خيامي السود، أثقلها دمي  
وشكتْ،

يا وَصْمَةَ الأَجِيَالِ.. لَا فَارَقْتِي  
إِنْ نَمَتْ بَعْدَ الْيَوْمِ عَنْ أَمْجَادِي  
عَنْ أُمَّتِي، فِي كُلِّ درْبٍ مِرْفَقَةٌ  
مِنْهَا، وَمُلْتَفِعٌ ظَلَامٌ سَوَادٌ  
أَنَا عَائِدٌ.. فِي الْقَدْسِ لِي اِنْشُودَةٌ  
وَقَصِيدَةٌ لِلنَّصْرِ فِي بَغْدَادٍ.<sup>٢</sup>

### ٣. حنين الستينيات

كلما مرّت الأيام اشتَدَّ ظلام المأساة وعمق الجرح الفلسطيني، وارتفع صوت  
الحنين للوطن. ولقد انعكس هذا على بعض شعر القدس وجعل بعض قصائده

١. عودة الغرباء: ص ٢٣ - ٢٤.

٢. سليمان العيسى، الأعمال الشعرية: ٢ / ٢٦ - ٢٧.

مشحونة بالتوتر، غارقة بمصاب الوطن السلبي، حاملة الهموم الجسام كما نجدها عند الشاعر حنا جاسر في قصيدة (سمفونية.. من أعماق النوى - ١٩٦٠) حينما تذكر الماضي والكرامة والعزة في أكنااف وطنه وقارنه مع مأساة الحاضر، رأى نهاره ليلاً وليله بلا قمر، يعيش الظلام الجاثم على الصدور بعدما أصبحت القدس يعيث بها الغاصبون فساداً وانتهاكاً، وهذا الذي جعل الشاعر يتجرع كؤوس المراارة التي تكاد تزهق روحه، فقد بددت قسوة الاحتلال آماله وساحت براعم أماته النابضة بالروعة فأردتتها خاوية من كل

معنى كان يملؤها حياةً وحيوية، ومن هذا القبيل قوله:

.. وهكذا تُبَرِّ الأَيَامُ مُفْرَغَةً عصيرها المر في روحي وفي بصري  
في كل ثانية بُشري.. فإن وضحتْ عاد الجفافُ يُغْطِي سطح مُنْحدري  
وكلَّما بَرَعْتُ فِي الْأَفْقَ أُمْنِيَّ عاشرتْ بأوراقها دَوَامَةُ الْقَدْرِ  
أَنَا الَّذِي كَانَ لِي فِي الْقَدْسِ مُمْلَكَةً عَلَى الْكَوَاكِبِ وَالْأَطْيَارِ وَالْزَّهْرِ  
أَمْسِيَتُ.. وَالخَصْمُ يَلْهُو فِي أَشْعَنْهَا أَجْسَلَ لَيْلِي فَأَلْقَاهُ بِلَا قَمَرِ..  
تَهَدِي يَاغِيُومَ الْيَاسِ وَانْفَرْجِي عن بُسْمَةٍ تَبَعُثُ الْمَدْفُونُ مِنْ أَمْلِيٍّ

هذه القصيدة من القصائد الطوال التي ذكر الشاعر القدس فيها وصور بعض ماحل به وبالشعب الفلسطيني المضطهد ومائاته اللاجئون من مواقع الغربة عن الوطن ودفعه حضنه، فحزنه - في أبيات القصيدة - على فلسطين والقدس يبدو أنه طويل وطويل، ممتد من النكبة والنكسة حتى اتصل بجمرة الغربية واستمر الجوى إلى أن غطى ظلامه أفق الأمل عند الشاعر.

وأما قصيدة (مزامير - المزار الحادي والخمسون - نهاية الستينيات)

للمحmod درويش التي يقول فيها:

ونغّني القدسَ  
ياأطفالَ بابلَ  
يامواليدِ السلاسلَ

ستعودون إلى القدس قريباً  
وقريباً تكبرون  
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي  
قريباً يصبح الدمع سنابل.

آه، ياأطفالَ بابلَ  
ستعودون إلى القدس قريباً  
وقريباً تكبرون.

وقريباً  
وقريباً  
وقريباً..  
هليويا  
هليويا..<sup>١</sup>

فهي على عكس ما عليه قصيدة (سمفونية) إذ تمتلئ قصيدة درويش أملاً متدفعاً جياشأ فيرى بعين البصيرة نهاية الاحتلال أصبحت قريبة فهو على يقين من أن عاقبة عصابة الإرهاب الصهيونية، الاضمحلال والزوال بعد المعاناة الشاقة والصبر الطويل، لابد من بزوغ فجر النصر والحرية، وستكتحل عيون أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم برؤية الوطن الحبيب وستتحول دموع المشردين من الشيوخ الركع والأطفال الرضيع ... إلى أزهار وسنابل بعد ما كانت رصاصاً وقنابل وبعد مادكت عروش الطغاة وحطمت التبود والسلسل،

١. محمود درويش، ديوانه: ١٠٠ / ١

فالشاعر يرى هذا الحدث ويشكّاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك.  
وهكذا درويش بث الأمل في النقوس في موضع آخر من القصيدة نفسها  
حيث لم ير بينه وبين القدس أيَّ مسافة وأيَّ بُعد إذ يحنّ لأورشليم قائلاً:  
أورشليم! التي عَصَرْتُ كلَّ أسمانها

في دمي  
خَدَعْتَني اللغات التي خَدَعْتَني  
لن أسمِيكِ  
إني أذوبُ، وإن المسافاتِ أقربُ  
وإمام المغنين صَلَكَ سلاحًا ليقتلني  
في زمانِ الحنينِ المعلَبُ<sup>١</sup>

#### ٤. القدس وحنين السبعينيات

تمضي ثلاثة عقود من الزمن والحنين إلى القدس يزداد يوماً بعد يوم ويمتزج  
الحزن بحنين الشوق ليُعبر عن الشعب الفلسطيني والحالة التي يعيشها من  
فقر، وتشريد وغربة، ومساة، ولكن العيون المبعدة شامخة ترنو إلى طريق  
العودة والكل يترقب شروق الشمس على قباب المسجد الأقصى، والأذان  
صاغية لاستماع تكبير النصر من مئارات المقاومة والصمود، وأجراس الفرح  
من كنائس المسيح، فقد تفاءل شعراء القدس بهذه اللحظات إيماناً منهم  
بعجلة التاريخ وسيرها السريع نحو النصر الذي أصبح على الأبواب بعد ما  
ملك الشعب الفلسطيني زمام الأمور وآلى على نفسه أن لا يرضى غير السلاح  
علاجاً لطاعون الغصب والاحتلال، وهذا ما لمسناه من الشاعرة هند هارون  
في قصidتها (نداء الأرض - ١٩٧٠) فلقد أبدعت في تصوير هذه الآمال التي

باتت ومضاتها تبشر بطلع الفجر وابتسامته في أفق القدس اذ تقول:

حملت رياح القدس.. من تربى.. شذا  
عبقت.. بنفحته.. ذري.. شماءُ  
فانساب في الأكواخ.. يلمس هائماً  
تلük العجاه.. وللعجباه.. صفاءُ..  
فإذا بروح.. في الخيام.. جديدةُ  
وإذا القنوط.. توئب.. ومضاءُ  
بعث الشذا فيها.. تحفَّز.. أمَّةٌ  
تحبي كرامتها.. ولاخ.. ضياءُ..  
شب الصغار.. وقد لمست قلوبهم  
وتساءلوا.. هل عودة ولقاءُ..  
أنعيش.. لا أهلٌ.. ولا وطن.. ولا  
أرض.. وتزعمُ.. أنا أحياء..<sup>١</sup>

فالشاعرة أشارت إلى الشارة التي اندلعت وطارت بها الرياح القدسية لكي تحرق جذور القنوط واليأس عند النازحين سيمًا عند الأطفال والشباب الذين ولدوا في ديار الغربة ولم يتعرعوا بكنف الوطن، فراحوا يتساءلون ويسألون الكبار عن الوطن مما يزيد حنينهم له.

الشارة القدسية لم تقتصر على بث الحياة الجديدة والأمل بالعودة عندهم فحسب بل أضاء شعاعها الأمة كلها. وأما الشاعر المغترب إلياس قنصل فهو رغم مراة الغربية وجرائمها لا يكتم حب وطنه ولا يخفى الإيمان العamer به قلبه، ويصرّح بأنه ليس من الممكن أن يتحول بعد المسافة ومرور الزمان بينه وبين وطنه أو ينال من حبه الصادق وشوقه المتزايد له، والذي يحمله في قلبه أتى

١. هند هارون، سارقة المعبد: ص ٧٥

ارتحل واتنى حلّ، فيقول في قصيدة (شهيد ميسلون - ١٩٧٠):

وقفت على الوطن المحبوب غربتنا

وشوقنا، ومرام دربه خشنٌ

إن فاتنا سؤددُ الحررين فيه ولم

يختتم رغائبنا بالعودة الزمنُ

ما فاتنا أن نوالى حمل رايته

فحيث كنَّا يكن في سرنا الوطن<sup>١</sup>

ثم يوجه الخطاب للعدو وينصحه بأن لا يتبعَّج ويفرح لأن انتصاره

سوف يبدئ بالهزيمة ويحرر القدس مهما تحصن العدو الغاصب وامتلك من

إمكانيات مادية:

لا يفرحن العدُى ليس انتصارُهُمْ

إلا سراباً إليه يجمع الهوسُ

شبر من القدس لن يبقى بحوزتهم

مهما تحصن في الأعور<sup>٢</sup> النجسُ<sup>٣</sup>

وأما هارون هاشم رشيد فلقد أمضى معظم حياته في الغربة حينياً إلى القدس، وسكنَّ هذا الحنين شرعاً وهذا ماتراه جلياً في قصيده (زيونة - في

السبعينيات) إذ أصبحت القدس لديه ناراً يتلظى بها جسمه، وجرحاً سخيناً في أعماق قلبه، ومعشوقاً فقد من أجله عقله، وبلغ الشاعر في هذه القصيدة ذروة

تعبيرية لعله تفرد بها حين يقول:

١. إلياس قصل، الحان الغروب، (القيت القصيدة تكريماً لذكرى يوسف العظمة شهيد ميسلون عام ١٩٧٠): ص ٩٤ - ٩٥.

٢. الأعور النجس، ظاهراً إشارة إلى مناحيم ياجين أو موشي ديان رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك.

٣. المصدر: ص ٩٥.

أحِبْك ياقدس، لا تسائلني  
لماذا، وكيف، وماذا أحِبْ  
فإِنِّي حملتك جرحاً سخيناً  
بأعماق قلبي، ناراً تشبُّثُ  
أنا عاشق، مدنس مستهام  
أنا تائق، ومشوق وصَبَّ  
تدَبَّين فيَّ، دبيب الدماء  
فيخفق باسمك في الصدر قلبُ  
أحِبْك ياقدس، هذا هوايَ  
إِلَيْك كشلال نهر يصبُّ<sup>١</sup>

فترى حبَّ القدس في هذه الأبيات اختلط بدم الشاعر ولحمه، فأنفس حياته باتت منوطَة بوجود تلك المدينة الصامدة، ونبضات قلبه متيمة على اسمها، وكل دقة من دقاته ينادي ياقدس.. ياقدس.. ياقدس فیناجيها محبوبة تأكل تفكيره حباً وهياماً، فنراه غارقاً في بحر متلاطم من التفاؤل والأمل بالغد الآتي القريب الوشيك كما نشاهده في الأبيات التالية في القصيدة نفسها:

أحِبْك ياقدس لا تسائلني  
لماذا؟ وكيف؟ وماذا أحِبْ  
سيزهر لابد يوماً ربيعك  
يزهر لابد يوماً يهُبُّ  
ولابد للعاشق المستهام  
 وإن طال ليل وأظلم دربُ  
بأن يلتقي، بهواه الكبير

فيحلو اللقاء، يزدان قرب  
على صهوة في رياح الفداء  
يجيء إليك مع النصر شعب<sup>١</sup>

فأمله قوي في العودة ولقاء الحبيب، تلك الأرض المقدسة التي بارك الله  
فيها، أرض الأهل والأجداد وإن طال ليل المأساة واشتدت ظلمة الطريق.  
فالشاعر واثق بالنصر وعودة جماهير شعبه المظلوم.

#### ٥. حنين الثمانينيات

القصائد التي تمثل الحنين في هذه الفترة قليلة جداً وما وجدناه منها فهو مزيج من الحنين والحماس كما نجده عند الشاعر الفلسطيني محمود حامد وهو يتحدث عن القدس في لهفة وشوق، وبروحه الشفافة والحسابة يصور مدى إخلاصه، وتقانيه لموطنه، يعلوه صوت الحنين حينما يصف العشق المتبدل بينه وبين القدس، ذلك العشق العميق الذي يذوب فيه الشاعر، يحمله الحب لكي يتجلو مع الرياح في أرضه المحتلة فيؤلمه مشهد المأساة وعمق الجراح فيقول في قصidته (داخل الجرح - ١٩٨٥م):

وأنّي إلى مُقلةٍ تشتهي

أجنٌّ بها صَبْوَةً، أوْ أذوبُ

تقاسمتُ الريح هذِي البوادي

وقلتُ: إلى أين تمضي الدُّرُوب؟!!؟

وأنّي إلى دمعةٍ أوجعوني

أميِل عتاباً..

وأنّي إلى رايةٍ في الهضابِ

أميل دمًا عاشقًا لا يغيبُ  
 فكم شفَّ عند الرَّفيفِ صباحاً،  
 ولا ذلت بها في الخطوب الخطوب!!!؟  
 وقلتُ إلى الشَّامِ خذني سلامًا  
 إلى القدسِ خذني،  
 إلى خندق يمتطيه الجنوبُ  
 فما أخطأت نبضةً في هواها،  
 ولا كان في خافقِي ما يُرِيبُ<sup>١</sup>

في عقيدة الشاعر أن الحب والدم هو الرمز الذي يجعل راية التحرير خفافة، والتي يامكانتها أن تفسر حلم العودة إلى الديار لأن العودة في ظل الاحتلال الصهيوني أمر مستبعد بل محال، الراية التي عشقها الشاعر وأعلن استعداده - كبقية أبناء شعبه - أن يضحي بالغالى والنفيس في سبيل علوها، هي الراية التي رفرفت في جنوب لبنان وأخذت ترفرف في ربوع القدس، ولا ريب أنها ستبقى خفافة عالية، ورمزا يلتجأ إليه كل مظلوم ومغضوبه يأمل أن يرفف قلبه بالحرية كرفقتها.

لقد خسر المواطن الفلسطيني وطنه وأرضه وأبعد عن دياره ظلماً وعدواناً، لكنه لم يخسر ذكرياته التي ضمّنها قلبه، لذا ترى عيونه تبقى ترنو وتهفو إلى ربوع أرضه حتى ولو توفّرت له في الغربة كل وسائل الراحة وكل المشتهيات، فالحياة في الوطن لا يمكن أن يحل محلها شيء .

فالشوق إلى الوطن والغرام به جعل الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد يغّي القدس ويحن إليها وما أذنب ألحانه عند ما يقول في قصيده (نحالين<sup>٢</sup> - نهاية الثمانينيات)

١. محمود حامد، بستان: ص ٨٦-٨٧

٢. نحالين: قرية فلسطينية داهمتها قوات الاحتلال ليلاً وقتلت تسعة من أهلها.

يافلسطين والحياة اذْكَارْ طال شوق، ولَجَ فِنَا الحُنَينُ  
 نحن في الْبَعْد مَا بَعْدَنَا وَفِنَا نحو قدس الْهُدَى تَرَفَ عَيْنَ  
 وَعَلَى الْأَفْقِ تَنْجُلَيْ ظَلَمَاتٍ تَطْلُعُ الشَّمْسُ يَفْرَحُ الْمَحْزُونُ  
 وَنَعِيدُ التَّارِيخَ عَزْمًا قَوِيًّا فِيهِ بَدْرٌ وَآخْهَا حَطَّيْنٌ<sup>١</sup>  
 فَهَذِهِ الْأَيَّاتُ صَادِرَةٌ عَنْ قَلْبٍ مَكْلُومٍ يَحْنُّ إِلَى وَطَنِهِ الَّذِي هَجَرَهُ رَغْمًا  
 عَنْهُ، يَحْلِمُ بِالْعُودَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ زَوْالِ ظَلَامِ الْعُدُوَانِ الصَّهِيُونِيِّ وَتَلْقَوْشُمْسُ  
 التَّحرِيرِ مَعًا.

وَأَمَّا حَسْنُ الْبَحِيرِيِّ فَقَدْ هَزَّ الْأَلَمُ أَرْكَانَهُ وَأَدْمَى قَلْبَهُ، فَهُمُومُهُ هُمُومُ شَعْبِهِ  
 الْمَظْلُومِ فَمَا عَرَفَتْ عَيْنُهُ لَذَّةَ نُومٍ وَمَا هَدَأَ لَهُ بَالُ مِنْذُ أَرْغَمَ عَلَى تَرْكِ وَطَنِهِ،  
 وَنَتْيَاجَةً لِقَسْوَةِ الْاِحْتِلَالِ إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يَرْقُدُ فِي الْمَسْتَشْفَى بَيْنَ تَارَةٍ وَآخَرَى  
 لِعَلاَجِ الْجَدَارِ السَّفْلِيِّ مِنْ قَلْبِهِ، وَلَكِنَّ الْحُنَينَ إِلَى الْقَدِيسِ لَمْ يَفْارِقْ حَنْجَرَتِهِ  
 حَتَّى وَلَوْ كَانَ عَلَى سَرِيرِ الْعَلاَجِ فَفِي قَصِيْدَةِ (وَهُنَّ فِي الْقَلْبِ - ١٩٨٩) يَقُولُ:  
 لَقَدْ كُنْتَ يَا قَلْبِي عَلَى كُلِّ شَدَّةٍ كَانَ الْحَدِيدُ الصَّلْبُ فِي الصَّدْرِ كَوَافِكَ  
 فَكَمْ دَهْمَشْلَكَ الْحَادِثَاتُ بِعُسْنِرِهَا قَلْمَنْتَهُ فِي غَمْرَهَا وَلَا الْكَرْبُ لَيْنِكَ  
 وَلَكِنَّ جُرْحًا فِي «الْقِيَامَةِ» نَازِفًا وَفِي «الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» دَهَاكَ فَأَوْهَنَكَ<sup>٢</sup>

## ٦. حُنَينُ التَّسْعِينِيَّات

تَوَاصِلَ حَدِيثَ الْحُنَينِ إِلَى الْقَدِيسِ وَالْحَلْمِ بِالْوَطَنِ الْمَفْقُودِ فِي عَقْدِ  
 التَّسْعِينِيَّاتِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ الْقَدِيسِ لِيَعْكُسَ مَا يَدُورُ فِي أَذْهَانِهِمْ، وَمَا  
 تَكْتُوِيْ بِهِ قُلُوبُهُمْ. وَهَذَا لِسَانُ حَالٍ جَمَاهِيرُ أَمَّتَنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ فِي شَرْقِ  
 الْأَرْضِ وَغَربِهَا، مِنْ هَذَا الْحُنَينِ قَصِيْدَةُ الشَّاعِرِ السُّورِيِّ عَبْدِ اللَّطِيفِ مَحْرَزٍ

١. كمال عبد الرحيم رشيد، *القدس في العيون*: ص ٥٠

٢. حسن البحيري، *ديوانه لعيبي بلادي*: ص ٩٩

(جائني البحر - في التسعينيات) يحن فيها القلب فلسطين، قدس الأقداس ويستذكر حكايا الأهل والأجداد، وأخذ الشاعر يتساءل كيف ينسى سجل فلسطين وما يحمل في طياته من آيات فيقول:

يا فلسطين، يا أنسكاب السماء في الصلوات  
أترانا نسي حمّاك في القلب بـ نداءً معتق الجمرات؟  
أترانا نسي الدماء شهيداً وحكايا الأجداد والجادات؟  
أترانا نسي القيامة والأقصى وما في الكتاب من آيات؟  
كيف ننسى، وكل تاريخ هذا الشعب نار في موقد الذكريات!!!!  
فلا يمكن للشاعر بل لكلَّ صاحب ضمير أن ينسى تاريخ الشعب الفلسطيني وذكرياته الحبيبة وما مرَّ عليه من تشريد، وقتل، وإبادة، وسفك دمٍ وهتك عرض و...، فهذه الويالات جعلت القدس وفلسطين حرارة تفقد في قلوب عاشقها لا تبرد إلا بتحريرها والرجوع إليها.

جدول أهم قصائد الحنين إلى القدس العربية والإسلامية حسب

الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٨٦ - ٨٣	ديوان فلسطين أغنّي	١٩٤٨	للفلسطين أغنّي	فلسطيني	حسن البحيري
١١٤	ديوان صواريخ	١٩٤٨	إلى أورشليم	فلسطيني	راشد حسين
٥٣ - ١٤	ديوانه، النازحة	١٩٤٨	نشيدة أيام	سوري	محمد حسين شمس الدين
٧٤ - ٧٣	ديوانه، مع الغرباء	١٩٥٤	غرباء	فلسطيني	هارون رشيد
٣٠ - ٢٦	الأعمال الشعرية ج ٢	١٩٥٥	نشيد العودة	سوري	سليمان العيسى

١. عبد اللطيف محرز، ديوانه شجرات الدماء: ص ٤٦.

٥٥ - ٤٩	واحة الجحيم	١٩٦٠	أجراس مندليوم	فلسطيني	يوسف الخطيب
٥٦ - ٤٨	أمة وجراح	١٩٦٠	سمفونية	فلسطيني	حنا جاسر
٤٠٠ - ٣٨٦	ديوانه ج ١	في الستيات	مزامير	فلسطيني	محمود درويش
١٥ - ١١	الكافية على أعمدة الشمس	في الستيات	ذات السوار	لبناني	نجيب جمال الدين
٦٠ - ٥٥	الأعمال الشعرية	من أغاني الكتعانين	في الستيات	فلسطيني	عز الدين المناصرة
١٦١ - ١٥٧	الأعمال الباب	محاورات الباب	في الستيات	فلسطيني	عز الدين المناصرة
٧٥ - ٧٣	نداء الأرض	العالى			هند هارون
٩٧ - ٩٠	شهيد ميلتون	سارية المعد	في الستيات	سورى	إلياس قصل
٧١ - ٦٨	زيتونة	مفكرة عاشق	في الستيات	فلسطيني	هارون رشيد
٩٢ - ٨٤	داخل الجرح	بيسان	١٩٨٥	فلسطيني	محمد حامد
٥٠ - ٤٩	تحالين	القدس في العيون	في الستيات	فلسطيني	كمال رشيد
٣٨ - ٢٧	رسالة في عبد	رسالة في عبد	١٩٨٨	فلسطيني	حسن البحيري
٩٩	وهن في القلب	لعني بلادي	١٩٨٩	فلسطيني	حسن البحيري
٤٨ - ٣٨	جامعى البحر	شجرات الدماء	الستينيات	سورى	عبد اللطيف محرز
١٧١ - ١٦٣	ربيع مذبحة	حجارة الشاعر	٢٠٠٠	سورى	مصطفى الخضر

### استصراخ الضمائر العربية

الضمير، هو المحكمة العادلة التي أودعها الله سبحانه في وجود كل إنسان لتحكمه وتؤنبه، وتوجه اللوم والعتاب إليه إزاء تقصيره وأفعاله التي لا تليق به، وتحمله على التدارك. ولعظمة هذه المحكمة أقسم بها المولى في كتابه الحكيم حين قال ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالْقُسْسِ الْلَّوَامَةِ﴾<sup>١</sup> فما من فرد من البشر إلا وسمع صوت هذه المحكمة المسماة بالضمير والوجودان عند

توانيه وقصصه وعدم قيامه بالواجب - إن لم يتم ضميره - ومن هذا المنطلق بادر شعراء شعر القدس بتوجيه خطاباتهم لمؤاخذة وتأييد تلك الضمائر التي جلبت النكبة والنكسة و.. للشعب الفلسطيني وللأمة العربية والإسلامية وما ترتب عليها من آثار وتداعيات على مختلف الأصعدة إلى يومنا هذا. ومن جانب آخر حاول أولئك الشعراء أيضاً تأجيج الضمائر وتعبيتها للثورة بوجه العدو وتطهير القدس وكل الأرضي المقدسة من رجم الصهاينة والمستوطنين المحتلين الذين أماتوا ضمائرهم بقتل الأسراء وتشريد الأحياء وإبادة الحرج والنسل وكأنه أحدهم خلق بلا ضمير يحاسبه ولا وجдан يردعه، وخير دليل على المدعى العربدة الصهيونية التي كانت وما زالت تفتكت بالشعب الفلسطيني المضطهد.

### ١. الضمائر العربية في خطاب الأربعينيات

وما أكثر القصائد الشعرية التي تكتنز هذا المضمون والتي أخذت على عاتقها خطاب الضمائر العربية في شرق الأرض وغربها كما نلاحظه عند عمر أبي ريشة في قصيدة (حمة الضيم - ١٩٤٨) محاولة منه لإثارة وجدان وضمير الأمة العربية وقادتها إلى مجازر الصهاينة وما يعانيه الإنسان العربي والمسلم، وكيف يذبح وكأنه حمل بيد الجزار، وكيف تهدم المدن والبيوت على أهلها وكيف تجث جذور الفلسطينيين - مسلمين ومسيحيين - من أرضهم ثبيتاً لاحتلاله الغاشم ووجوده اللاشرعى فيقول:

المجد يخجل أن يجعل الطرف في	ما هم الجبناء من أسواره
فكأنه من نيله لفراته	حمل تجاذبه يدا جزاره!
ما ذنب فتيه إذا شبّت ولم	تلمح بترته خطى أحراره
تركـت لها آباءـها الـإرثـ الذي	يبقـى مـطـوـقـها بـلـعـنـةـ عـارـهـ

هل في روابي القدس كهف عبادة تحنو جوانبه على أحجاره  
 خشب الصليب على الرمال مخضب<sup>١</sup> بدماء من نعموا بطيب جواره<sup>٢</sup>  
 فالشاعر خاطب الضمائر الحية بأن لا تمنع الشباب عن الالتحاق بالأحرار  
 والثوار لكي تغسل الذل والعار الذي لحق بها، إذ القدس أرث لأبنائها ليست  
 للصهاينة ولأحبارهم كما يزعمون، وأن ماحدث ويحدث من حصد آلاف  
 المدنيين الأبرياء وتواصل نزيف الدم العربي والإسلامي في فلسطين على  
 أيدي العصابات الإرهابية الصهيونية جعل حسن البحيري يوجه نقده اللاذع  
 بلهجة ثورية تعلوها الحدة والعتاب إلى بعض ملوك العرب في قصيدة (عني)  
 الملوك - ١٩٤٨م) حين يقول:

أما فيكم ملوك الغرب ذو هندي ولا مرشد  
 يخفُّ لنصرة الإسلام لما صاح واستشجد  
 فلو أبصرتمو «صهيون» لما هبَّ واستأسدَ  
 وصالَ على كريم العرضِ صولةً غاشمًّا انكَدَ  
 وهل أبقى الخنوع لهم من الغيرة ما يختَدَ؟!  
 ولو بعدتْ بهم دارٌ وراءَ الأمدِ الأبدَدَ  
 لقلنا هاض ريش جاحهم عصفَ النوى المختَدَة  
 ولكنْ صدَعَ «الأقصى» وزُلزلَ رُكْنَه المُشتَدَّ

فالبحيري لا يرى سبباً وجهاً لعدم نصرة الشعب العربي والإسلامي في  
 فلسطين الحبيبة، لا بعد الجغرافي ولا غيره من الأسباب، وذكر الشاعر أن  
 علة الطغيان الصهيوني وعنجهيته إلى هذا الحد من هتك الأعراض وسفك

١. عمر أبو ريشة، ديوانه: ٥٢ / ١.

٢. حسن البحيري، حيفا في سواد العيون: ص ٧٦ و٧٧.

الدماء هو الخنوع وعدم وجود الغيرة العربية والإسلامية لدى البعض، وهذا الذي أودى بالأقصى وزلزل أركانه أسيراً بيد الدولة العنصرية لا غير.

## ٢. الضمير العربي في الخمسينيات

استمر استقرار الضمائر العربية في شعر القدس، والذي حاول الشعراء فيه استئناف الضمائر الحية، واستثارتها، وحث وجдан الأمة العربية والإسلامية، لكي تكون بم مستوى المسؤولية تجاه قضية القدس الشريف، إذ فلسطين قضية الأمة ورمز عزتها فلا بد من العمل في سبيلها وتكريس كل الإمكانيات المادية والمعنوية من أجلها، ولا بد من شجب كل الأعمال التي تصدر على خلاف مصلحة الشعب الفلسطيني المنكوب، لأن ذلك خلاف الضمائر الحية وخلاف الوجдан اليقظ كما صرّح به عمر أبو ريشة في قصidته (هكذا - ١٩٥٤) إذ استذكر ماصدر عن أحد الرعایا العرب في بريطانيا آنذاك، حينما أنفق ستين ألف دولار على عشيقته ولم يصرفها في الاتجاه الفلسطيني حين يقول:

قال.. ياحسناء ماشت اطلبني فكلاتا بـالغالوالي مولع<sup>١</sup>  
ثم يواصل قوله:

والبطولات، على غربتها في معانينا، جياعُ خُشْعَ  
هكذا.. تُفتحم القدس على غاصبيها.. هكذا! مسترجع<sup>٢</sup>!  
فالشاعر يعتقد بتخثير كل ما يمكن من خلاله خدمة فلسطين والقدس  
في سبيل تحريرها، يهزاً بالذين يبذلون الأموال في الأعمال المستهجنة  
والبعيدة عن الأخلاق الحميدة.

١. عمر أبو ريشة، ديوانه: ١ / ٥٨.

٢. المصدر: ١ / ٥٨.

وأما الشاعر حسن البحيري ذي الوجدان النابض فوجه خطابه العتبي لضمير الأمة وقادتها سائلاً كيف يمكن للأمة العربية أن تقف متفرجة على هذه المأساة وتسمع نداء القدس وهي تستغث بتلك الضمائر لنجدتها ولا تحرك ساكناً وتسرع لإنقاذها من براثن الاحتلال. وأخذ يتساءل الشاعر وكأنه غلب عليه اليأس إذ يقول في قصيدة (الأنهار الظماء - ١٩٥٨م):

وَجَرَاحُ الْقَدْسِ هَلْ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ جَوَاهِرَا  
وَقَدْ نَارٌ مَا خَبَا - مَذْ أَشْعَلْتُ - حَرُّ لَطَاهَا  
وَيَطَلُّ الدَّمُ يَجْرِي كَالْحَيَا فَوقَ ثَرَاهَا  
وَإِذَا نَادَتْ فَلَا يُسْمَعُ فِي غَوْثٍ نَدَاهَا<sup>١</sup>

من الصعب أن يرى البحيري ضمائر الأمة ووجданها على هذه الحالة المأساوية، متتجاهلة ما يعصف بها يومياً ويحاك ضدها، ولذا أخذ يتساءل: إلى متى تبقى القدس مكبلاً والنار تشتعل بأر كanhها منذ أن دلّها التيار الصهيوني المتطرف عام (١٩٤٨م).

### ٣. خطاب الضمائر في الستينيات

إن الضمير هو الصوت الباطني العادل والثور الذي يزغ فجر الحرية من أبوابه، إذ هو دائماً يدعو إلى الخير وتجحب الشر ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وما حل بالقدس من غضب واعتداء وسفك دماء هو المنكر نفسه والشر ذاته، ولذا حاول شعر القدس عرض القضية على الضمير العربي والإسلامي إثارة للحمية، وتصعيدياً للغيرة، وللامعان في عمق الجراح، وقد امتزج هذا العرض الشعري بالألم والحزن، وحرقة القلب، عند أكثر رواده لاسينا شعراً الأرض المحتلة أمثال

---

<sup>١</sup>. حسن البحيري، الأنهار الظماء: ص ٥٨.

الشاعر حنا جاسر في قصيدة (ملمس الرشاش - ١٩٦٩) فيما يلي الكلم، لا مجده ولا عظمه توافر الشّعرُ فِينَا، وانطوى الشّمَّ مِنْ أَرْضِهِ، دَنَسَتْ أَقْدَاسَهَا قَدْمَ الصَّمْتِ أَجْدِي لَهُ، وَالْمَوْتُ وَالْعَدْمُ أو ينفت الشّعر نيرانًا مسغرةً في كُلَّ فَاقِيَّةٍ، حَرَبَةً، وَدَمً عَارًّا نَزِينَ لِلذَّكْرِي مُنَابِرَنَا وَمِنْ بُرُّ الْحَقِّ سَادَتْ فَوْقَهُ الظُّلْمُ عَارًّا وَفِي الْقَدْسِ أَعْلَامٌ مَسْدَسَةٌ يَنْتَنِي تَحْتَ لَظَاهِرَاهَا الْقَبْرُ وَالْحَرْمُ<sup>١</sup> فأخذ الشاعر يهز الضمانات ويوقف الوجдан ويقمع غيرة الأمة وزعماءها بتكرار كلمة عار أكثر من مرة، وكأنه يرى الموت أجدر بالإنسان من أن يبقى حيًا وينظر إلى القدس يرفف فوقها العلم الصهيوني والشعب يعيش المأساة والاضطهاد وأرضه مدنسة.

أما قصيدة (المسجد الحريق - ١٩٦٩) التي نظمها برهان الدين العبوشي بعد المبادرة الصهيونية لحرق المسجد الأقصى، فقد خاطب فيها الوجدان العربي من المسلمين والمسيحيين معلناً أن المساجد والكنائس لله سبحانه، وطلب أن تهب الأمة لحماية القدس والمقدسات فيها من الأعداء إذ هي مدينة إسلامية ومسيحية وقد انتهك العدو قداستها، ولابد من حمل السلاح بوجه البطش والجبروت الصهيوني لتكون النتيجة هي تحرير القدس وطلوع فجر الحرية والعدالة:

يامسلمون ويا نصارى يغرّبُ لَمْ يَلْهُنِي الْأَقْصى بِنَارِ رَثَائِهِ  
إِنَّ الْمَسَاجِدَ وَالْكَنَائِسَ كُلُّهَا لَهُ فَاخْحُمُوا الْقَدْسَ مِنْ أَعْدَائِهِ  
فَإِذَا عَرَزْتُمْ فَالسَّلَاحُ سَيِّلُكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا تَلْقَوْا جَزَاءَ قَدَائِهِ<sup>٢</sup>

١. حنا جاسر، أمّة وجراح؛ ص ٨٣ و ٨٤.

٢. برهان الدين العبوشي، ديوانه إلى متى؛ ص ٢٧.

#### ٤. الضمير العربي في السبعينيات

القضية الفلسطينية كان لها النصيب الأوفر من نتاج الشاعر الفلسطيني محمود حامد، وليس هنا مستغرباً من شاعر مناضل وصاحب ضمير حيّ عانى فداحة المصاب وهو له، ورأه بأمّ عينه فهو يعيش لهب المأساة ويكتوي بظاهرها، مفتداً الذين تسبيوا بها تارة والمتخاذلين الذين لا يحرك ضمائرهم أبناء القدس ونجيبها تارة أخرى. فهو يهاجم باعة القدس ومفترفي الجريمة مرة ويتسلل بالنحوة العربية مرة ثانية، بنظم قصيدة (عوده الطاعون - ١٩٧٨م) قائلاً:

وصوتك الداوي يمزقني  
يمزقني  
يمزقني  
يمرُّ أمام باب المسجد الأقصى  
ويركع باكيًّا ويظل يصرخ: يا تراب المسجد الأقصى..  
أنا المغلول عبر جراح مصر، فمن يخلصني ؟؟؟  
أتياك يا تراب المسجد الأقصى  
فلا تنظر إلى بحزنك المذبوح.. إنَّ الحزن يقتلني  
حملتك يا تراب المسجد الأقصى بذاكرتي سنين طوال،  
كنت ملامح الأبطال، والشهداء، والأشعار،  
أتياك يا تراب المسجد الأقصى  
واسعة قبلتْ شفتيَّ وجهك، كنتَ تسقطُ أنتَ..  
قد باعوك ثانية، وثالثة، وعاشرة،  
لقد باعوك يا وطنني  
بكائك كيف تصبح في ثوان ملك إسرائيل،  
كيف قبابك الخضراء  
تنكسر البيارق فوقها؟؟؟ والريح تنعيها؟؟؟  
وكيف القدس عارية، أمّا مقابر الشهداء

تصرخ نخوة العرب الأباء،  
وليس من رجل يتباهى

هل الأرحام أضحت في زمان المحن خاوية؟؟؟  
وهل ساح الأباء عفت على أشلاء ماضيها؟؟؟

توجه محمود حامد بخطابه الحزين إلى نيل مصر قائلاً: هل يانيل  
تعرفني؟ فالشاعر حكى قصة الماضي المجيد وذكره بصحراء سيناء،  
والرابطة الأخوية، والعلاقة الودية التي كانت بينهم، متأسفًا على الحاضر  
الردي لأنّه تغير في الكثير!، فالجواب: أصبح النيل مكبلاً بالسلاسل والأغلال  
(لعل الشاعر يشير إلى معاهدة كامب ديفيد)، ويريد التخلص منها، معيّداً إلى  
ذاكرته بطولات الماضي، وملامح الأبطال والشهداء، استمر النيل ينادي كيف  
يمكن أن ترفف أعلام العدو الصهيوني فوق المسجد الأقصى؟ أين الضمائر  
الحية؟ أين النخوة العربية؟ أين الأمة الإسلامية؟ أين...؟

##### ٥. خطاب الضمائر في الثمانينيات

كلما مرّت السنون أخذت آمال شعاء القدس تذوب وتتبخر يوماً بعد يوم  
لأنّ أبناء يعرب ساكنون على الضييم وهم يرون جرح القدس ونزيفه  
ويسمعون أنيمه.

أما سليمان العيسى ففي قصيدة (الأرض ... والجسد - ١٩٨٩) يرى  
الكيان الغاصب قد شيد دولته على أشلاء الشهداء وبيوت أبناء وطنه،  
وهذا لم يحدث إلاً بعدما غاب الضمير العربي عن الساحة الفلسطينية وترك  
خنجربني صهيون في خاصرة القدس الدامية، وبعدما اتصف بالخدلان  
بعض الأنظمة العربية الذين عمدوا العترة الشعوب وتشتيتها بدلاً من

توحيدها، مع هذا كلّه يبدو الشاعر بأنه متفائل إذ يقول:

فوق دمي تَرْتَصِفُ  
«أنَّظِمَا» تَرْتَصِفُ  
«قِمَمَا» تَرْتَصِفُ  
عند قمعي وحده.. تَأْلِفُ  
والخِلافاتُ  
على وَادِي لا تختلفُ  
كانت الطَّغْةُ في القلب.. وشَقَّتْ جَسَدي  
فأنا شطراً.. لا يَتَقَبَّلُ  
عربياً كان منذ الطعنة الأولى الصراع  
عربياً.. سوف يَقْنِى نَرْدَى فيه.. تَشْقَى  
لم نَزَلْ نَسْقِيَه غالٍ دَمِنَا..  
عِرْقاً فِعْرَقاً  
عربياً كان ميدان الصراع  
ومن القدس.. إلى أقصى الجراحاتِ الزَّمَاعِ!

## ٦. التسعينيات وخطاب الضمائر العربية

الخطاب في هذه الفترة الزمنية يشبه الخطاب في المراحل السابقة، فاللهجة هي اللهجة، التقرير واللوم للضمائر الخامدة مرّةً، وإثارة الشعور والمرودة ثانية، أما الهدف فهو تحرير الإنسان الفلسطيني ووطنه من عبودية الاحتلال، ومن هذا القبيل أبيات الشاعر اللبناني عفيف النابلسي والتي نظمها في يوم القدس العالمي عام (١٩٩١م) إذ يقول فيها:

---

١. سليمان العيسى، الأعمال الشعرية: ٤ / ٤٥٠ و٤٥١.

ماضٍ إلى القدس في وُتُرِ من الزمنِ يَاعاشقَ القدس خَفَفَ ثُورَةَ الوسْنِ  
 خَمْسُونَ عَامًا وَقَدْسُونَ الْقَدْسِ مِنْهُكَهُ وَالْقَدْسُ تَصْرُخُ بِالشَّكْوِي وَبِالشَّجْنِ  
 أَينَ الَّذِينَ أَعْزَوُا الْقَدْسَ مِنْ زَمِنِ وَشَيَّدُوا فِي حَمَاهَا دَارَسَ السُّنْنَ  
 مَا بِالْهُمْ قَصْرٌ وَعَنْ صَوْنِ حَرَمَتِهَا كَانَهَا دَمْنَةٌ مِنْ سَازِ الدَّمَنِ  
 فَحَاوَلَ الشَّاعِرُ إِثَارَةَ الضَّمِيرِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ تَجَاهَ مَاحَدَثَ وَيَحدُثُ  
 فِي الْقَدْسِ وَبِأَوْلِيِّ الْقَبْلَتَيْنِ مَطَالِبُ الْضَّمَانِرِ بِأَنْ تَبَادِرَ إِلَى وَضَعِ حَدِّ  
 لَانْتِهَاكَ مَقْدَسَاتِهَا.

### جدول أهم قصائد موضوع استصراخ الضمانات العربية والإسلامية حسب

#### الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٢٠ - ١٤	ديوان، ج ١	١٩٤٨	حَمَاهُ الضَّيْم	سوري	عمر أبو ريشة
٧٩ - ٧٥	حِيفَا فِي سَوَادِ الْعَيْنَ	١٩٤٨	عَيْ الْمُلُوك	فلسطيني	حسن البحيري
٢٧ - ٢٥	دِيْوَانَهُ، ج ١	١٩٥٤	هَكَنَا	سوري	عمر أبو ريشة
٢٢٠ - ٢١٥	الأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ، ج ١	١٩٥٤	لَاجْنَةٌ فِي النَّظَارَةِ	سوري	سلiman العبيسي
٦٠ - ٤٧	دِيْوَانَهُ الْأَهْرَارُ الظَّمَائِيُّ	١٩٥٨	الْأَهْرَارُ الظَّمَائِيُّ	فلسطيني	حسن البحيري
٧٥ - ٥٩	وَاحَةُ الْجَحِيم	١٩٦٢	دَمْشَقُ وَالزَّمْنُ الرَّدِي	فلسطيني	يوسف الخطيب
٨٧ - ٨٣	أَمَّةٌ وَجَرَاحٌ	١٩٦٩	مَلَمَسُ الرَّشاشِ	فلسطيني	حنا جاسر
٢٨ - ٢٤	إِلَى مَتِّي	١٩٦٩	الْمَسْجَدُ الْحَرِيقُ	فلسطيني	برهان الدين العوشي
٤٨ - ٣٧	مَوْتٌ عَلَى ضَفَافِ الْمَطْرِ	١٩٧٨	عُودَةُ الطَّاغُونَ	فلسطيني	محمود حامد
٥١ - ٤٦	دِيْوَانَهُ السَّنَابِلِ	فِي السَّبعِينَاتِ	أَقْسَمَتْ بِاسْمِكَ	سوري	ناصر الخوري

٤٥٣ - ٥٤٧	الأعمال الشعرية، ج ٤	١٩٨٩	سليمان العبي
٨ - ٥	نفحات عاملية	١٩٩١	عفيف النابلي
١٣٩ - ١٣٢	حقائق وأوهام	٢٠٠٠	عبد اللطيف محرز

### إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق

لعلَّ من أهم الدواعي لشعراء القدس لإرجاع الأمة العربية إلى ماضيها المشرق هو تذكيرها بأمجادها والسابق من أيامها، محاولة لربط حاضر خير أمة أخرىت للناس بغاربها المنصرم لتوالصل مسيرتها، ويقتدي بها الأحفاد متذكرين مئات السنين التي كانت فيها الأمة العربية والإسلامية زاهية عزيزة مزدهرة، لكي يؤمنوا بأنفسهم وقدرتهم، وأنه ليس من المحال إعادة الماضي وما يحمل في طياته من إشراق وثبات ومعنى سجلت لهم عبر التاريخ، وهاهي الأمة العربية لم تمت وإنما غشتها ما غشي الغير من الغفلة والذوبان، ونسيان ما عندها وما تملك من قدرات مادية ومعنوية، ولم تقف الأمة في حاضرها على هذه الحدود بل تبعثرت وأخذتها رعب العدو، وكثير في أعينها ما يمتلك، لذا أدرك الشعاء الملتمون هذا الخطر الفادح الذي سرى في شرایین أمتهم حينما تناست بل نسيت عهدها ومجدها الماضي.

ومما دعا للإحساس بالخطر هو الشعور بالحاجة إلى التذكير بأمجاد السلف وكفاحهم المستمر عبر عدد من القصائد الهدافة لقضية فلسطين وتحرير قدسها الشريف،تناولها في هذا الموضوع حسب تسلسلها الزمانى إن شاء الله تعالى.

### ١. القدس وماضي العرب في الأربعينيات

ماضي الآباء والأجداد المشرق والتاريخ النير والمستند إلى البطولات، خلقَ في ذهن الشاعر حسن البحيري سيفاً بتاراً حينما سمع بقدوم الجيوش العربية

إلى فلسطين إذ لاح له أفق النصر وهزيمة العدو مما جعله يتغنى بقصيدته (لنا  
النصر - ١٩٤٨) معتبراً عن فرحته الكبيرة قائلًا:  
لنا النصر.. لا يُفلوِّل العدُّي ضَمِّنَاهُ يوْمَنَا والْفَدَا  
فَنَحْنُ، بَنِي الْعَرَبِ، مِنْ أَمَّةٍ مُؤْتَلَّةٍ فِي الْعُلَامَاءِ مُخْتَدِّا  
أَرَادَ الْخُلُودُ بِهَا غَايَةً تَعْزُّ عَلَى وَهْمِهِ مَقْصِدَا  
وَنَحْنُ عَلَى ذِرْوَةِ الْخَافِقَيْنِ وَفَوْقِ السَّمَاءِ، وَرَاءِ النُّجُومِ  
أَخْيَى قِبْلَةً «الْقُدْس» لَوْ أَنْصَفْتُ لِرُخَالَهَا رُكْعَائِسَجَدَاً  
ولكن عندما حدث ما حدث من التقهقر أضاعت بعض الأنظمة العربية  
ما حققه التاريخ عبر القرون، وهدمت ما بناه الأجداد من الأمجاد ومنعوا  
من أن يقتدي الأبن بأبيه لكي يسجل صفحة مشرقة في حاضره ويضمها  
إلى ماضيه.

## ٢. القدس في الخمسينيات والستينيات

من خلال تتبعي لنصوص شعر القدس في سوريا ولبنان وفلسطين لم أغير على قصائد تناول القدس في هاتين المرحلتين تهدف إلى تذكير الأمة العربية بماضيها وتاريخها الراهن، ولعل السبب في ذلك هو أنه حينما شاهد الشعراً استعداد الجيوش العربية، والحماسة الشعبية، وفي الوقت نفسه ما لمسوه من تصميم قاطع لسحق العدو الصهيوني وتطهير وطنهم منه، لم ير الشاعر المقدس ضرورة استحضار الماضي المشرق بكل دروسه وغيره.

<sup>١</sup> حسن البحيري، ديوان «حيفا في سواد العيون»، ص ٧٠ و ٧١.

### ٣. السبعينيات والذكر بالماضي

نكسة حزيران وتداعياتها جعلت **الخلّص** لعروبة مقدسهم وإسلاميته لا سيما الشعراء يلتفتون إلى التاريخ، تاريخ الأمة المليء بالبطولات والفتورات، وإلى ماضي الآباء والأجداد ومحاولة منهم لاستلهام العبر بعد ما فقدوا آمالهم في أمة وأنظمة لم تتمكن من إعادة وطنها، وهي تهاؤن ب المقدساتها متاسبة هويتها وجذورها العربية والإسلامية، هذا الذي جعل الشاعر هاشم رشيد في قصيدة (جذور - في السبعينيات) يفخر بأنه عربي من فلسطين، من القدس، من أرض كنعان يمشي مرفوع الرأس اعتزاً بتاريخه الشامخ وأمجاده فيقول:

أجل إنني من القدس وفيها قد نما غرسى  
جذوري في عروق الصخر في الصُّلْد، وفي المُلْسِنْ  
ومن كنعان بي نبض ومن عدنان، من قيس  
من الماضي، من الحاضر من يومي، ومن أمس  
عربيّق المجد والأنسا بمشدود إلى الشمس  
بها اختزال في الدنيا وامشي رافع الرأس<sup>١</sup>  
وأما الشاعر اللبناني نجيب جمال الدين في قصيدة (عنوانٍ على بردى) -  
(١٩٧٧) فإنه يهاجم الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء إذ يهلكون لماضيهم  
وغلوا عما هم فيه قائلاً:

ومُسْلَسَلَ الفخر القديم  
اما انتهي وقت الهراء  
وذلك الغثيان

١. هاشم رشيد، مفكرة عاشق: ص ١٤.

مَرْضِى.. وَقَبْرُ الْأَمْسِ يُشْرِعُ بِابَةِ  
وَمِنَ الْجَدِيدِ  
تُهْيَا الْأَكْفَانُ  
وَتَصُوَّغُ مَغْرِكَةَ الْكَلَامِ  
فَجَهَّةُ فَرْسَانَنا  
وَخَيْوَانُنَا عَقْبَانُ  
وَتُنَدَّسُ أَقْدَاسُ الْبَلَادِ  
وَقَدْسُهَا  
وَالْافْتِخارُ مُغَرَّشٌ تَشْوَانٌ.<sup>١</sup>

فهو يرى بعين البصيرة أن لا جدو في الحديث عن الماضي ونبش القبور والفرح بأهلها وهم سبات يأسفون على الذين أضاعوا القدس من بعدهم ولم يرحموا صرخاتها تحت ستارك الإرهاب الصهيوني وحكومته العنصرية ولم يرحموا حتى أنفسهم إذ الموت يدب فيهم وهم نائمون.

#### ٤. عبر الماضي في الشهانيات

يتوجه الشاعر عبد الكريم الحمصي بالخطاب إلى أمة الغرب التي خرج منها الرسول محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وقاد ثورة تحرير لأبناء البشر، وبعدما فتح القلوب والعقول قبل الحدود بني تلك الحضارة الإنسانية السامية، بهذه العظمة، كيف تنسى؟، فخطاب الشاعر في قصيدةه (الحان من اليرموك - الشهانيات) خطاب لاذع ونقد لحاضر أمة العربية التي لم تلتفت إلى ماضيها لتأخذ العبرة من تلك الفتوحات الكبرى التي سجلتها التاريخ على أيدي عظمائها، وأبطالها، ولكنه الآن يرى يروا القدس يبعث الجناة بها فساداً:

---

١. نجيب جمال الدين، تصاند إلى عاصمة المدن الشرقية: ص ٦٥ و ٦٦.

لما ذكرت القدس هزّ مشاعري  
 ألم يهزّ بطبعه الشعراء  
 يا أمّة الغرب التي أيامها  
 كانت هدىًّا وحضاراً وبناءً  
 يا أمّة الغرب التي أرحاها  
 ولدتْبنيَ الحقَّ والعظمةِ!

انطلاقاً من هذه الرؤية جاءت اهتمامات الشاعر كمال رشيد في قصيدة (سعد في الثمانينيات) بالعزّة والكرامة العربية والإسلامية التي كانت لسلف الأمة، ويراهما الشاعر اليوم أصبحت هزيلة نتيجةً لعدم الشعور والإحساس بالمسؤولية بل الانحراف في متاجع اللهو، واللعب والمفاسد الأخلاقية - كشرب الخمور والملذات الجنسية - مما زاد في الابتعاد عن الماضي المشرق للآباء والأجداد، الذي لم يحصلوا عليه إلا بالمجاهدة والجهاد المادي والمعنوي:  
 عَبَثٌ يُمْرِّقُ عِزَّةَ سَلْفٍ      أَيَّامٌ كَانَ الْحَرْزُمُ وَالْجَدُّ  
 زَمْنٌ يَمْرُرُ بِغَيْرِ مَا ثَمَنَ      عَمْرٌ يَضِيعُ وَدُونَهُ الرَّشْدُ  
 فَهَارَنَا سَعِيًّا بِلَا هَدْفٍ      وَاللَّيلُ مِنَ الْخَمْرِ وَالنَّرْدِ  
 لَهُوَ وَأَمْوَالُ وَأَرْصَدَةٍ      كَأسُ وَجْنَسٍ ذَاكِمَ الْمَجَدِ  
 وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يَؤْرَقُهُ      هَذَا الْعَقُوقُ يَسُوئُهُ الْبَعْدُ  
 وَالصَّامِدُونَ هُنَاكَ طَالَ بِهِمْ      لِلْأَسْى أَضَنَاهُمُ الْوَجْدُ  
 لَعَلَّ كَمَالَ رَشِيدَ أَرَادَ مِنْ تَوْجِيهِ الْخَطَابِ لِسَعْدِ، كُلُّ مَنْ يَقُودُ جَيْشَ  
 تحرير القدس ويعيدها إلى أهلها وأصحابها حينما يكون قلبها مطمئناً بالإيمان،

١. عبد الكري姆 الحمصي، ديوانه، الحان من البرموك: ص ١١٨.

٢. كمال رشيد، القدس في العيون: ص ٦٤.

ولم يجعل اليأس والقنوط ينفذ إلىه، فهو يرى راية النصر برقت أمامه وحان موعد النصر وأن يحتفل الشعب الفلسطيني وراية التحرير تتحقق على رأسه عالية شامخة.

##### ٥. الإشادة بالأمجاد في التسعينيات

هناك أصل متفق عليه وهو: منْ لم يكن له ماضٍ فماله من حاضر ومن ليس له حاضر فماله مستقبل، نظراً إلى هذا الأصل، عالج كثير من الشعراء قضية القدس من هذه الزاوية، وأخذ يتغنى بالماضي ويفاخر به، لعله يكون مجدياً في إنقاذ الحاضر العربي والإسلامي المأسوف عليه، نلمس هنا بوضوح عند الشاعر السوري عبد اللطيف محرز في قصيده (النشيد الثالث - التسعينيات):

وتادي قدسٌ ولا من مجيبٍ ليس إلا صدى أنينِ الوادي  
 يا إلهي هل أطفى الجمرُ فينا وغدonna موقداً من رماد؟  
 كيف قدنَا الدنيا ونرضي أخيراً حولَ عنانِنا حجال انقياد؟  
 هي بلوى وسوف نخرج منها بنمو الأجداد في الأولاد  
 برجوعِ لمتبعِ الوجهِ نوراً واقتلاصِ الآفاقِ والأبعاد  
 يا عليٌّ، ها حصن خير قد عادَ وعادت جحافل الأوغاد  
 فسلّمَ منْ أَحمد راية الفتح وشمرَ عنْ همةِ الآساد١

قارن الشاعر، الماضي بالحاضر وأخذ يتساءل عمّا حلّ بنا بعدما كنا ناراً تلظى وجمراً يتوهج، كيف أصبحنا موقداً من رماد؟! لكن الشاعر استطاع أن يقدم الحلول لهذه الحالة المأساوية حين قال إنها كارثة، وسوف نخرج منها حينما يحدو أولادنا حذو الأجداد ويسلكون مسلكهم، بأن يرجعوا إلى منبع

١. عبد اللطيف محرز، أناشيد الحق في رحاب على غالب: ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

الهدي ويتوذوا من العلم والتقوى، ﴿... فَإِنَّ خَيْرَ الرَّادِ الْقَوْيِ...﴾.<sup>١</sup> ثم التفت الشاعر إلى التاريخ وإلى أمجاد العرب والإسلام، فوجه الخطاب إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن حصنون خير قد عادت، ولعل عبد اللطيف محرز لجأ إلى استذكار هذه الشخصية العظيمة وقلعها بباب خير، استفاراً لأمة علّها تعيد الأيام تلك وتطرد الصهاينة الغزاة وتحرر القدس من غاصبيها، وفي - ظننا - إن الشاعر قد نجح بتقديمه هذه الحلول إذ أنها أثبتت مفعولها في عدة مواطن في الماضي والحاضر، وهاهي أمة القسام ونصر الله وياسين ولبنان دليل على ذلك.

### جدول لأهم قصائد شعر ماضي العرب المشرق حسب الترتيب الزمني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحري	فلسطيني	لنا النصر	١٩٤٨	حفا في سواد العيون	٧١
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	جذور	في السبعينيات	مفكرة عاشق	١٥
ناصر الخوري	سوري	تشيد	في السبعينيات	ديوانه السنابل	٧٩
نجيب جمال الدين	لبناني	عناني على بردى	١٩٧٧	قصائد إلى المدن	٦١
عبد الكريم الحصري	سوري	ألحان البرموك	في الثمانينيات	ديوانه أحان البرموك	١١٨
كمال رشيد	فلسطيني	سعد	في الثمانينيات	القدس في العيون	٦٤
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	إلى عمر بن الخطاب	في الثمانينيات	قصائد فلسطينية	١٣١
عززان حجازي	سوري	القدس تادي ياعرب	١٩٨١	القدس في القلب وفي الأسر	٥٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	جذور	في السبعينيات	مفكرة عاشق	١٥

٢٢٤	أنا شيد الحق في رحاب علي <small>بـ الشهد</small>	في السبعينيات	النشيد الثالث	سورى	عبد اللطيف محزز
١٣١ - ١٢٦	الليل والطريق	نهاية السبعينيات	نداء الوثبة	سورى	حضر الحصى
٢١	لبيك يا أقصى	٢٠٠٠	قسماً سبقني	سورى	محمد إبراد عكاوى

## الشجاعة وحجارة الغضب

أنين القدس المكلبة بسلاسل الاحتلال هو الذي فجر بر كان حجارة الغضب المكتم والذى تراكم لأكثر من ثلاثة عقود من سالف الزمن حين فشلت كل المحاولات العسكرية والتطبيع والمساومات السياسية، بعد أن لفها الشعب الفلسطينى الثائر بخرقة الذى والخضوع لدفتها في مزبلة التاريخ ليبدأ مسلسل انتفاضته الباسلة لكي تحول - بالفعل - إلى منهج حياة شعب سُلت أرضه، وانتهى عرضه. هي انتفاضة تُدمي العدو كما يدمي هو، ويقتل كما يُقتل، هذا أبرز حصاد بعد زمن طويل من تجرّع مرارة الهزيمة المذلة والمخزية، هي انتفاضة قضت على عملية التخدير العربي الذي قام به زعماء التطبيع لتجرع كأس الخنوع، والتكيف مع الاحتلال الغاشم، هي انتفاضة أشعلاها أطفال آسموا بالشجاعة العربية والسمات الإسلامية والإنسانية، ولقد ثبت للعالم أن سلاح الحجارة إذا اتصف بالحق أصبح أقوى وأشد من قصف الطائرات والدبابات، إذ هو السبيل الوحيد لاقتلاع الفددة الصهيونية القاتلة، وتبديد أوهام العدو حجارة الغضب هي التي جعلت الكيان الغاصب يشعر بالهزيمة والتراجع أمام إرادة الشعب الفلسطيني المضطهد، بل كل شعب تعرض للعدوان وللاحتلال ليدافع عن نفسه وحقوقه. ولشعراء الشعر المقدس دورٌ كبير في استمرار انتفاضته ليصبح حجر الغضب من دواعي شعرهم واتجاهاته العربية، وهذا ما سنلاحظه في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

## ١. انتفاضة الثمانينيات وحجر الغضب

«إن الانتفاضة هي حرب التحرير التي يخوضها الشعب الفلسطيني، فال تاريخ يعلمنا أنه لا توجد أمة عندها استعداد أن تعيش تحت هيمنة شعب آخر، وأن حرب التحرير التي يخوضها شعب مضطهد ستنتهي حتماً»، هذه من تصريحات مايكل ابن مائير<sup>١</sup>، الذي عرفحقيقة الانتفاضة وحتمية انتصارها على شعب لقيط أراد أن يحل مكان شعب آخر زوراً وعدواناً لأول مرة في التاريخ، وهذا ليس من الممكن كما يقول (إبراهام يحموش) متسللاً «هل بإمكانكم أن تأتوا بمثال واحد في التاريخ نجح فيه شعب في السيطرة على شعب آخر لفترة طويلة؟»<sup>٢</sup> بناء على هذا فمن الطبيعي أن يتفضّل شعب حاملاً بيده حجارة الغضب، إذ هي السلاح الوحيد الذي يمتلكه جاعلاً منه حجارة سجيل لتحول غطرسة الإرهاب وعنجهيته إلى عصف مأكول، وهذا الذي فجّر قرائح شعاء القدس بالقصائد الفريدة في نوعها مهلهلة لقذف حجارة الشبان والأطفال لكي يقلعوا كل معادلات الاحتلال وإرهاب الدولة على رأس كيانه، كما يصرّح الشاعر سليمان العيسى في قصيدة (نشيد الحجارة - ١٩٨٧م) مستبشراً بحصاد ثورة الحجارة:

يا لحمنا العربي..

يامن هان حتى كاد يخرج

من رقم الآدميين..

التقط حجراً كهذا الطفل، وأضرب

مرةً.. زحزخ لجام الفهْر، وأضرب

مرةً.. جرّب شموخ الرأس، وأضرب

١. عبد الوهاب المسيري، من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: ص ١٢٦.

٢. المصدر: ص ١٢٦، نقلًا عن جريدة (يديعوت أحرونوت)، ٢٢/١١/٢٠٠٢م.

مَرْءَةٌ.. قُلْ أَنْتَمِي لِلَّدْمَ، لَا لِلنَّفَطِ، وَأَخْبِرْ  
رَبِّيما.. رَدْتُكَ لِلأَحْيَاءِ  
لِلْبَشَرِ الْجَهَارَةِ  
أَبْطَالُنَا الْمُتَشَبِّثُونَ بِأَرْضِهِمْ وَبِشَمْهِمْ،  
وَبِزَهْرَةِ الرَّمَانِ وَالْزَيْتُونِ فِي أَيْدِيهِمْ،  
لَهُمْ تَهَنَّئُ ثُوبَهَا الْقَدْسُ الْجَرِيحُ،  
مُطَرَّزًا بِالْأَرْجُوانِ..  
وَتَسْتَعِدُ لِغُرْسَهَا الْعَرَبِيِّ..  
قَالَتْ لِي الْحَجَارَةُ..<sup>١</sup>

فيرو الشاعر أن الانفاسة أخرجت قضية فلسطين من العدم إلى الوجود وجعلت الإنسان العربي والمسلم يعود مرفوع الرأس، يعيش في عالم الأحياء وصاحب رؤية واضحة بأن يوم النصر لاح في أفق سماء فلسطين، وتهيأت القدس لتلبس ثيابها القشب، ثياب التحرير.

وأما الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد في قصيدة (الله أكبر - في الثمانينيات) فإنه يستبشر بأخبار الانفاسة وثورة الحجارة على يد الفتية الشجعان ويمجدهم ويحييهم، فهو يرى فيهم بارقة أمل إذ لعل الخطأ الذي ارتكبه الآباء والأجداد يغسله الأبناء والأحفاد فيقول:

ما ذا أقول لكم؟ في القدس أخبار كأنها في عيون القوم أقدار  
في القدس نار على الأعداء نازلة وفي أيادي بنات الرام<sup>٢</sup> أحجار  
وفي مخيم أطفال لهم هم شماء قعسae فيها النور والنار

١. سليمان العيسى، الأعمال الشعرية: ٤ / ٣٨٥ و ٣٨٦.

٢. الرام: ضاحية من ضواحي القدس.

خشوُّ البنادق لم يُرعب بني وطني   ولا القنابل صدَّت من لهم شار  
شوا على الطوق، ردوا الظلم واتفظوا   فهم على الظلم والعدوان ثوار<sup>١</sup>  
وعندما اندلعت ثورة حجارة الغضب أشاد هارون هاشم رشيد في قصيدة  
(سفينة العودة - ١٩٨٨) بثوارها، ووْجد فيها مشعلاً من مشاعل الأمل لتحرير  
الأرض المحتلة وبارقة نصر على العدو المدجج بالدروع والأسلحة الفتاكَة،  
بعدما شاهد رعب وتراجع الصهاينة أمام حجارة الأطفال الذين كسروا شوكة  
ال العدو بشجاعتهم وإصرارهم على المواصلة حتى النصر الموعود.

بوركْتِ غزَّة، يوم أشعَلتِ اللظَّى   لهَا، تموَّجُ بِهِ الديارُ وتنشرُ  
بوركْتِ قاذفَةَ الحجارةِ هَكَذَا   تَبَثُ الشعوبُ، وهَكَذَا تتحرَّرُ  
حَجَرٌ إِلَى حَجَرٍ وأَلْفُ قَذِيفَةٍ   تَرْتَدُّ خَاسِرَةً بِـ تَقْهَقَرُ  
تُمْسِيَ الحشودُ الدارِعَاتُ أَمَامَهُ   وَرَقَا، يَمْزَقُ خَاسِرًا وَيَكْسُرُ  
فِيَادِ الجنودِ بِكُلِّ مَاقِدِ دَجَّجُوا   يَتَرَاجِعُونَ أَمَامَ طَفْلٍ يَزَأْرُ  
فَلَقَدْ بَدَّتْ حجارة الغضبُ أوهامَ عصابة الإرهاب الصهيوني وجيشهم  
المسمى بالجيش الذي لا يقهرون، وزادت الشعب الفلسطيني الصامد عزماً  
وإصراراً على مواصلة الطريق.

## ٢. الشجاعة وحجارة الغضب في التسعينيات

تستمر ثورة الحجر ويحل عقد التسعينيات، تتفجر حجارة الغضب في كل ربوع القدس وفلسطين ليتصبح انتفاضة شعبية عارمة، ولم تقتصر على الحجر فقط بلأخذ أبناء القدس، أصحاب الثأر السلاح لتكون لهم في جنوب لبنان

١. كمال رشيد، القدس في العيون: ص ٤٥

٢. هارون هاشم رشيد، ثورة الحجر: ص ٦٣ و ٦٤

أسوة حسنة، هذا ما أشار إليه الشاعر اللبناني عفيف النابلي في أبياته التي نظمها بمناسبة يوم القدس العالمي - ١٩٩٠ إذ يقول مخاطباً القدس:

**مُدَّى ذراعك للجنوب وتمدّي فوق السُّهوبِ**  
**فخذلي الحجارة وارجمي عند الشروق أو الغروبِ**  
**وخذلي المقالع والزنود السمر منْ أهل الحربِ**  
**وخذلي الرصاص وقطعني كلَّ المساكن والدروبِ**  
**وخذلي السيف وجزرَي ياقُوسُ فِي باعِ غصَبِ**  
 فيرى الشاعر أن استمرار الانتفاضة والثورة المسلحة هو الطريق الوحيد لتحرير القدس من العجلادين، وأيضاً من زاوية ثورة حجارة الغضب.

### ٣. عام ٢٠٠٠ وحجر الغضب

وينظم الشاعر السوري خضر الحمصي قصيدة (إلى أبطال الحجارة - ٢٠٠٠) والتي يبدأها قائلاً:

**صُبُوا الحجارة، واقتذفُوهُم بالحِجَمْ**  
**فالمجدُ مجدُكُمْ، وأعظمُ بالقسمِ**  
**فخذلي الحجارة وارجمي عند الشروق أو الغروبِ**  
 ثم يقول:

**سَرَرُ للنصر المؤمِلِ عِزَّةً**  
**وَسَيِّرُهُ اليمونَ منْ بَعْدِ العَدَمِ**  
**حَطَّينِ دَقَتْ والمآذنِ كَبَرتْ**  
**وَتَرَاجَعَ الطُّغيانُ وَالظُّلْمُ آتَهُمْ**  
**رَفَتْ رُؤُى الأَعْلَامِ وَالنَّصْرُ ارْتَسَمَ**  
 روح الإصرار على الثورة والتحدي والمقاومة اقترن بالأمل القوي عند الحمصي فهو يرى أعلام النصر ترفرف على شرفات الأقصى، ولهذا إن كان

١. عفيف النابلي، نفحات عاملية: ص ١٤ و ١٥.

٢. خضر الحمصي، ديوانه الليل والطريق: ص ١٣٧.

من دلالة فإنما هي ثقة هذا الشاعر بالنصر كسائر الشعراء الذين تغනوا بقصائدهم لثورة حجارة الغضب المنطلقة من أكف أطفال فلسطين الأشاؤس هادفة إلى تحرير الأرض والإنسان من أغلال الاحتلال الصهيوني.

### جدول أهم قصائد الشجاعة وحجارة الغضب حسب الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٣٨٦ - ٣٨٠	الأعمال الشعرية ج ٤	١٩٨٧	نشيد الحجارة	سوري	سليمان العبيسي
٢٩ - ٢٧	القدس في العيون	١٩٨٧	ثورة الحق	فلسطيني	كمال رشيد
٣٧ - ٣٦	القدس في العيون	١٩٨٧	دموعه وفاء للشهداء	فلسطيني	كمال رشيد
٤٦ - ٤٥	في الثمانينات	الله أكبر	القدس في العيون	فلسطيني	كمال رشيد
٦٧ - ٦٠	ثورة الحجارة	١٩٨٨	سفينة العودة	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
	ديوانه - أعراس	في الثمانينات	أعراس	فلسطيني	محمود درويش
١٥ - ١٤	نفحات عاملية	١٩٩٠	يوم القدس	لبناني	عفيف التالبلي
٣٧ - ٣٦	وضني	في السبعينات	أمطار نيسان	سورية	عفيفة الحصني
	لبيك يا فقصى	٢٠٠٠	مجد الحجارة	سوري	محمد إياد عكاوى
١٣٧ - ١٣٥	الليل والطريق	٢٠٠٠	إلى أبطال الحجارة	سوري	حضر الحصي
١٣١ - ١٢٦	الليل والطريق	٢٠٠٠	المجد تكبّه المحجارة	سوري	حضر الحصي

### القدس ودور الشباب العربي والمسلم

أمر لا جدال ي شأنه أن الشباب الفلسطيني والشباب العربي والمسلم شكّل قفزة كبيرة في التاريخ النضالي لقضية القدس وتحريرها، وكل من يطلع على دور الشباب وكفاحهم المستمر يؤمن بأنهم درع الأمة وحصنها وحاماً للتغور وأوطانها على مر الأزمنة والعصور ويستمد من روحهم الوراثة والمتاجحة، الصمود والكافح، والمقاومة، والبطولة.

وهاهم شبيبة فلسطين يسطرون أروع ملاحم النضال والفداء ويقدّمون الشهيد تلو الشهيد دفاعاً عن كرامة الأمة كلها، من خلال مقاومتهم ومواقفهم

ضد الاحتلال وآل العدوان العسكرية الصهيونية، ولقد انبعث نور الرجاء والأمل من أعينهم، هم شباب الانتفاضة التي أذهلت العالم بأسره طول الأعوام المنصرمة على الرغم من شراسة العدو وغطرسته وعلى الرغم من مشاريع العدو التأمريـة الـهـادـفـة لـتـصـفيـة الشـعـبـ الـفـلـسـطـينـيـ بـأـجـمـعـهـ. هـاـهـوـ المستـقـبـلـ يـرـنـوـ إـلـىـ سـوـاـعـدـ الفـتـيـةـ التـيـ آـمـنـتـ بـرـبـهـاـ وـإـصـرـارـهـاـ القـويـ عـلـىـ مواـصـلـةـ الـكـفـاحـ وـالـمـقاـوـمـةـ حـتـىـ دـحـرـ الـاحتـلـالـ وـكـنـسـ الـمـسـتوـطـنـاتـ العـنـصـرـيـةـ الصـهـيـونـيـةـ، وـمـنـ هـذـاـ المـنـطـلـقـ بـادـرـ شـعـرـاءـ الـقـدـسـ لـتـسـجـيلـ أـرـوـعـ الـقصـائـدـ الـفـذـةـ للـإـشـادـةـ بـدـورـ الشـيـابـ الـعـرـبـيـ وـالـمـسـلـمـ وـالـشـدـ عـلـىـ أـيـدـيـهـمـ وـالـأـخـذـ بـنـهـجـهـمـ التـوـرـيـ، إـذـ هـمـ يـدـافـعـونـ بـكـلـ فـخـرـ وـاعـتـزـازـ عـنـ شـرـفـ الـأـمـةـ وـكـرـامـهـاـ، إـنـهـاـ لـمـقـاـوـمـةـ وـكـفـاحـ حـتـىـ النـصـرـ وـتـحـرـيرـ الـقـدـسـ.

### القدس وشباب الثمانينيات

مما تجدر الإشارة إليه قبل عرض ودراسة النصوص الشعرية في عقد الثمانينيات من هذا الموضوع، أننا لم نحصل على قصائد ترکز على دور الشباب في شعر القدس ما بين فترتي الأربعينيات والثمانينيات سوى بعض القصائد التي لم يكن للشباب فيها دور مقصود بالذات وإنما كان ذكر الشباب فيها ذكرًا عاميًّا أمثل قصيدة (نشيد الجهاد - ١٩٤٨) للشاعر عبد الله يوركي حلاق<sup>١</sup> وقصيدة (بعد خمس سنوات - ١٩٥٣) للشاعر محبي الدين الحاج عيسى<sup>٢</sup>، وقصيدة (ياسائيلي - ١٩٧٧) للشاعر جميل علوش<sup>٣</sup>، فحاول الشاعر توعية الشباب الفلسطيني واستهلاضم وإثارة الحماس في نفوسيهم تجاه ما يحالك ضدهم تحت عناوين برقة وجذابة لكنها تحمل في طياتها السُّمُّ القاتل.

١. عبد الله يوركي الحلاق، حصاد الذكريات: ص ٥٥.

٢. محبي الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص ٦٠ - ٦٥.

٣. جميل علوش، صوت الشعر: ص ١٠٢ - ١٠٣.

لذا شمرت هذه الفتية التي آمنت بربها فزادها هدىً عن سواعدها لتهب هبةً واحدةً متسابقةً إلى تلبية الواجب، مدافعةً عن أهلها وناموسها ووطنها وقدسها فانطلقت إلى اتباع الحق وطلب العلي وخوض المعركة لاستصال الصهابية وقلع جذورهم من قلب فلسطين والقدس مدينة السلام.

هكذا سجل لنا شعر القدس دور الشباب العربي والمسلم تجاه القدس الشريف، فالشعراء ما بين داعٍ للشباب للتحلي بالأخلاق الحميدة والارتفاع إلى مستوى المسؤولية، ومستبشر بفجر انفاضتهم ويزرع نور النصر والحرية ببركة سواعدهم وعلوّ همتهم وحالص نيتهم، وبين متّشائم لما أصابهم من انصارهم في الثقافة الغربية.

**جدول أهم قصائد شعر القدس ودور الشباب العربي والمسلم حسب الترتيب الزمني**

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٥٥	حصاد الذكريات	١٩٤٨	نشيد الجهاد	سوري	عبد الله يوركي حلاق
٦٠	من فلسطين وإليها	١٩٥٣	بعد خمس سنوات	سوري	محyi الدين الحاج عيسى
١٠٢	صوت الشعر	١٩٧٧	باسائيلي	فلسطيني	جميل علوش
١١٩	القدس في القلب وفي الأسر	١٩٨٠	إلى القدس هنا ياشباب	سوري	عززان حجارى
٤٧ - ١٧	وردة على جين	١٩٨٨	وردة على جين	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٢٥ - ٢٤	القدس	٢٠٠٠	القدس	سوري	محمد إبراد عكاوى
	لليك بأنفصى		فجر الكرامة		

## القدس والمرأة العربية والمسلمة

الاهتمام بالمرأة والنهوض بدورها في قضية فلسطين، ما هو إلا تعزيزٌ لمساهمتها في انتصار الأمة على عدوها وتحرير قدسها، وذلك إما من خلال

مشاركتها بشكل مباشر كحمل السلاح جنباً إلى جنب مع الرجل والدفاع عن الأرض والكرامة الإنسانية، أو غير مباشر كإرضاع لمن حب المقاومة والشهادة لأطفال العروبة والإسلام ورعاية الأبطال والثوار، بل وفي جميع المجالات، وتحمّل المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها في تربية جيل واع ومثقف ليكون عنصراً فعّالاً في الدفاع عن وطنه وعزته وكرامته، كما كانت المرأة في التاريخ المنصرم، إذ ضربت أصدق الأمثلة وأروعها في هذا الشأن من زوجة فرعون، إلى خديجة الكبرى عليها السلام، إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، إلى زينب عليها السلام بطلة كربلاء، ومروراً بجنوب لبنان وفلسطين، الأمهات الشامخات اللواتي قارعن ويقارعن الاحتلال ويلعبن دوراً مهماً في الذّب عن الأرض والعرض، يشددن أزر الرجال ويلهبن حماستهم، وهذا لم يخفَ على الدنيا بأسرها حينما شاهد المرأة العربية وال المسلمة كيف تزيّن ولدها، تعطيه السلاح ثم ترفرف نحو الشهادة، ترفع يدها إلى السماء طالبة من الله أن يرزق فلذة كبدها الشهادة في سبيل الله والوطن، وما أحوجنا اليوم إلى روح زينب عليها السلام والخمساء وهذا النمط من النساء في مواجهة الاحتلال والإرهاب العنصري الذي استهدف الإنسانية كلّها تحت الشعارات المزيفة والخداعة، من هذا المنطلق حاولنا أن نسلط الضوء بقدر استطاعتنا على هذا الموضوع.

### ١. المرأة في السبعينيات

لم أقل من خلال تبعي لنصوص شعر القدس في سورية ولبنان وفلسطين على هذا الأمر إلا في عقود ما بين السبعينيات والتسعينيات، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ المرأة لا تزال بعيدة عن أذهان بعض شعراء القدس، عن مكانتها ودورها الفعال في تربية الجيل النضالي، ولكن البعض الآخر ركّز

على هذا الدور الرئيس والمهم، ومن هؤلاء الشعراء تغنى الشاعر السوري عبد الله يوركى حلاق في نشيده (نشيد مناضلة - ١٩٧٠):

**أَنْابَتْ عَرِيَّةً قَدْ حَمَلَتْ الْبَنْدِيقَةَ**  
 وعلى كفّيِ روحِي ذَلَّ مِنْ خَافَ الْمَنِيَّةَ  
 أَنَّا مِنْ صَلْبِ الْعَروِيَّةِ مِنْ فَلَسْطِينِ الْحَبِيَّةِ  
 كَيْفَ يَصْفُولِي عَيْشَةَ  
 وَأَرَادَ بِنَا سَلِيلَيَّةَ  
 وَعَلَى صَهِيُونَ ثَارَ إِنَّلِي فِي الْقَدْسِ دَارَا  
 مَدْفَعَ يَمْطِرُ نَارًا لَا يُعِيَّدُ الْحَقَّ إِلَّا  
 لَيْسَ دَرْبُ النَّصْرِ سَهْلًا  
 فَابْتَذَلُوا الْأَرْوَاحَ بِذَلِّا  
 قَدْمَ الْأَنْوَارِ غَيْرَ إِلَّا وَتُرَابُ الْقَدْسِ أَغْلَى<sup>١</sup>  
 فدور المرأة حسب ما يراه الشاعر - حلاق - لا يقل عن دور الرجل، إذ أنها تحمل السلاح وتدافع عن وطنها المحتل، ولا شك أن من الصعب أن ترى أخيها، أو أبيها، أو زوجها، أو هم جميعاً صرعى، فيقترب دمهم غالٍ ولكن تراب القدس أغلى، فهي لا يهدأ لها بال مadam وطنها في قيد الاحتلال.

## ٢. الثمانينيات ودور المرأة

كلما مرّت الأيام ومضت السنون تجلّى دور المرأة أكثر وأكبر، وعلى هذا الأساس تنطلق كلمة كمال عبد الرحيم رشيد في قصيده (الحبية - في الثمانينيات) يمجّد المرأة العربية فيها مشيراً إلى بطولاتها وتضحياتها عبر التاريخ فهي لها أسوة في أسماء والخسائء حين يقول:

**وَنِسَاءُ الْأَقْصِيِّ نِسَاءُ فَدَاءٍ كُلُّ أُثْنَى فِي أَرْضِنَا الْخَسَاءِ**

١. عبد الله يوركى حلاق، عصير الحرمان: ص ٣٦.

هي أم الرجال أم الأمانى والفنانى وأختها أسماء  
أرضعهم لبان عز ومجد وبارى الآباء والأبناء  
أئبهم يحرس الحبيبة يوسف بحقوق للحقوق وفاء<sup>١</sup>  
للشاعر هارون هاشم رشيد قصيدة (وردة على جبين القدس - ١٩٨٨)  
رسم لنا فيها صورة الزوجة التي تقدم زوجها قرباناً للقدس في سبيل تحريرها،  
كيف تودعه وهو حبيبها إنه لموقف منبعث من إيمان صادق بالقضية  
وبالسبيل الوحيد المؤدي إلى التحرير والحرى، سبيل الشهادة والصبر على  
الفارق حتى ولو كان زوجاً حبيباً.

هو في طريق القدس، .. وهي عروسة عند «النصيرات» المحاصرة ترقد<sup>٢</sup>  
مازال في أحشائها من نبضة أمل، من الحزن الكبير سيوله  
ماذا تُرى قالت له، لما مضى وبأي قلب ودعت تَجَلَّد  
هي مثل، كُلَّ الباسلات نسانتا يُعرفن أن طريقنا لا تُوصِّد  
يعرفن أن الموتِ منْ غایاتنا نرضى بلوغته، ولا تستعبد<sup>٣</sup>  
فالعروس الفلسطينية مثُلها كمثل سائر النساء الصامدات والمضحيات  
اللواتي قدمن أولادهن وأزواجهن وإخوانهن في سبيل الله وفي سبيل بزوع  
فجر الحرية وإثبات الذات الفلسطينية.

فأمينة شاعر القدس هي تربية الأولاد على حب الشهادة والثورة،  
والجهاد، وزرع بعض الصهاينة في قلوبهم وإبعادهم عن الخنوع والذلة بركاناً  
على الإرهاب الصهيوني وأعوانهم المتأمرين ضد القدس وفلسطين، فهذا هو  
دور المرأة الفعال ليس إلا.

١. كمال عبد الرحيم رشيد، القدس في العيون: ص ٤٧

٢. هارون هاشم رشيد، وردة على جبين القدس: ص ٢٧

١٢٤ القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين

**جدول أهم قصائد «القدس والمرأة العربية والمرأة المسلمة» حسب الترتيب الزماني**

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٣٦	عصير الحرمان	١٩٧٠	نشيد المناضلة	سوري	عبد الله بور كي الحلاق
٤٧	القدس في العيون	في الشهابيات	الحبية	فلسطيني	كمال رشيد
٥٣	القدس في العيون	في الشهابيات	أحسي	فلسطيني	كمال رشيد
٦٧	وردة على جين القدس	١٩٨٨	وردة على جين القدس	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

## الداعي والاتجاهات الإسلامية

### مدخل

لقد كان موقف الإسلام واضحًا من قضية الشعر والشعراء، إذ اتخد منه وسيلة لخدمة مبادئه وقيمه الإسلامية، حيث كان لهذا الدين الجديد شعراء يدافعون عنه، أمثال حسان بن ثابت وغيره، وبقي للشعر هذا الدور المؤثر إلى ساعتنا هذه في وتيرة تشتت حيناً وتضعف أخرى.

أما في العصر الحديث فقد شهد المسلمون بشكل عام تبلوراً لصورة الإسلام الحقيقة التي تراكم عليها شيءٌ من الغبار والضباب، وذلك بجهود رواد الاتجاه الإسلامي<sup>١</sup> الجبار، ومن ضمنهم شعراء هذا التيار<sup>٢</sup> الواسع الذين

١. مرأة البقضة الإسلامية في العصر الحديث بمراحل مختلفة وشائكة ابتداءً من السيد جمال الدين الأسد إبادي المعروف بالأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي في الشام وأحمد ياسين في فلسطين وثورة الإمام الخميني في إيران التي لعبت دوراً كبيراً في توعية المسلمين بل أتباع الديانات السماوية الأخرى ضد المؤامرات الاستعمارية المحاكاة ضدهم، وللذى نرى في عصرنا الحاضر توجه كل الاتجاهات: الإسلامية، والوطنية، نحو التقارب والوحدة للوقوف أمام الشر المتربص بهم، وهذا يبشر بالخير والنصر.

٢. أمثال: أبو سلمى، عبدالرحيم محمود، هارون هاشم رشيد، حسن البحري، بدوى الجيل ..

دعوا الأمة أن تعود إلى إسلامها الذي مَنَّ الله تعالى به عليها، حيث انطلق الشاعر من تصور إسلامي ويدوّع ودّوافع إسلامية إلى قضية فلسطين وقدسها، والمشكلات التي عصفت بالوطن الإسلامي والعربي. ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأن قضية القدس وفلسطين هي قضية إسلامية في المقام الأول قبل أن تكون عربية، وأرض فلسطين حق لجميع المسلمين وليس لقوم أو قطر أو حزب خاص، وتحريرها لا يمكن إلا عن طريق الإسلام، إذ الإسلام هو القادر على إلتحق الهزيمة بالعدو وإعادة القدس السليمة للأمة لما فيه من قيم ترفض الاستكشافة والهيمنة للعدو.

وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يلفتوا انتباه المسلمين جمِيعاً إلى ماضيهم المجيد والزاهر وتراثهم الإسلامي الراهن، يدعوهم إلى التمسك والاعتزاز بعقائد़هم ودينهم القوي، فالشعورُ الإسلاميُّ هو أقوى البواعث والدوافع للتضحية من أجل التحرير، علاوة على هذا فإن الدين الإسلامي الحنيف هو دين الإباء والديمقراطية والحرية، ويجسد الوطنية بكل صدق ويحترم الديانات ولا يفرق بين نبيٍّ وآخرٍ مما يجعل الأمة، أمّة إسلامية متّماًسة مع بعضها البعض، وهذا هو الذي دعا شعراء هذا الاتجاه أن يبادروا لنظم شعر تبلورت فيه أهداف شريفة سامية ومحاور مقصودة، أهمها: اليقظة الإسلامية، والثورة والجهاد، والصمود والمقاومة، والشهداء والشهادة، ويررون هذا هو

١. الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حب الوطن من الإيمان.
٢. هُنَّا أُوتِينَا إِلَيْنَا كَمَا أُوتِينَا إِلَى نُوحٍ وَالثَّمَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَأُوتِينَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَبِيُونُسْ وَهَارُونَ وَسَلِيمَانَ وَآتَيْنَا ذَاوَدَ زَبُورًا # [السامي: ١٦٣].
٣. هُنَّا أَتَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِقَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِقَ الثَّمَيْنِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ # [البقرة: ١٣٦].

المنهج السديد لإحراز النصر واسترجاع الأرض المحتلة وعلى رأسها القدس الشريف، ولذا سوف نسعى ونحاول بقدر ما نستطيع في هذا الفصل، التوقف عند كل محور منها وإلقاء الضوء على شعر القدس فيها ومدى مساهمته في دعم القضية من خلال تلك المحاور وكيف انتهى لها وانتصرت له وفجرت قرائح أهله، وكيف جعل كل واحد منها الآخر حيًّا وفعالًا.

### القدس واليقظة الإسلامية

لقد كان أهم أسباب التراخي والتراجع الذي عاشته الأمة الإسلامية، والذي كان أسدل بظلاله عليها عقودًا طويلة من الزمن، هو فصل الجيل عن تراثه المجيد والгинوله دون معرفة حقيقة ذلك التراث وما فيه من قيم إنسانية وروحية، إسلامية عالية المضامين، وبات من الواضح أن هذه المؤامرة لم يكن للاستعمار الأجنبي وحده الذي نسج خيوطها بل شاركه في ذلك عالماً أو جاهلاً بعض أبناء الأمة، ولذا «تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية في نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب الخالص في الإناء القذر!

انحلت الأخلاق فلا تتمسك في قول ولا فعل، وتنقطعت القلوب فلا تتواصل في دين ولا وطن<sup>١</sup>، وهيمنت أخطار هددت مستقبل الأمة بأسرها وكانت تمحو معالمها وقيمها وتراثها وتجعلها في متاحف التاريخ، وذلك بعد طمس قواعد الإسلام الفكرية وأسس بنائه الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، التي ظهرت كالشمس في رابعة النهار لاسيما في القرن التاسع عشر للميلاد، ولكن لم يمض شطر من الليل وإذا «يقطة الوعي الإسلامي التي بدت في تعاطف المسلمين على البعد، تناصرهم في القرب وتحالفهم على الأحداث لأشعة من تباشير الصباح قبلها الليل المظلم وبعدها النهار

المشرق<sup>١</sup> فشهد عالمنا الإسلامي والعربي في العصر الحديث جملة من التحولات بعد ما استشعر خطورة ما يدبُّ حوله فانطلق ليدافع عن كيانه، ووجوده، وذاته، داعياً للعودة إلى تراثه وروح إسلامه الأصلية، وفي ظل هذه اليقظة نشأ كثير من الشباب أو تأثروا بها فنظروا للإسلام نظرة لعلها تختلف عن النظرة السابقة، وهذا ماحدث عند حزب الله في لبنان وحماس والجهاد في فلسطين وبعض البلاد الإسلامية الأخرى، حيث رأت الإسلام سِلماً لمن أراد السلام ومقاومة لمن سولت له نفسه التطاول والعدوان.

هكذا نمت وترعرعت اليقظة الإسلامية وخرجت الأمة عن طوق غفلتها، وأخذت تستعيد حياتها، تنظر بعين اليقظة والالتفات لما يحاك ضدها.

### ملامح اليقظة الإسلامية في القدس

كانت المشاعر الإسلامية قبل ظهور المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني عام «١٩١٧» قوية جداً إلا أنها فردية غير منظمة ولم تكن ذات منهج واضح، ولكن مع ذلك تفجرت عنها ثورة موسى النبي في القدس «أبريل ١٩٢٠» وثورة يافا «أيار ١٩٢١» وبعدها اتفاقية البراق «آب ١٩٢٩» ثم ظهرت هيئات شعبية منظمة أبرزها جمعية الشبان المسلمين التي كان لها دورٌ في الحفاظ على مبادئ الإسلام وبنَتَ الوعي الإسلامي، وهكذا ظهرتحركات الإسلامية واحدة بعد الأخرى، أنشطتها حركة عز الدين القسام عام (١٩٢٥ - ١٩٣٥) التي عُرفت بمنظمة الجهاد المقدس، وأخذت اليقظة الإسلامية تتسع نقطتها وتشارك في معارك تحرير القدس مثل معركة باب الخليل والقسطل، والحي القديم في القدس، والقطمون<sup>٢</sup>، وفي

.١. المصدر: ص ١٠١.

.٢. عارف العارف، النكبة: ٣٢٦ / ١.

عام (١٩٥٧) نشأت حركة الفتح ولها جذورها الإسلامية، ويرز الوعي الإسلامي والوطني وتجلّى أكثر، بعد كارثة حزيران (١٩٦٧) حين تراجع التيار القومي شيئاً ما خصوصاً في فلسطين وعند ذاك أصبح الاتجاه الإسلامي من أقوى الاتجاهات على الساحة الفلسطينية. وفي عام (١٩٨٠) برزت الظاهرة الإسلامية بعد إنشاء حركة الجهاد الإسلامي برئاسة الشهيد فتحي الشقاقي «إذ جاءت لتعبر عن الإسلام كمنطق، والجهاد كرسالة، وفلسطين كهدف للتحرير»<sup>١</sup> واكتملت اليقظة الإسلامية عندما ظهرت بشكل رسمي حركة المقاومة الإسلامية «حماس» معتبرة الإسلام منهجاً منه تستمد أفكارها ومنه تسترشد خططها<sup>٢</sup>، وهكذا انتشر الوعي الإسلامي حتى أصبحت الانتفاضة أحد الخيارات لجسم قضية القدس، ولم يغب شعر القدس في هذه المراحل لأن الشعراً في كل أمة هم عنوان حياتها ومقاييس رقيها، ومتى صرفوا مواهبهم في خدمة الأمة وتخليل مجدها، أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعادها<sup>٣</sup> ومن منطلق الإحساس بالمسؤولية حمل بعض شعراً شعر القدس في سوريا ولبنان وفلسطين نداء اليقظة الإسلامية ليحققوا آمال شعوبهم وطموحها، ومن هنا جاء صوت الشاعر السوري بدوي الجيل في قصيده (من وحي الهزيمة - أواخر الستينيات) وهو واحد من الأصوات المنكوبة هول ما رأى وعظيم ما جرى، عن زلزال النكسة الذي هزَّ المشاعر ومزقَ الخواطر، فبدأ القصيدة بتحليل الأسباب التي أدت إلى هزيمة العرب والمسلمين ونكستهم المذلة، حيث حمل الشاعر المسؤولية بالدرجة الأولى لبعض القادة الذين تخاذلوا

١. مجلة الوسط، ٣٠، كانون الثاني، لندن، ١٩٩٥.

٢. المكتب الإعلامي، سلسلة بيانات الحركة: ص ٦.

٣. علاء الدين وحيد، شعراً اليقظة الإسلامية في بداية القرن العشرين: ص ٨٧، نقلًّا عن علي الغایاتي، وطنیتی: ص ٢٠.

الذين تخاذلوا فأماتوا بذلك جيوشهم وشعورهم حين يقول:

**جَبْنُ الْقَادِهُ الْكَبَارُ وَفَرُوا وَبَكَى لِلْفَرَارِ جَيْشٌ جَسُورٌ<sup>١</sup>**

وهو الأمر الذي عرضهم لنقد الشعراة اللاذع، وبسبب مواقفهم البعيدة عن الحكمة والحنكة، يقول شاعرنا بدوي الجبل مخاطباً أبطال المعركة آنذاك:

**هَذَاكَ الدُّزُرُ لَا الْحَدِيدُ وَلَا النَّارُ وَعِبَاءُ عَلَى السُّوغِيِّ الْمَذْعُورُ<sup>٢</sup>**

وفي نظر الشاعر فإن هذا التخاذل هو الذي أدى إلى ضياع قدسنا الإسلامي، وقد نال كرامة الإنسان المسلم ما نالها من حزى وعار. قصيده هذه تشبه قصيدة نزار قباني «هوماش على دفتر النكسة» إلا أنها أقل حدة وذات طابع ديني وإسلامي أكثر، حين نرى أن الشاعر بدوي بعد ما بين بعض أسباب الهزيمة توجه للمسلمين لينعي لهم ضياع القدس، ولذا بدأ «بهل» التساؤلية ثم استعمل «أين» كذلك بهدف ايقاظ المسلمين لتدارك الأمر، مذكراً إياهم بماضيها العربي والإسلامي وتلاوة القرآن فيها إذ يقول:

**هَلْ دَرَتْ عَدْنُ أَنْ مَسْجِدَهَا الْأَقْصَى صَى مَكَانٌ مِنْ أَهْلِهِ مَهْجُورٌ أَيْنَ مَسْرِي الْبَرَاقِ، وَالْقَدِيسُ وَالْمَهْدُ وَبَيْتُ مَقْدَسٍ مَعْمُورٌ؟ لَمْ يُرْتَلْ قُرْآنٌ أَحَمَدَ فِيهِ وَيُزَارُ الْمَبْكَى وَيُتَلَى الزَّبُورُ طُوَيِّ الْمَصْحَفُ الْكَرِيمُ، وَرَاحَتْ تَسْاکِي آيَاتُهُ وَالسَّطُورُ<sup>٣</sup>**

بعد التساؤلات التي طرحتها الشاعر أخبر المسلمين بما آل إليه قدسهم، استحضر تاريخ القدس وما كانت عليه، فعمد إلى بيان الواقع الذليل الذي حاقد بالمقدسات الإسلامية، فقد ضيَّع الفتح الإسلامي وما قدم في سبيله من تضحيات جسام، فالإسلام حرٍّ بعد تلك النكسة أن ينماح عليه وأن يبكي،

١. بدوي الجبل، الديوان: ص ١٩٣.

٢. المصدر: ص ١٩٢.

٣. المصدر: ص ١٩٥.

ولم لا تلبيس مكة السواد حداداً على ما آلت إليه الأمور من ذلة وانعدام كرامة، وفي كل هذا تقرير للأمة وللذين ورطوها بهذه الورطة البغيضة.

بالذلِّ الإسلام لا الجمعة الزهر راء نعمى، ولا الأذان جهير  
 كل دنيا للمسلمين متأحّاتٌ ووينيل لأهلهَا وثبور  
 لبست مكَّةُ السواد، وأبكَت مشهد المرتضى وذكَّ الطور١  
 وهكذا يستمر الشاعر في لومه وتقريره ليعممه على كل منْ آمن بالله ربَّا  
 فيرى الضياع شاملًا وعامًا والمصيبة طامة كبيرة شملت المسلمين والمسيحيين  
 على حد سواء، فهو يرى الصهيونية لا تفرق بين مسلم وغيره لأنهما سواء في  
 هذا المصاف، وفي هذا الأسرز والأسرى يتشارط الأسير غخص الأسرى ويشدُّ  
 كلَّ منها أزر الآخر، لقد راح الشاعر يستهض القيم السماوية التي يؤمن بها  
 كلَّ منها والتي ترفض لها أن يغفل عن نصرة القدس وتقديم العون لها،  
 ومن هذه القيم الغيرة على الأوطان والمقدّسات، فائلاً:

أين آي القرآن تتلى على الجمع وأين التهليل والتكيير  
 أين آي الإنجيل؟ فاح من الإنجيل عطر وضوء الكون نور  
 أين «روما»؟ وجَلَّ حُجَّر برومَا مهد عيسى يشكو ويشكو البخور  
 النصارى والمسلمون أسرى وحبيب إلى الأسير الأسير  
 صلب الروح مرَّتين الطواغيت! جراح كما يضوغ العبر  
 بالذلِّ الإسلام والقدس نهبٌ هتكَتْ أرضُه فـأين الغيور٢  
 ثم يرى الشاعر بأن محنَة القدس لا تعالج بالتأوه والندب والعويل، بل  
 لابد من معالجة الفكر وما تحويه صدور المسلمين وإصلاحها.

.١ المصدر: ص ١٩٥.

.٢ المصدر: ص ١٩٦.

لأشقّ الجيوب في محنة القدس ولكنها أشقّ الصدور<sup>١</sup>  
 ومن الحلول التي يقدمها بدوي الجبل بعد هزيمة عام ١٩٦٧م لكي لا تكرر  
 المأساة، هو أن يكون للشعوب دور في القضايا المصرية إذ هذا بحد ذاته يقلل من  
 طمع الطامعين في القدس وفلسطين، فيقول مخاطباً حكام الدول الإسلامية آنذاك:  
 إرجعوا للشعوب يا حاكميها لأن يُفِيدَ التهويل والتغريب  
 صارحوها.. فقد تبدلَتِ الدنيا وجئتْ بعد الأمورِ أمرور<sup>٢</sup>  
 لقد حاول الشاعر من خلال قصidته الطويلة هذه - ١٥٥ بيتاً - وباستخدامه  
 أسلوب الإنشاء وكثرة استعمال صيغة الاستفهام «أين» ونبرة الحزن والتوجّع  
 أن يلفت الانتباه إلى أبعاد القضية المتعددة.

بُليت البشرية في تاريخها الممتد المت交代ي بعدة نكبات، بالتيار والمعنى تارة  
 وبالصهيونية تارة أخرى، حيث لم يرحم كلّ منها بشرابٍ ولا شجرًا، ولم يقف عند  
 أي حدود، يسّارعون في إبادة الحرف والنسل، متّجاهلين المعالم الحضارية  
 والدينية، كما فعل العدو الصهيوني عندما أحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م،  
 لذلك نجد الشاعر الفلسطيني كمال عبد الرحيم رشيد يشير إلى فداحة ذلك الخطاب  
 في قصidته (١٩٦٩) متّجهاً من جرأة الصهاينة على الله وعلى عباده ومقدساتهم،  
 محاولاً إيقاظ المسلمين والمُتديّنين، واستفزاز شعورهم الديني ضد المعتدين،  
 الذين بادروا إلى تدمير وحرق المقدسات الإسلامية والمسيحية بل الإنسانية قائلةً  
 جلَّ المصائب وزادت الآلام وعدت على أرض الهدى الأقوام  
 يا ثالث الحرمين حرُّك نكبةً فيها يزيدُ الجرح والإيلام<sup>٣</sup>

١. المصدر: ص ١٩٧.

٢. المصدر: ص ٢٠٦.

٣. كمال عبد الرحيم رشيد، ديوان شدو الغرباء: ص ٣٢

ثم يقول في القصيدة نفسها:

أُسْفِي عَلَى الْأَقْصِي وَقَدْ عَبَثْتُ بِهِ  
أُسْفِي عَلَى الْإِسْلَامِ تَرَفْ جَرَحَهُ  
لَمْ يَغْضِبُوا اللَّهُ غَضَبَةً مُؤْمِنٍ  
مَا قِيمَةُ الدَّمْعِ الْهَتُونِ أَصْوَغَهُ  
فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ دِيَارِ مُحَمَّدٍ ذُلٌّ يَرَادُ وَفَرْقَةٌ وَخِصَامٌ<sup>١</sup>  
تعكس أبيات الشاعر هذه حاليه النفسية، وألمه الشديد للوضع القائم في  
القدس والنيران الملتهبة فيه وفي قلبه، فالشاعر أعطى صورة واضحة، لا مغالاة فيها  
لوضع المسلمين والقاعد الملاعنة الذي حل بهم، فالقصيدة مع بساطتها وسهولة مفرداتها  
عميقة وذات معنى كبير لما فيها من تصوير لأثر نكبة حريق المسجد الأقصى، وما  
تحمل من نداء لابيقاظ الوجدان الإسلامي وتجنب البكاء والعويل لأنه لا يجدي.  
ولما أعلن المؤتمر الإسلامي في قمته بأن هذا العام هو عام القدس، نظم  
هارون هاشم رشيد قصيدة الساخرة (هذا العام) وهو يتهكم ويهزأ بالمؤتمرين،  
إذ يرى الشاعر أن استمرار احتلال القدس هو نتيجة لقاعس الأمة الإسلامية  
عن القيام بواجبها ووظيفتها الإسلامية والإنسانية والاكتفاء بالمؤتمرات التي لا  
تعدى الإدانة والبيانات الجوفاء أحياناً، وسرعان ما تنسى القدس، ولعل هذه  
الحالة المزرية للمسلمين وبعض قادتهم هي التي جرأت الصهاينة على  
الاستمرار بالتندادي في الأذية والعدوان، يقول هارون هاشم رشيد:

وَقَيلَ عَامُ الْقُدْسِ  
هَذَا الْعَامِ..

اتخذ القرارات في مجتمعه

مؤتمر الإسلام  
وصفق الحجاب والخدمات  
وعاد كل واحد،  
لقصره ونام  
وتركت مدينة القدس  
تغوص في الظلام  
تغرق في الفتن  
تدوسها سبابك  
الغزا بالأقدام  
وتستبي تاريخها  
وتزرع الألغام  
وتنشر الدمار في أنحائها  
والموت والحطام  
وقيل عام القدس  
هذا العام<sup>١</sup>

ثم يلتفت هارون إلى الجانب الصهيوني الذي يغتنم الفرص للفتك بالشعب الفلسطيني والذي يكشف عن نواياه المبيبة للعرب والمسلمين حين عمد إلى إعلان القدس عاصمة الأبدية في نفس العام إمعاناً في غطرسته التي لا رادع لها من عرب ولا من مسلمين يقول:

والجانب الآخر،  
من عدتنا الظلام  
ماذا ترى حق

---

١. هارون هاشم رشيد، مذكره عاشق: ص ١٨ و ١٩.

هذا العام  
قد هدم البيوت  
شرد النساء  
طارد الأيتام  
مدّ على سماء القدس  
أحرق الأخلاص  
وقال:  
هذه عاصمتى  
على مدى الأيام<sup>١</sup>.  
ثم يعيد النظر للأمة الإسلامية ويوجه لها اللوم والعتاب قائلاً:  
والأمة التي تجيد  
في صلاتها، السجود والقيام  
الأمة التي فضلها  
الله على الأنام  
ودان دينها الحنيف  
الفصل والختام  
مغرقة في صمتها  
مشدودة لللجام  
تكلّست قلوبها،  
تحجرت، أصابها القسام<sup>٢</sup>  
فيري الشاعر أن التمسك بروح الإسلام هو الدواء لعلاج الألم.

.١ المصدر: ص ١٩ و ٢٠.

.٢ المصدر: ص ٢٢.

### جدول أهم قصائد محور القدس واليقظة الإسلامية حسب الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
١١١ - ١١٥	الأعمال الشعرية، ج ١	١٩٥١	نحن والعبد	سوري	سلیمان العبسی
١٨٣ - ١٧١	الكتاب على أعمدة الشمس	١٩٦٨	معراج	لبناني	نجيب جمال الدين
١٦ - ١٤	للفلسطين أغني	١٩٧٩	ريحانة العاصي	فلسطيني	حسن البحري
٦٧ - ٦٠	ثورة الحجارة	١٩٨٨	سفينة العودة	فلسطيني	هارون هاشم الرشيد
٢٠٧ - ١٩٢	الديوان	في السبعينيات	من وحي الهزيمة	سوري	بدوي الجبل
٦٠ - ٥٩	يا رسول الله	في الثمانينيات	القدس في العيون	فلسطيني	كمال رشيد
٦٦ - ٦٥	من وحي النكبة	في الثمانينيات	القدس في العيون	فلسطيني	كمال رشيد
٧٠ - ٦٩	أحوال وأمال	في الثمانينيات	القدس في العيون	فلسطيني	كمال رشيد
١٣ - ٨	الصوت والصدى	في السبعينيات	مفكرة عاشق	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٢٢ - ١٨	هذا العام	في السبعينيات	مفكرة عاشق	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

### القدس والوحدة الإسلامية

ربما تختلف أساليب التأmer باختلاف الزمان والمكان، لكن يبقى الهدف واحداً وهو الهيمنة على الأمة وممتلكاتها، ففي السبعينيات والثمانينيات كانت إرادة الاستعمار هي القضاء على القوميات، التي وقفت ضد التحديات، لكن مرّت الأيام والسنون وتطور التأمر ليصبح الهدف القضاء على الإسلام، وذلك من أجل استمرار الاحتلال وجعل إسرائيل تقوى وتنمو وتكون لها الهيمنة المطلقة، وهذا لا يمكن إلا عبر سياسة بث التفرقة والاختلاف بين الشعوب والدول ومحظوظ الطوائف الدينية والعرقية، وكان الأثر لهذه المحاولة - فرق تسد - مالا يخفى، إذ من بدويات الإسلام أن يكون المسلمون أمة واحدة فإنه لا كرامة ولا عزة للأمة الإسلامية إلا بالوحدة، ولا قوة للإسلام إلا بوجودها،

ولا يمكن أن تعود الأمة إلى ماضيها المجيد إلا إذا أخذت بالأسباب التي ترعرع عليها ذلك الماضي، وأبرزها وحدة الصف والكلمة وإذا كان قد غفلنا في الماضي فعليها بالوحدة في الحاضر، ولكن على خلاف المتوقع غفل جل شعاء القدس لا سيما شعاء الشام عن نداء الإسلام في هذا المجال، فلم نثر على شعر يركز أو يشير لموضوع الوحدة الإسلامية ودورها المحوري في تحرير القدس، مع ما لها من آفاق واسعة وآثار واضحة، وما زالت لم تفسر أحلام الوحدة الإسلامية حتى على صعيد الكلام، وكل ما هناك جسد شعاء القدس الوحدة العربية في مسيرة التحرير، وهذا ما ندرسه في الفصل الثالث من هذا الباب، لكن مما يجدر التنويه إليه أن بعض الشعراء أشار إلى الوحدة الدينية، وذلك لأن الخطر الصهيوني يهدد الديانات السماوية برمتهما، وإمكان الثورة الوحدوية أن تفيق أمام هذا الخطر لأنه من خلال الوحدة يستطيع المظلوم مواصلة الثورة ضد العدو وتحقيق النصر عليه، ونلاحظ أيضاً أن اتحاد الشعوب أصبح سلاحاً بيد الإنسان التحرري، كما تبلور هذا الوعي الوحدوي لدى الشاعر عبد الله يوركى الحلاق في قصidته، لأن المسلمين والمسيحيين وغيرهم تجمعهم الأديان السماوية والتراث الروحي المشترك:

في القدس شعبٌ أعزَّ لكتَمَا امتازَت بسالُهُ الجهاتِ الأربعِ  
 إنَّ الحجارةَ بينَ أيديهِ غدتَ مثلَ السهامِ، وكُمْ تحذَّى مدفعاً  
 إيمَانَهُ بالنصرِ مفترِّنَ فلم يخشَ الرصاصَ، ولا المهاجمُ رُؤُعاً  
 مَنْ قالَ إنَّ القدسَ أغلقَ بابَها إنَّ اسْتِفْحَةَ وندخلُّهُ معاً  
 القدسُ يُرجِّعُها اتحادُ شعوبنا فلتتحدَّ منَ القلوبِ لترجِعَنا  
 وأمامَ هيكَلِهِ نصلِّي خُشَّعاً

١. عبد الله يوركى الحلاق، ديوانه الأسديات: ص ١٥٢ و ١٥٣.

نأمل أن تبرز قضية الوحدة الإسلامية في شعر القدس من التزام الشعراء بقضايا أمتهن الإسلامية، فالشاعر الملزيم أكثر الناس قدرة على توحيد الصف العربي والإسلامي، وهذه دعوة لتحرير الأرض والإنسان من الصهيونية العالمية. جدول أهم قصائد محور الوحدة العربية والإسلامية حسب الترتيب الزمانى

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٤٣٦-٤٣٢	الأعمال الشعرية، ج ١	١٩٥٨	في عبد الوحدة	سوري	سليمان العبيسي
٨٣-٧٩	مسار المعد	١٩٥٩	من وحي الوحدة	سورية	هند هارون
٢١٤-٢٠٩	عصير الحرمان	١٩٦٩	في هيكل الذكرى	سوري	عبد الله بور كي
١٣٩-١٣٢	حقائق وأوهام	٢٠٠٠	التاريخ	سوري	عبد اللطيف محرز

القدس - الثورة والجهاد

اشتعلت الثورات وتعددت المواقف الثورية والجهادية منذ رفع وعد بلفور النقاب عن وجه الصهيونية ونوابها الدينية تجاه فلسطين وقدسها الشريف، حيث وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم، وذلك على جمام الشعب الفلسطيني وأرضه، ومن منطلق الدفاع عن الوطن والذات<sup>١</sup>، صمم الإنسان الفلسطيني وبكل ما يمتلك<sup>٢</sup> - مادياً ومعنوياً - أن يقف بوجه المخططات الرامية للايداه وغصب أرضه، ابتداءً من ثورته موسم النبي موسى عليه السلام في القدس (١٠ نيسان ١٩٢٠م)<sup>٣</sup> ومورداً ثورة يافا (١٥ - ١٦ أيار ١٩٢١م)<sup>٤</sup> وثورة البراق (١٥ - ٣٠ من آب ١٩٢٩م)<sup>٥</sup> وثورة عز الدين القسام

١. هُوَذِي لِلَّذِينَ يَقْاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى تَصْرِيْهِمْ لَقَدِيرٌ<sup>٣٩</sup> [الحج: ٣٩]

٢. هُوَذِي لِلَّهِمَ مَا مَسْطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَمْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَذَّوَ اللَّهُ وَغُلَوْكُمْ<sup>٤٠</sup> [الأفال: ٦٠]

٣. حدث أثناء احتفالات المسلمين بهذا الموسم الديني عندما لوث أحد الصهاينة علماً إسلامياً فتحول الاحتلال إلى ثورة عارمة ضد الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني.

٤. حدث عندما قام الصهاينة بالاستفزاز ضد العرب والمسلمين.

٥. اندلعت دفاعاً عن الحافظ الغربي للمسجد الأقصى الذي حاول الصهاينة امتلاكه بعدما أطلقوا عليه اسم حافظ المبكى.

التي أُعلن فيها الجهاد ضد المحتلين في (تشرين الثاني ١٩٣٥)<sup>١</sup> وهكذا استمرت الثورات إلى انتفاضة عام ١٩٨٧م.<sup>٢</sup>

ومن الواضح أن الشعر لم يقف موقف المتفرّج مكتوف الأيدي تجاه الأحداث فكان اللسان المعيّر عنها وعدسة التصوير الرّاصدة لها حيث رافق الثورة ومدّها بالقوة والحيوية، وشدّ على أيدي المجاهدين والثوار، رافضاً الاحتلال والاستيطان الأجنبي لأرضه العربية والإسلامية، مؤكداً على منهج الكفاح والتضالل، حينما «تعانقت شخصية المقاتل والشاعر بسبب اعتماد نفسية كلّ منهما على شدة الحساسية، وسرعة الانتقال، وصدق الإقدام، وعمق التبؤ بالظروف المستقبلية، ولهذا حاز الشاعر منذ القديم على منزلة عالية بين قومه، فكان كالنبي أو كالفارس لما يقدمه لقومه من خدمات اجتماعية جمالية، أوّقات الحرب والسلم. وفي عصرنا الحديث نظر المجتمع إلى الأدباء نظره إلى الثوار المناضلين فرأى أن الكلمة الوعائية هي جزء من العملية الثورية»<sup>٣</sup> التي تُرجمت في أرض الواقع عندما برزت أسماء في شعر القدس لم تكتف في رصد الحدث فقط، بل رفضت العدوان الصهيوني بالكلمة وحمل السلاح معاً متهدّية السجون، والاعتقالات، والموت مصرةً على الثورة والجهاد، أمثال عبد الكريم الكرمي، حسن البحيري، محمود درويش، محمود مفلح، هارون هاشم رشيد، برهان الدين العبوسي، وعبد الرحيم محمود الذي لمس بعد الحقد الصهيوني داعياً لبذل التخاذل، والضعف، وتحمّل المشاق في سبيل رفع الظلم والمحنة وعدم الاكتفاء بالقاء الخطب التي تهدّد وتتوعد من دون حرّكة على الأرض تصدق الكلمة الراعدة. فهو صورة لضمير شعبه بكل

١. من أسبابها ازدياد الهجرة والاستيطان اليهودي وتهريب السلاح لهم.

٢. اندلعت حينما استشهد أربعة فلسطينيين عند حاجز «إيرز» بشاحة صهيونية.

٣. عبد الرضا الصطان، مفهوم الثورة: ص ٦٨.

صنوفه، الذي آمن بالثورة والجهاد والحرية قاتلًا:

و DAMAONA الحمراء للحرية العليا روا فدا

إن اسمتنا العمال لا نلهم بلغو عندنا مقاصد

نقضي على حد الأسنة لا التمارق والوسائل

ونقابل الظلم الفري بهمة تفري الجلامد

ونذيب في نار الجهاد وحرها عن الصفاد

لنسا كمن يهدى على الأعواد بالخطب الرواعد<sup>١</sup>

قد هيأ المستعمـر البريـطاني مقدمـات تشكـيل الدـولة اليـهودـية بـأعلـانه الانـسـحـاب من فـلـسـطـين بـذرـيـعـة عدمـ الـقـدرـة عـلـى إـدارـتها، لـيـنـقـلـ المـلـفـ إـلـى عـصـبةـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ لـيـكـسـكـسـ، لـتـقـرـرـ قـرـارـ التـقـسـيمـ فـيـ «٢٩ـ تـشـرينـ الثـانـيـ ١٩٤٧ـ مـ»ـ الـذـيـ نـصـ عـلـىـ تـأـسـيسـ كـيـانـ صـهـيـونـيـ فـيـ فـلـسـطـينـ، وـلـتـكـوـنـ الـقـدـسـ حـسـبـ هـذـاـ قـرـارـ مـنـطـقـةـ دـولـيـةـ<sup>٢</sup>ـ، وـهـوـ يـدـلـ دـالـلـةـ وـاضـحةـ جـدـاـ عـلـىـ النـيـةـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ الـمـبـيـتـةـ، كـانـ هـذـاـ الإـلـاعـانـ باـعـثـ وـعيـ لـدـىـ الشـاعـرـ الشـورـيـ إـذـ أـدـرـكـ حـسـنـ الـبـحـيرـيـ حـجـمـ الـمـؤـامـرـةـ عـلـىـ أـمـتـهـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ، وـلـذـاـ أـخـذـ بـالـوـعـيدـ بـثـورـةـ لـيـسـ لـهـ مـثـيلـ قـاتـلـاـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ «ـمـوـلـدـ ثـورـةـ»ـ:

يا «ـصـخـرـةـ الـأـقـصـىـ»ـ وـمـعـارـاجـ الـهـدـىـ أـغـرـتـ بـأـهـلـيكـ الـخـطـوبـ سـفـيهـهاـ  
قـولـيـ «ـلـصـهـيـونـيـةـ مـأـفـوـتـةـ»ـ سـحـقـتـ عـلـىـ ذـيـلـ التـغـطـرـسـ تـيـهـهاـ  
الـيـوـمـ قـدـ وـلـدـتـ بـأـرـضـيـ ثـورـةـ مـأـبـصـرـتـ عـنـ «ـزـمـانـ شـيـهـهاـ»ـ  
قـرـارـ التـقـسـيمـ يـلـزـمـ الـيـهـودـ بـاحـتـرـامـ الـأـديـانـ السـماـويـةـ وـحـفـظـ الـأـماـكـنـ  
الـمـقـدـسـةـ وـرـعـاـيـةـ حـرـمـتـهاـ، إـلـاـ أـنـ الـصـهـايـنـةـ كـماـ هوـ دـيـدـنـهـمـ - يـرـونـ أـنـهـمـ فـوقـ

١. عبد الرحيم محمود، الديوان: ص ١٨.

٢. الموسوعة الفلسطينية: ٥ / ٢٧.

٣. حسن البحيري، الفلسطين أغني: ص ٦٢.

كل المعاهدات والقوانين الإلهية والدولية، ولذا نراهم يبادرون لانتهاك المقدسات الإسلامية والمسيحية، فاحراق المسجد الأقصى في (٢١ من آب عام ١٩٦٩) يُظهر الحقد الصهيوني في نفوسهم، فهذه الصهيونية وهذه أفعالها الإجرامية، تشيع الموت والخراب، ولا ترحم الحجر ولا الشجر ولا البشر، ومن هنا يأتي صوت شاعرنا اللبناني نجيب جمال الدين، وهو أحد الأصوات المتعجبة لجرأة الصهيونية ولما حل بأقصاناً، فلم يجد ما يطفئ نار قلبه المتأججة إلا أن يستحضر تاريخ المسلمين ويوجه الخطاب ببطل القدس صلاح الدين في قصيده (منبرك أحترق - ١٩٦٩م) قائلاً:

أنهضْ صلاحَ الدينِ  
أنهضْ يا أبا الثاراتِ  
منبرك أحترقْ  
وادع الرجالَ إلى الفلاحِ  
إلى السلاحِ  
فما سواه المنتلقْ  
ودع السيوفَ تقول،  
للدرّقَ: الحديدِ  
خسئتْ يا درّقَ الورقْ  
وعلى جوانبِ قدسنا  
وتلاها  
عزرائيلُ يدر كُه القلق..  
يختارُ  
من أيِّ المنابعِ يستقي  
فيكادُ يعروه الزَّهقْ

وإذا مataris الرّجال تناثرت  
جعلوا المtaris  
المؤقّ  
ماتوا..

أليس سواك في الأيام سيفٌ  
رَدُّ للناس العنق؟<sup>١</sup>

الآلم والحزن يعصران قلب الشاعر ونيران المصيبة تحرق مشاعره، حين يرى تقاعس الأمة الإسلامية بشكل مخز، فالآلة ضلت الطريق حينما عجزت عن إنقاذ قدسها، اليوم أقصاها تعلوه ألسنة النيران، والأمة تتفرّج من دون حراثة، وهذا حال من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقاده المسلمين استبدلوا الجهاد بالأوراق والبيانات، وكأن الشاعر يشير إلى كلام الإمام علي عليه السلام: «فَمَنْ ترَكَهُ -الجهاد- رَغْبَةً عَنْهُ أَبْلَسَ اللَّهُ ثُوبَ الْذَّلِّ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ...»<sup>٢</sup> فالشاعر يرى أن الأسباب التي أدت إلى هتك المقدسات وتدمير بيوت الله تكمن في ابعاد الأمة الإسلامية عن قيمها، ومبادئها، والتخاذل عن الدفاع والذب عن الوطن، والذود عن الحياد.

اللفاظ القصيدة تكشف عن رؤى الشاعر الداخلية ومشاعره الجياشة المتأججة، فهو تارة يستخدم لفاظاً قوية وصلبة عنيفة - درق - حديد - سيف - حريق بأنه لا يرى خلاصاً لأمته إلا عن طريق الثورة والقوة، والحق، إذ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بها، فوجه النقد اللاذع والساخرية من تقاعس أمته وذلك حين يستخدم لفاظاً أمثال - ماتوا - أليس سواك.. تارة أخرى. ثم وجه الشاعر خطابه لصلاح الدين وأفعمه بالدليل للإقناع والتأثير، ولاذ

١. نجيب جمال الدين، الكتابة على أعمدة الشمس: ص ٢٣٥.

٢. الإمام علي عليه السلام، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٧٤، خطبة ٢٧.

بالقبور من باب «إياك أغنني واسمعي يا حارة»، ولذا نراه عمد إلى الاستنهاض الإنكارى - أليس سواك - حتى يستفز الأحياء ويوقظ الأمة. وقرب من هذا المضمون قصيدة الشاعر حسن البحيري (منابر الهدى - ١٩٧٦) إذ يقول:

أيُّ رَكِبٍ فِي مَهْجَنِ الْحَقِّ سَائِرٌ

مَشْرِقُ الْمَجْدِ.. مَسْتَبِرُ الْمَآثِرِ

مِنْ ذَرَىٰ «مَوْتَةً» الطَّهُورِ إِلَىٰ «الْقُدْ

سٌ» تَجْلِي بِهِ وَضَاءُ الْمَفَاقِرِ

تَثْرَتْ عِزَّةٌ وَزَهْوٌ جَلَالٌ

سِدْرَةُ الْمُسْتَهْفَىٰ عَلَيْهِ الْأَزَاهِرُ

وَحْدَاهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ بَآيَا

تِ جَهَادٌ مُنْزَهَاتِ الشَّعَانِرٍ<sup>١</sup>

فقد قام الشاعر في (٢٠ شباط ١٩٧٦) بزيارة الأضرحة لأمراء<sup>٢</sup> سرية مؤتة الذين أمرهم رسول الإسلام بصيانة الإسلام وإعزازه فأخذ الشاعر يستعيد الماضي المجيد ويستعرض مفاخر أمته ذات التاريخ العريق والتراكم المجيد ويقارنها مع الحاضر البانس المتعثر، نكبة، ونكسة، وقتل، وتشريد، وإيادة، فيستسلم لليلأس إذ يرى أفق الأمة الإسلامية لا يبشر بالخير، ولكنه سرعان ما يتذكر الآية الشريفة ﴿... إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>٣</sup> فينطلق بالنصر بعد دفع الشمن قائلاً:

يَا تَرَىٰ «الْقُدْسِ» لَنْ يَقْرَبَ بَلَكَ الْبَأْ

١. حسن البحيري، لفلسطين أغنى؛ ص ٤٧ و ٤٨.

٢. أمراء السرية هم: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة، وهم مدفونون في مدينة الكرك، قرية مؤتة.

٣. يوسف: ٨٧.

غَيْ وَلَنْ تَقْشِعَ مِنْكَ الدَّوَانِرُ  
قَدْ بَذَلْنَا لَكَ النَّفَوسَ رِخَاصًا  
وَفَدِيناكَ ثَائِرًا بَعْدَ ثَائِرٍ  
وَسَمَضِي إِلَيْكَ وَاللَّيلُ دَاجِ  
وَسَمَضِي إِلَيْكَ وَالصُّبْحُ سَافِرٌ<sup>١</sup>

نص القصيدة يترجم لنا عن نفس الشاعر الجياشة تجاه القدس وشعوره الإسلامي والوطني البطل، فعمد الشاعر إلى استعمال بعض المفردات اللغوية - قد بذلنا - وسمضي - ليدل على مواصلة نهج الثورة مع ما فيه من صعوبات، إذ يرى النصر حليفه بعد بذل النفوس والتضحية، وتحدى المخاطر، ودرء خيوط المؤامرات، وخوض المغامرة في سبيل تحرير القدس. أيضاً عمد الشاعر لأداة النداء في خطابه «ياثرى القدس» لاشعارنا بمساهمة نفسه وحبه العميق إلى وطنه وما تعانه القدس المكلبة، إذ كان «الشعر الثوري هو الشعر الذي يتخذ من الكلمة الصادقة الموحية قوة ثورية تساند السلاح في مواجهة أعداء الأمة وأعداء الشعب داخل البلاد وخارجها، وفي أوقات الحرب وأوقات السلم، وهو الشعر الذي يبني الإنسان الوعي لوجوده الإنساني في خضم الحياة»<sup>٢</sup> حينما يعيش نكباته، ونكباته، وفظائعه وانهياراته، في خير أمة أخرجت للناس<sup>٣</sup>، من هنا يأتي صوت هارون هاشم رشيد يندب الأمة العربية والإسلامية لعلاج قضيتهم المصيرية عن طريق الثورة والجهاد في قصidته (الأقصى - ١٩٨٠) قائلاً:

المسجد الأقصى أُبِحْ يَقُولُهَا شَعْبٌ يَقَاتِلُ، لَا يَمْلِ وَيَهْجُمْ  
هُوَ ثَالِثُ الْحَرَمَيْنِ فِي بَاحَاتِهِ حَشْدُ الْبَغَاءُ جَمْوِعُهُمْ، وَتَقْدِمُوا

١. حسن البحيري، *الفلسطين أغنى*: ص ٥٣.

٢. عكو بكري، *الثورة وقضاياها في الشعر العربي المعاصر في سوريا*: ص ٢١.

٣. «كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ...» [آل عمران: ١١٠].

داسوا طهارته، وشجوا كبيرةً وتجروا، وتجروا، وتحكموا  
غلوا الأذان به، وشدوا قيده وغلوا على محابيه وتسنموا  
وهو الأسير يظل رجع ندانه يدعوا لأنّا غوث يجيء، ويقدم  
هل تسمعون تقول في حجاره هل تسمعون، تقولها.. تستفهم  
هل تسمعون، وهلرأيتم أهلاًنا في القدس غرلا بالحجارة أقدموا<sup>١</sup>  
صورة صاغها الشاعر لقدسنا وأقصاها في ألم صادق وتوجّه واضح لما تعانيه  
من وطأة الاحتلال الغاشم، رسمت صورة ثورة الحجارة وهي السلاح البسيط  
المتوفر لدى شعب فلسطين وأطفاله وما يحملون من شجاعة على صغر أعمارهم،  
حاول الشاعر في قصidته هذه، تقييع واستهلاض المسلمين لكي يتباوا صرخة  
القدس المستغيثة، وهم يواجهون عدوهم الشرس بالصدور والنحور والأيدي  
الخالية إلا من حجارة اتخذوها سلاحاً يواجهون به العدو المدجج بالسلاح الفتاك.

نلاحظ أن الشاعر عمد إلى تكرار «هل» الاستفهامية لعله إشعاراً منه  
يأسه شيئاً ما، ولكن يبدو أن خيوط الأمل عنده مازالت متصلة، إذ يعود  
ليرفع صوته عالياً مرّة ثانية ليستجده بأمته العربية والإسلامية لأخذ الثأر  
والانتقام من العدو، فأهل القدس قد أعدوا واستعدوا وقدموه ويقدموه  
التضحيات فداءً للأقصى، والتكاتف الاستعماري أكبر من إمكاناته  
المتواضعة لهذا فهم بحاجة إلى تكاتف إخوانهم العرب والمسلمين  
للوقوف في وجه الأعداء. ثم يصور حالة الشعب في مواجهة هذا العدو  
الغاشم، ويصور صموده وتصديه وجهاده الذي لا يعرف التراخي قائلاً:  
يأهلنا في كل أرض إنّه الأقصى لا هبوا إليه أقدموا  
أهلوكُم حملوا الأمانة أشرعوا رأي الجهاد مشابرين ويمموا

١. هارون هاشم رشيد، مذكره عاشق: ص ٨٥ و ٨٦.

أهلوكم في القدس وقع خطفهم لا خائف فيهم ولا متبرّم  
 النار في أثوابهم، وعيونهم بالمسجد الأقصى تهيم وتحلم  
 الموت مفروش على طرقاتهم والراجمات الفاصلات تدمدم  
 مرفوعة راياتهم لا تنطوي أبداً وليست تستذل وتهزم  
 أحبابنا في سجنهم، وإسارهم ضربوا لنا المثل العظيم وقدموا  
 فعسى لعل هديرهم ونذيرهم يصحو عليه السادرون النوم  
 وعسى أذان الصارخين يجيئنا ليثير فيما، ما يهزّ ويضرّم  
 وعسى إلى الأقصى تهب جموعنا وعسى لعل.. وربما نتعلم  
 نضال الشعب الفلسطيني المتواصل يتبدل إلى ثورة وانتفاضة عارمة ابتداءً  
 من حاجز «أيزر» في عام (١٩٨٧) وتظهر أكثر عزماً حينما قام أرييل شارون  
 بزيارة استفزازية للمسجد الأقصى في (٢٠٠٠/٩/٢٨) حيث ارتفع نداء  
 القدس عالياً، وهو الذي تغنى له الشاعر مطالباً بالثورة والجهاد.

قطعاً الشاعر يدرك مأساة الحرب وما تحمل من كوابيس، وويلات،  
 وقتل، وتدمير، علاوة على هذا فإن طبيعة الإنسان السليم الذات مهما كانت  
 دياناته واتساقه، لا يحب الحرب ولا يرغب بها، ولعل دعوة الشاعر أن يتضمّن  
 المسلمين إلى نداء الجهاد ضد الصهاينة، يعود إلى معرفته لماهية العدو  
 وفلسفته وجوده - أن يكون خنجراً في جسد الأمة وقاعدة انطلاق استعمارية -  
 ولا يخفى أن الشاعر هارون هاشم رشيد في مقطوعته هذه، عندما كرر  
 «عسى» أربع مرات وأردفها بالأدوات «لعل» و«ربما»، يشعر بأماله الكبيرة بأمته  
 العربية والإسلامية علىها تسمع صوته، وتساعده بأنواع السبل المتاحة لديها، إذ  
 يصعب عليه أن يسمع صوت «اذهب أنت وربك فقاتلا.. إنّا هاهنا قاعدون»

وربما كرر الشاعر (عسى) بناءً على حمودها ليدل على الجمود المخزي  
لعالمنا الإسلامي، وعالمنا الإنساني في الوقت الحاضر.

### جدول أهم قصائد محور القدس - الثورة والجهاد حسب الترتيب الزمانـي

الصفحة	المصدر	عنوان القصيدة	التاريخ	الجنسية	الشاعر
١٨	لسطين أغنى	مولد الثورة	١٩٤٨	فلسطيني	حسن البحري
١٨	الديوان			فلسطيني	عبد الرحيم محمود
	المجموعة الشعرية	يا طريق المراح	١٩٥٧	فلسطيني	ناجي علوش
٢٣٦-٢٢٩	الكتابة على أعمدة الشمس	إحترق	١٩٦٩	لبناني	نجيب جمال الدين
٥٧-٤٧	لسطين أغنى	منازل الهدى	١٩٧٦	فلسطيني	حسن البحري
٨٦-٨٥	مفتكرة عاشق	الأقصى	١٩٨٠	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

### القدس - الصمود والمقاومة

منذ عقد المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل عام (١٨٩٧م) توجس العرب والمسلمون عامة، والأدباء والشعراء خاصة خيفة مما خلف الستار، ولعلَّ الشاعر الناشيبي كان أول من نظم قصيدة تناولت التهديد الصهيوني لفلسطين تحت عنوان «فلسطين والاستعمار الجديد»<sup>١</sup> في «تشرين الأول ١٩١٠» يقول:

إن الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه عن سير عداء  
إن هذا الداء قد أمسى عباء فتلافوه سريعاً بالدواء  
إنها أوطانكم فاستيقظوا لاتبعوها

.١. الموسوعة الفلسطينية: ٥٨٩.

.٢. المصدر: ص ٩.

ولذا أخذت المقاومة تظهر ملامحها في الوطن العربي والإسلامي في فلسطين، وبدأت تشتَّدُ بعد وعد بلفور عام (١٩١٧م) فتوَّعت صورها فيما بعد، فكل إنسان في مجده يحاول أن يقدم أقصى ما عنده، وما يستطيع أن يقوم به من أجل خدمة قضية بلده وبالتالي تعددت صور المقاومة، فالفنان قد وقف ريشته خدمةً لقضيته والشاعر قصائده والأديب قصصه وهكذا... وكل هذه الصور من المقاومة لا تقل أهميتها أبداً عن رصاصة المقاوم في ساحة المعركة لأنَّ المعركة لا تكون دائِماً في ساحة القتال، وبالتالي يمكن القول بأنَّ استعمال الشعر وسيلة إعلام وتثقيف ونقد ذاتي، ويرجع الفضل في إطلاق هذه التسمية - شعر المقاومة - إلى ما جاء من هذا الموضوع في شعر

سميع القاسم كقوله في قصيدة (خطاب من سوق البطالة):

ربما أخمد.. عريانا.. جائع..

يا عدو الشمس.. لكن.. لنأساوم

والي آخر نبض في عروقي..

سأقاوم!!!<sup>١</sup>

فبرز شعر المقاومة فجر الثورة ضد الاحتلال ثم ظهرت حركة شعرية أصلية تعبر عن النكبة ومرارتها في سبيل استرداد الحق المغتصب، لذا ألفت حركة شعر المقاومة برهة تاريخية في حركة الشعر الحديث، وقد جاءت على أثر - النكبة - ونكسة الخامس من حزيران (١٩٦٧) فقد نهضت المقاومة إثر الهزيمة لتلقي الصدمة العنيفة التي أحدها الغزو في التفوس، وهكذا أصبحت طريق تمهد لظهور صوت جديد جسده شعاء المقاومة، حاملين نعمة حزن شفافة تعبر عن الروح الثورية المقاومة<sup>٢</sup> والصمود الشامخ ناظرة

١. سماع القاسم، الأعمال الكاملة: ٩١ / ١

٢. الموسوعة الفلسطينية: ٢٧٠١ / ٤

إلى الآفاق المستقبلية لأمة الإسلام نظرة آمالٍ وترقبٍ لنصر الله تعالى بعد صمود وصبر وتضحية ومقاومة، كما يصور هذا المشهد الشاعر محمود مفلح في قصيده (نشيد للقدس) قائلاً:

ويعود للأقصى «بلال» يملأ الآفاق سحرا  
والمؤمنون الصادقون.. يرتلون.. الفتح.. شكرأ  
صبراً على ليل الطفأة  
فإن بعد العسر يسرا  
فجند ربك يا أخي.. حق  
لمن أولاه نصراء.<sup>١</sup>

تبقى قضية القدس هي الشغل الشاغل لدى الشعراء كما هي عند الشاعر محمود مفلح إذ يشعر بألها ويسمع أنيتها، ويرى في الوقت نفسه، الواقع الإسلامي العريض والذي يسدُّ نوافذ الخلاص، ولذلك نراه لا يجد ملجاً إلا الصبر وحمل النفس على الأمل والتفاؤل والثقة بجند الله الصابرين، فلهذا نلاحظ أن الشاعر هنا خرَّصَ على توظيف أكبر مصدر في تراثنا العربي والإسلامي ودستورنا السامي، أي: القرآن الكريم، في مثل هذه الأبيات لما فيها من معانٍ تلائم الموضوع الذي يعالجه الشاعر فقوله: «المؤمنون الصادقون» إشارة لقوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...»<sup>٢</sup> قوله: إن بعد العسر يسراً، إشارة لقوله تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»<sup>٣</sup>، قوله لمن أولاه نصراء.. لعله إشارة لقوله تعالى:

١. محمود مفلح، المراجي: ص ٦٠.

٢. الأحزاب: ٢٣.

٣. الانشراح: ٥٦.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَئْسُرُكُمْ وَيَئْبَثُ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>١</sup> فقد جاءت تحت الأمة الإسلامية على المقاومة والصمود متوكلاً على الله تعالى، وهذه صورة أمل وتفاؤل عند الشاعر.

من أبرز الأحداث الفلسطينية التي قام بها الصهاينة هي مجزرة مخيّمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان (١٦ أيلول ١٩٨٢) والتي راح ضحيتها نحو سبعة آلاف من الفلسطينيين، وهذا الحقد الصهيوني فجر المشاعر الإسلامية والعربية لاسيما عند شعراً القدس كما نرى ردّة الفعل عند هارون هاشم رشيد وهو يحرّض الشعوب الإسلامية على استمرار الثورة والصمود والمقاومة في قصيده (يا وحدنا):

ماذَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَخْبِرُكُمْ  
حَرْبٌ تُهَدَّدُنَا، تُهَدَّدُكُمْ  
وَتُطَالِكُمْ وَالدَّوْرُ يَقْتَرِبُ  
ماذَا يَقُولُ أَحَبَّةُ عَبْرَا  
ماذَا أَقُولُ لَكُمْ لِأَمْتِكُمْ  
إِنَّا نَقُولُ بِأَنَّ ثُورَتَنَا  
لَوْ دَمَرْتَ وَأَصَابَهَا الْعَطَبُ  
مِنْ بَعْدِهَا سَتُدَامُ أَمْتِكُمْ مِنْ بَعْدِهَا لَنْ يُذَكَّرُ الْعَرَبُ  
نِيرَةُ الْأَلْمِ وَاضْحَةٌ فِي شِعْرِ هَارُونَ وَدُعْوَةٌ صَرِيقَةٌ لِمُقاوْمَةِ الْاِحْتِلَالِ، وَدُعْوَةٌ  
هَذِهِ لَمْ تَكُنْ فِي إِطَارِ الضِّيقِ لِلشَّعْبِ الْفَلَسْطِينِيِّ وَحْدَهُ، بَلْ لِلْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ  
وَالْإِسْلَامِيِّ كُلَّهُ، إِذْ يَرِى أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَوْقِفْ الْعَدُوَّ عَنْ حَدُودِهِ، فَسَتَكُونُ الْبَلِيَّةُ عَامَّةً  
وَطَامَةً، وَتَسْأَلُ الشَّاعِرُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ - مَاذَا أَقُولُ - تَسْأَلُ أَنَّهُ هَذِهِ تَكْشِفُ عَنْ مَا  
يَتَرَدَّدُ فِي أَعْمَاقِهِ مِنْ خَوْفٍ عَلَى مُسْتَقْبَلِ أَمْتِهِ، وَهَكُذَا يَبْرُزُ مَفْهُومُ الْمُقاوْمَةِ  
وَالصَّمْدُودِ، مَعْبِراً عَنِ الدُّعَوةِ الدَّائِمَةِ لِمُواصِلَةِ النَّضَالِ، وَعَدَمِ الرُّكُونِ إِلَى الْخَنْوَعِ

١. محمد: V

٢١. هارون هاشم رشید، *الصمود والحزن*: ص ٢١.

والاستسلام فالصمود سيصنع المجد حتماً، يقول الشاعر السوري جابر خير بك وهو يتبع بأحساسه مقاومة الشعب الفلسطيني والمقاتل المسلم في قصيدة: يافارس الساح يامن زاده شرفاً أن يحفر القدس في أحداقه وشما من غيره وهب الأوطان مهجهه وصافح الموت مزهوأً ومحترماً فهو الذي جعل الجلى مطيةه وداس وجه عتاة الكفر واحتراماً وهو الذي قال للتاريخ مبتسمأً أنا هنا لن أملأ البرد والخيماً أنا هنا حرفة في صدر من ذبحوا أهلي وشعبي، وشقوا القلب والرحا<sup>١</sup> وهكذا كان صوت فلسطين في ضمير الإنسان العربي والمسلم، دعوة الصمود والمقاومة ورفض الاحتلال، أحسها الشاعر الفلسطيني واللبناني كما أحسها الشاعر السوري لأنها قضية تحرير واستقلال، قضية نضال وكفاح ومقاومة قضية الحق والعدل.. ولا يرضى بأدنى من إنجاز هذا. ومن هذا المنطلق انعكس الرفض لمعاهدة (أوسلو ١٩٩٤) في شعر القدس، وذلك لأن قاطبة الشعراء كغيرهم اعتبرها معاهدة استسلام وتنازل بل تخاذل عن أدنى حقوق الشعب الفلسطيني المضطهد، لهذا نرى الأصوات الشعرية قد علت وركرت على الصمود والمقاومة تعالج القضية شعرياً، ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر علي عقلة عرسان (أورسان - ١٩٩٦) الرافضة للسلام المزيف، في مقطع منها يقول: أنا وخطاي نقول:

سلاماً أور سلاماً،  
لم نهزَّم يا أور سلاماً،  
لم نهزَّم ياقدس الفاروق، وقدس صلاح الدين، وقدس  
بيوس الأول،

---

١. جابر خير بك، شوارد النغم؛ ص ١٥٨ - ١٥٩.

لم.. لن،

لن.. لم،

لم نهزم،

في الأرحام حداءً،

أكبر من هرولة الذل،

وأكبر من كل المازومين المهزومين المأجورين،

في الأرحام رجاءً أكبر،

نورًّا أكبر،

حلمًّا أكبر.

لا سلم بهذى الأرض وأنا مقهورٌ يا أور،

لا سلم بهذى الأرض وسيفُ القرصان يحْزُ وريـد القلب،

ويفرـي كـل جـذـورـ الـحـبـ،

ويـسـخـ كـلـ نـداءـ الـربـ،

ويـقـتـلـ.. يـقـتـلـ.. يـقـتـلـ،

لا سلم بهذى الأرض على أنقاضِ السلم الحق،

سلمٌ فيها.. يوم يسود الغربُ،

يسود العدلُ،

ويـفـنـيـ الرـعـبـ الصـهـيـونـيـ،

ويـفـرـحـ قـلـبيـ،

سلامٌ فيها يوم يسود الحق.<sup>١</sup>

من الواضح أن الشاعر يطالب بسلام الحق، سلام العدل. واستعماله

للأدوات - لم - لن - يدل على عمق اعتقاده بالمقاومة والصمود، عقيدة راسخة

١. علي عقلة عرسان، الأعمال الشعرية: ص ٣٢٠.

ممتدة في جذور الأرض وشرايين أبناء الأمة الإسلامية، يستبشر بالمستقبل القريب، وبين صراع اليأس والأمل، فالأمل هو المنتصر.

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
١٥٢ - ١٤٩	عودة الغرباء في الخمسينيات	١٩٦٩	بأخوتي	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
	الأعمال الشعرية	١٩٧٥	الشعلة	فلسطيني	سمح القاسم
١٤	طير الجنة	١٩٩٠	إلى يافا	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
١١ - ٦	صوت الشعر	١٩٩٠	بين اليأس والعمل	فلسطيني	جميل علوش
١١ - ٩	نقوش إسلامية في التسعينيات	١٩٩٠	يافدس	فلسطيني	محمد مفلح
١٥ - ١٢	نقوش إسلامية في التسعينيات	١٩٩٠	حماس	فلسطيني	محمد مفلح
١٦٢ - ١٤٩	يسان	١٩٩٧	في حضرة الغياب	فلسطيني	محمود حامد
٢٥ - ١٩	حقائق وأوهام	٢٠٠٠	من وحي قطاف الزيتون	سوري	عبد اللطيف محرز
١٩٩ - ١٥٨	شوارد النغم	٢٠٠٠	المقاومة	سوري	جاير خير بلك

## القدس - الشهادة والشهيد

إن كلمة الشهيد تحيط بها حالة من القدسية، والعلو والسمو، وإنما تطلق كلمة الشهيد على ذلك الفرد الذي ضحى بحياته في سبيل هدف مقدس، أو الذي قضى وهو سائر على طريق المسيرة المقدسة، والشهيد يكتسب حالة الخلود، ويخلق جوًّا من الصفاء والطهر في المجتمع المحيط به، ولا بدّ للهدف من أن يكون مقدساً وعظيماً، والذي يضحي بحياته من أجل أهداف غير سامية، أو يقتل في سبيلها، فإنه لن ينال حالة القدسية، واحترام التقديس في عيون البشر<sup>١</sup>. فمن يضع فكره وآثاره العلمية في خدمة البشرية، فإنه يعطي لفكرة مفهوم الخلود، وهكذا من يُرتقي

١. هناك فرق بين الهدف المقدس، وبين الهدف الكبير، فأمثال «الاسكندر»، و«أنابليون»، و«هولاكو»، و«اهيلر»، كانوا يأملون بتحقيق أهداف كبيرة، لكنهم لم تكن لديهم أهداف مقدسة. فمثلوا دور الأبطال وكبار حبّ الجاء والسلطة، ولم يمثلوا رمزاً للأحرار وطلاب الحقيقة.

ابنه أو يُرثي الآخرين، فإنه يعطي الخلود لأعماله، وإن كلَّ واحد من هؤلاء يُضحي بكل ما يملك عن عشق ووفاء للمبدأ السامي، فيعطي لدمه قيمة الأبدية والخلود، وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره<sup>١</sup>، والهدف المنشود لدى الشهيد هو نصرة الحقيقة وإعادة الحق إلى أهله، ولذلك تراه يُضحي بالمصلحة الشخصية وبكل ما يملك حتى نفسه الظاهر، في سبيل انتصار الحقيقة والوصول إلى الحق والعدل في سبيل الله والأمة والوطن والإسلام؛ ولذا أصبح مفهوم الموت عند الشهيد هو الحياة بذاتها بل يكاد يفوقها وذلك لتحقيق الحياة السعيدة السرمدية في الآخرة أو الحياة الحقيقية في الدنيا، وهذا ما يؤكده سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه في طريقه إلى أرض المعركة حينما أنسد أبيات أخي الأوس قائلًا:

سأمضي فما في الموت عار على الفتى   إذا مانوى خيراً وجاهد مغرياً  
 وآسى الرجال الصالحين بنفسه   وفارق مثوراً وخالفاً مجرماً  
 فإن عشت لم أذم، وإن مت لم ألم   كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً  
 لقد سجل الشعر في سوريا ولبنان وفلسطين أرض الشهادة والشهداء،  
 قضية القدس، تسجيلاً صادقاً وعميقاً تجاوز فيه الخطابة إلى غور أعماق الإنسانية في الاستشهاد والفاء والتعبير عن الالتزام بالقضية وإحقاق الحق عن طريق الشهادة، فالشهادة هي الحياة<sup>٢</sup>، ولهذا برز مفهوم الشهادة والموت في سبيل الله والحرية والتحرر كأعلى قيمة ثورية في طريق المناضلين والمujahidin في شعرهم فكانت القصيدة عندهم رصاصة بوجه الصهيونية وقد تفاعل الشاعر في تحرير القدس مرتبطة بأمنيته بالاستشهاد كما نلاحظ

١. مرتضى مطهري، الملحمـة الحسينـية: ٣ / ٢٧ - ٢٩.

٢. نذر كرفة الخواص لبسط ابن الجوزي: ص ٢١٧.

٣. هؤلء الذين فُتُنوا في سبيل الله أموتاً مثل أحياً عند زيهما يُرْزقون [آل عمران: ١٦٩]

ذلك في قصيدة الشاعر نزار قباني (طريق واحد):

إلى فلسطين خذوني معكم، يا أيها الرجال  
أريد أن أعيش أو أموت كالرجال  
أريد أن أنت في ترابها.. زيتونة أو حقل برفال  
أو زهرة شذية..

قولوا من يسأل عن قضيتي..  
بارودتي.. صارت هي القضية..  
أصبح عندي الآن بندقية  
أصبحت في قائمة الثوار  
افتشر الأشواك والغبار  
والبس المنيّة..

مشينة الأقدار لا ترثي  
أنا الذي أغير الأقدار..  
يا أيها الثوار..

في القدس، في الخليل، في بيسان، في الأغوار  
في بيت لحم..  
حيث كشم أيها الأحرار..  
تقدموا.. تقدموا..<sup>١</sup>

نكسة حزيران عام (١٩٦٧) قد ألهت حماس قباني وأججتها، كأنه يتظاهر بالفرصة الذهبية لحمل السلاح والتوجه إلى القدس السليب، الحدث يدعوه إلى الخطابة أكثر منه إلى التأمل الهدى، فالموقف مصيري إنما حياة كالرجال الأحرار وإنما ممات كالأبطال والمناضلين الذين كرعوا كؤوس الموت في

<sup>١</sup>. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣٢٩ / ٣ و ٣٣٠.

سبيل الله تعالى وصافحوا أيدي الردى في ساحات القتال، فالشاعر يستمد عاطفته الإنسانية من جذورها الإسلامية ويسلط أنوار الحقيقة على السبل المثلثي التي يجب على الأمة أن تسلكها للتحرر وسعياً وراء ما ضاع من عزتها ومجدها، ويرى نزار قباني أن هذا هو النهج السديد لإحراز النصر وتخلص الأرض، فالشهادة أعلى مرحلة من مراحل النضال التحريري، والشهداء هم رواد الحرية الذين يقطعون غياب الليل الداجي بدمائهم، ويوقفون النیام من سباتهم، ويسرون بالخلاص من قيود الاحتلال.

وعندما استشهد القائد خليل الوزير أبو جهاد يوم (١٦ نيسان ١٩٨٨) نظم

الشاعر هارون هاشم رشيد قصيدة (لن نقبل العزاء) قائلاً:

نَخْنُ لَنْ نَقْبَلْهُ فِي كَعْزَاءٍ      قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ بِالشَّأْرِ، الرَّجَاءُ  
 أَنْتَ مَنْ عَلِمْنَا، لَقَنَّا      ثُورَةُ النَّصْرِ التَّزَامًا وَأَتِمَاءُ  
 أَنْتَ مَنْ عَلِمْنَا، كَيْفَ إِذَا      فَجَرَ الْبَاغِي، دَعِيَا وَأَسَاءُ  
 تُرْجِعُ الضَّرِبةَ، كَرَاتٍ وَلَا      تَرَاهُ فِي الْمُلْمَاتِ اتْحَانَاءُ  
 أَنْتَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ لَقَنَّهُمْ      رَائِعُ الدَّرَسِ، وَفَجَرَتِ الْفَضَاءُ  
 أَنْتَ يَا سِيفًا، تَنَاسَى غَمَدَهُ      مَشَرَّعاً، يَسْتَقِي الْمَوْتُ أَجْرَاءً<sup>١</sup>

ثم يواصل الشاعر في المقطع السادس من قصيده قائلاً:

أَيُّهَا الرَّاقِدُ فِي الشَّامِ وَفِي      «الرَّمْلَةُ الْبَيْضَاءُ» يَرْتَادُ الْفَضَاءَ  
 رُوْحُكَ الطَّاهِرُ رَفَرَافٌ عَلَى      وَطَنِ، يَسْتَظِرُ الْفَجَرُ الْمَضَاءَ  
 رُوْحُكَ الطَّاهِرُ فِي الْقُدْسِ عَلَى      قَبَّةُ الْأَقْصِي يُنَادِي الْبَسَلَاءَ  
 يُوقِظُ الْكَامِنُ مِنْ غَضِيبَهَا      يُشْعِلُ الثُّورَةَ يُهْدِي الْبَسَطَاءَ<sup>٢</sup>

١. هارون هاشم رشيد، طيور الجنة (قصائد للشهداء)، ص ٧٧ - ٧٩.

٢. المصدر: ص ٧٩ و ٨٠.

يقدم لنا الشاعر هارون صورة لنفس هذا الشهيد المضحي بنفسه، الذي لم يتخاذل أمام غطرسة العدو، ولم يُؤثر الحياة والسلامة، وإنما هبَ مدافعاً عن عرضه وأرضه، فالشاعر لا يذرف الدموع على الشهيد لأنَّه حيٌّ يرزق في جنَّاتِ العُلَى، التي طالما كان يحلم بها، وهي الغاية التي يجاهد المقاتلون للوصول إليها، فيصبح الشهيد نبراً ومناراً يُهتدى به، معتبراً ككل التعبير عن المجاهدين الأحرار، ومجسماً لآمال سائر الشهداء الأبرار الذين يصوغون بدمائهم الزكية سطور أعظم قضية للإنسانية واستمرار حياتها، ولتكون كلمة الحق هي العليا، فيرى الشاعر أن الشهداء هم أساتذة الثوار والأحرار يعلمونهم كيف يكون الموت حياة لا موت فيها، وذلك لأنَّ الأمة التي لا يكثر فيها المستشهدون دفاعاً عن كيانها وعقيدتها وحفظ هويتها وحريتها، هي أمة مرشحة للزوال والموت، يخطفها الأعداء من كل حدب، ويطمع بها ذئاب البشرية بل كل قوي وضعيف. ومتى ما أصبحت أرواح الشهداء تطوف حول قبة الأقصى وقدسها فالأمل بالحياة كبير ونسيج عنكبوت الصهاينة لا محالة زائل. وفي هذا المضمون أيضاً جاءت قصيدة الشاعر كمال رشيد التي قال فيها:

ياحبيـب الله قد نلتـ الذـي      كـتـ تـرجـو وجـنـانـ الخـلدـ نـلـنا  
 رـأـيـت درـبـ النـصـرـ وـعـرـأـ شـائـكـاـ      دـمـكـ الطـاهـرـ فـي الـأـرـضـ سـكـبـنا  
 أـنـتـ فـيـنـاقـبـسـ يـرـشـدـنـا      إـذـاـ اـخـتـرـتـ مـثـالـاـ كـنـتـ أـنـتـا  
 وـإـذـاـ الـقـدـسـ غـدـتـ قـنـدـيلـنـا      فـلـقـدـ أـصـبـحـتـ لـقـنـدـيلـ زـيـتاـ  
 فـالـشـهـادـةـ أـعـطـتـ الـقـدـسـ بـعـدـاـ عـقـانـدـيـاـ وـثـقـافـيـاـ عـمـيقـ الجـذـورـ تـجـمـعـ فـيـهـ  
 الـأـرـوـاحـ لـتـصـبـعـ ذـلـكـ الـرـيـتـ الطـاهـرـ لـيـضـيـ طـرـيقـ الـقـدـسـ نحوـ التـحرـيرـ.  
 أـخـذـ الشـعـراءـ يـعـبـرـونـ عـنـ معـانـ الشـهـادـةـ وـيـقـدـمـونـ التـحـيـةـ وـالتـقـدـيرـ لـشـهـداءـ  
 الـقـدـسـ وـفـلـسـطـينـ، فـالـشـعـرـ «ـفـلـسـطـينـيـ أـشـبـهـ بـشـعـرـ الـمـنـاسـبـاتـ، وـلـكـ لـيـسـ عـلـىـ

---

١. كمال رشيد، القدس في العيون: ص ٥٧.

طريقة الشعر العربي القديم، فالمناسبات التي يسجلها الشعر هنا مناسبات الدم والبطولة والتآمر ومنات الأحداث التي تخلل مسيرة الثورة، ذلك أن الشعر بتماسه اليومي والحار مع الأحداث على تنوعها يكاد يصبح تعليقاً مباشراً على هذه الأحداث، يسجلها ويحدد موقفه منها ورؤيته لها<sup>١</sup>.

فيقدم الشاعر صورة مشرقة في غياب الدجى مبددة سحب الخوف والضياع، ومنبرة مصابيح الأمل والتحرير. وهذا ما نلاحظه عند الشاعر «على عقله عرسان» في قصidته (يارأبْ قمْ - الشمانينيات):

يارأبْ قمْ.

يارأبْ قمْ.

واهتف بالركب وقل لهمْ،

بسحر بيان جهادهمْ:

«القدس طريقٌ من أرنون..»

تكسوها أوراق الطيُّون،

يشعَّ بها فجرٌ فتاثُّ أو مفتون..

يصنعه اليوم جنوبيون جهاديون..

جهاديون جنوبيون..

للقدس طريقٌ من «أرنون»

للقدس طريقٌ من «أرنون»

مشاعلها نورٌ النورين،

وزيتها فخرٌ الدارين:

جحافل أحفاد الحسينين..<sup>٢</sup>

١. تزيه أبو نصال، *الشعر الفلسطيني المقاوم*: ص ٩٥.

٢. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٣٧٣.

بعد اجتياح العدو الصهيوني للجنوب اللبناني في «ال السادس من حزيران ١٩٨٢ » واجهت الأمة العربية والإسلامية حلقة جديدة من التآمر على وجودها ووحدة أراضيها وذلك لنهب خيراتها والتسلط عليها عن طريق التجوزة والاحتلال، وبعد ماتلقى العدو الضربات تلو الضربات على يد المقاومة اللبنانية راح يبحث عن وسيلة عسكرية جديدة تؤمن له أمنياته الغاشمة فتشبت وكما هو ديدنه باغتيال رموز المقاومين ظناً منه إزالة هذه العقبة أمام نواياه التوسعية فبادر لاغتيال الشيخ راغب حرب في عام (١٩٨٥). وقد هز مصرع الشهيد شاعر الأمة الإسلامية فكان لموته رنة ألم وأسى تجاوزت حدود لبنان فحدثت ردود فعل على الصعيد الشعري كان أبرزها موقف الشاعر السوري «عرسان» حيث ينادي الشهيد بأن يسير بركب المجاهدين فإن طريق القدس يمر من بحر تلك الدماء الزكية التي سكتت في سبيل الله تعالى، وأن سبيل الشهادة الذي سلكه أبناء الجنوب سوف ينتهي إلى التحرير وستتحج تلك الدماء براكيش مبدؤها الجهاد والنصر على العدو. ثم بين الشاعر بأن هذه الدماء الثائرة متصلة بكرباء لأن كربلاء لا تختص بمكان أو زمان وشهادة الحسين عليه السلام هي المقاومة الوعية الزكية على طريق الهدف المقدس ولا أقدس من الدفاع عن الذات والوطن.

للقدس طريق من «أرنون»

تكسوها أوراق الطيون

للقدس طريق من أرنون

والزحف بداه جنوبيون

غداً تلقاه: شاميون.. عروبيون،

للقدس طريق من «أرنون»<sup>١</sup>

١. علي عقلة عرسان، الأعمال الشعرية: ص ٣٧٤.

وهكذا تفأل الشاعر بتحرير القدس، وساهم في تعينة الأمة الإسلامية  
لمواصلة نهج الشهادة، لأن الشهيد حينما يقف بوجه العدو، فإما أن يصرعه  
وإما أن يُصرع، لكن عمل الشهيد لا ينحصر في هذا الموقف! فلو كان عمله  
منحصرًا بهذا لذهب دمه هدراً حينما يخرُّ صريراً في ساحة المعركة. وهذا ما  
لا يحدث، فدم الشهيد لا يذهب هدراً.. دم الشهيد لا يُراق على الأرض. كل  
 قطرة من دم الشهيد تحول إلى آلاف القطرات.. بل إلى بحر من الدماء  
 يدخل جسد المجتمع.<sup>١</sup> ولذا واصل الشاعر قائلاً:

تشقُّ طريقَ القدس قلوبَ، بعد قلوبٍ، بعد عيونٍ..  
أسرابٌ جراحٌ تهطلُ فوق الناس ضياءً..  
تهمى نصراً.. تنقد طفلاً.. تصنع أميناً.

كُبرٌ في الناس  
يتعشون .. ويتشرون بكلِّ الأرض  
وقل لهم..

لمجده القدس صهيل قلوب الناس اليوم،  
ومجده القدس هزيمةٌ وكرِّ الشَّرِّ؛ بني صهيون.  
جنوبيون مشوا في الدرب إلى العلياء، جنوبيون..  
أرواحٌ تنسج صبح الضر،  
بلون العندم والزيتون،  
جنوبيون.. جنوبيون،  
ضياء اليائس والمحزون..<sup>٢</sup>

١. مرتضى مطهري، الشهيد يتحدث عن الشهيد: ص ٣٠.  
٢. علي عقلة عرسان، الأعمال الشعرية: ص ٣٧.

الشعر الثوري الذي يعيش في معرك الحياة ووسط هموم الناس وصراعاتهم لا يثبت أن يصبح شهادة على العصر، والشهادة هنا لا تعني نقل الأحداث وتسجلها على طريقة التصوير الفوتوغرافي، بل تعني أن تنقل الأحداث من خلال فهم حركتها الحقيقة، ذلك أن كل حدث مرتبط بجملة مشابكة من المؤثرات والعلاقات التاريخية والمعاصرة، ومن هنا فإن شهادة الشعر الثوري، تمتلك دائمًا إلى جانب القدرة على نقل الصورة بسياقها الظاهري إلى جوهر الحدث.<sup>١</sup> فعبر الشاعر بقصيدته هذه عن عمق إيمانه بالنصر الذي سوف تسجله دماء الشهداء وتنفذ الأمة بعد أن أضاءت طريقها وأزاحت جبل اليأس من أمامها، فإن كل قطرة من دماء الشهداء حينما تراق على الأرض وتسقي أديمها تفجر مشاعر البشر وأفكارهم، ووجданهم غضباً عاصفاً وأمواجاً مطاطة تنصب فوق رؤوس من سوت لهم أنفسهم الاعتداء على الآخرين، وتورق الحياة خضراء بلون الزيتون.

#### جدول أهم قصائد محور القدس «الشهادة والشهداء» حسب الترتيب الزمانى

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	اللاجي	١٩٤٩	المسافر	٩٦-٩٢
حسن البحري	فلسطيني	عرس الشهيد	١٩٥٥	للفلسطين أغنى	١٤٧-١٥٦
سليمان العيسى	سوري	عدنان المالكي	١٩٥٦	الأعمال الشعرية، ج ١	٣١٤-٣١٩
يوسف الخطيب	فلسطيني	عرس النساء	١٩٥٣	العيون النظمي للنور	٧٦-٧٩
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	رسالة الشهيد	١٩٦٩	طبور الجنة	١٩-٢٢
هند هارون	سوري	الشهيد	١٩٦٩	مسار المعد	٧٦-٧٨
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	موطن الوحي	١٩٧٣	المسافر	١٤٨-١٥٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	لن نقبل العزاء	١٩٨٨	طبور الجنة	٧٧-٨٠

١. نزبه أبو نصال، الشعر الفلسطيني المعاشر، ص ٩٠

٥٨ - ٥٥	قصائد فلسطينية	١٩٨٩	الشهيد المجهول	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
	بانظار الربيع الشرقي	١٩٩٧	جرح كربلاء	فلسطيني	خليل الخلايلي
٣٧٣	الأشغال الشعرية	السعينيات	ياراغب قم	سوري	علي عقلة عرسان
١١٠ - ١٠٩	المسافر	=	نشيد الفداء	لبناني	عبد المنعم الرفاعي
		-	طريق واحد	سوري	نزار قباني
٧٢ - ٥٧	قصائد فلسطينية	٢٠٠٠	محمد الدرة	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

### بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

لقد كانت هذه المحاور الخمسة في الفصل الثاني - الدواعي والاتجاهات الإسلامية - هي أهم ما دار حول شعر القدس في الفترة (١٩٤٨ - ٢٠٠٠ م) وقد تبيّن لنا أولاً:

أن المحاور حسب كمية القصائد الواردة فيها هي كالتالي:

القدس - الشهادة والشهيد.

القدس - الصمود والمقاومة.

القدس - واليقظة الإسلامية.

القدس - الثورة والجهاد.

القدس - الوحدة الإسلامية.

وفي معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقة القوية بين شاعر القدس والواقع الذي صوره في تلك المحاور التي كانت نابعة من أعماق النفس الإنسانية والأحساس الوجدانية في كلمات تشعر بالمشاعر الحماسية المتأججة والمتفجرة. فقد انطلقا بدورهم في تعنى الأمة العربية والإسلامية للوقوف في وجه العدوان ومقاومة الاحتلال حتى الشهادة في سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجة واضحة حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها. إلا أن قاطبة أولئك الشعراء غفلوا عن محور

القدس والوحدة الإسلامية - مع ما فيه من الأهمية الخطيرة إذ أنَّ القدس تتعلق بال المسلمين جميعاً، لكنَّهم لم يغفلوا عن موضوع الوحدة العربية والذي سُنعرض له في الفصل الآتي.

ثانياً: قد تفاوتت قصائد في هذه المحاور - فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً - وهي تعرض لنا صورة القدس - ولا يجد المكان في هذه القصائد ظل ساكناً وإنما كانت الحركة فيه تدب وتبعث الحياة في القصيدة؛ إذ استطاعت أن تجعل منه قضية للإنسان الفلسطيني بل للإنسان العربي والمسلم، «ويكون المكان أحد العوامل التي تقوم عليها الأحداث، وهو لا ينزعز عن عناصر السرد الأخرى، وإنما هو يتضمنها بالضرورة، ويؤثر فيها وتوثر فيه، ولذلك لا يصلح المكان وحده لأي عمل فني، كما أن الشخصيات لا تعيش ضمن فراغ، ومن هنا يتداخل هذا العنصر والعناصر الفنية الأخرى في علاقات مختلفة لتشكيل العمل الفني، سواء أكان روایة أم مسرحية أم قصيدة، ويكون المكان عنصراً ضرورياً، بل هو من أهم العناصر الفنية لما يتركه من بصمات واضحة في الشخصوص والأحداث.<sup>١</sup> فلذا جعل القدس والشعر الذي اشتمل عليها معنىًّا وقيمة خاصة.

ثالثاً: كانت الصفة الغالبة في قصائد القدس في هذه المحاور هي الخطابة المباشرة.

رابعاً: إن شعر القدس في هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنما كان فعلاً مقاوماً لبعضها محرضًا للبعض الآخر، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (١٩٤٨) حتى (٢٠٠٠) وكانوا حريصين على متابعة يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقة كالشاعر هارون هاشم رشيد، حسن البهيري، علي عقلة عرسان، نزار قباني و... .

---

١. خليل الموسى، جريدة تشرين: ٢٧ كانون الثاني، ٢٠٠٥، العدد ٩١٥٧، ص. ٨.



## الداعي والاتجاهات السياسية

### القدس والضمير السياسي

إن التجربة الفلسطينية الحديثة لا ترحم، ولا تترك ناحية من نواحي الحياة دون التدخل في أعمق أعماقها، وليس هناك من يفلت من قبضاتها، فالكاتب أو الشاعر الذي يفكر في التوجه توجهاً منفصلاً عن السياسة فهو يتذكر للواقع والتجربة، إذ وجد الشعراه الفلسطينيون وغيرهم بعد عام (١٩٤٨) أنهم لم يكونوا ورثة لتاريخ شعري عربي طويل وحسب، بل وجدوا أنفسهم كذلك ورثة لوضع سياسي جديد ومعقد، شعروا أنه لا فكاك لهم منه.

وقد مال الشعر قبل عقد الخمسينيات إلى الاستجابة العفوية للأحداث، فخضع لمتطلبات المعنى في القصيدة<sup>١</sup> عندما رفض الشعراه قاطبة رفضاً باتاً مقولة الفن للفن ودافعوا بقوة عن مقوله الفن للحياة وللقضايا القومية والوطنية ومن هنا جاء رد إلياس قنصل قائلاً:

قالوا الناس خلوا السياسة أنها أفعى يراقبها غرائب ناعب

١. سلمى خضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر: ١ / ٣٢ - ٣٧.

غنوا على وتر الجمال فلحنه  
تهفو إليه عواطف ورغائب  
وتغزلوا بنساء موطنكم ففي  
تلك الديار من السماء موهب  
كيف التغني بالجمال وقيدنا  
ركيبه من صدأ الزمان مصاب؟  
فإذا أردتم أن يكون نشيدنا  
عذباً عليه من السلام سواكب  
فاسعوا إلى استقلالكم وترشّدوا  
قطر الملحى والى الفخار توابدو!<sup>١</sup>  
يقول إلياس قنصل في مقدمة ديوانه «السهام» لا حرية للشعر مع عبودية  
الوطن وعليه «فإن من تقييدت بلاده ليس حراً وهو بعض منها. من لم يكن  
حراً فلن تتفق نفسه عن شعر حر. فسعينا لاستقلال بلادنا سعيًا لحرية شعرنا،  
وأن الأدب من أسلحة الكفاح في الأمة».<sup>٢</sup>

ويشير الشعر السياسي عند نزار قباني، التزامه في الموقف، والالتزام في الموقف  
يستبع ادراك قيم إنسانية واجتماعية؛ بها يتجاوز المرء موقعه لتغييره إلى ما هو خير.  
ولا يتواافق الوعي بهذه القيم إلا إذا اشتراك بهذا الوعي مع طبقته أو أمتها؛  
أو فنته؛ فيكون ثائراً في جهوده الإنسانية المتأزرة مع جهود نظرائه. أما إذا  
انطوى على نفسه، وقصد تحقيق غاياته الذاتية التي لا يشتراك فيها مع بني قيمه  
أو طبقته، فإنه يكون متمرداً.

وهناك فرق بين الثورة المشروعة والتمرد الذي هو غير إنساني، ويتنافي  
مع القيم الإنسانية<sup>٣</sup> فبعدما فجرت نكسة حزيران (١٩٦٧م) مشاعر نزار قباني  
السياسية قال معلقاً على قصidته «هوماش على دفتر النكسة»: «لا قيمة لفن لا  
يحدث ارتجاجاً في قشرة الكرة الأرضية.. ولا قيمة لقصيدة لا تشعل الحرائق  
في الوجودان العام.. في المرحلة التاريخية التي نعيشها، لا قيمة لشعر يحترف

١. إلياس قنصل، ديوانه «السهام»، ص ٤٨ - ٤٩.

٢. المصدر: ص ١٠.

٣. محمد غنيمي هلال، الأدب المفارق: ص ٥٧ - ٥٨.

التخbir والتستر والتفية.. لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتهنه هو الغضب.. ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهي؟ صعب علىي كثيراً أن أرسم حدود غضبي فطالما أن هناك ستمتراً واحداً من أرضي تحتله إسرائيل، وتذلله وتقيم عليه مستعمراتها، فإن غضبي بحر لا ساحل له، أنا لا أستطيع أن أتحدث على طريقة عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيَ تخر لـه الجبار ساجدinya  
إن الأطفال في عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير، وكان لهم وطن وقبيلة. أما  
أطفال القدس، وحيفا و耶افا، ونابلس، والناصرة، فلا زالوا يبحثون عن وطن<sup>١</sup>،  
فالتحول - بعد الخامس من حزيران (١٩٦٧م) - ليست بمعجزة نزلت على نزار بل  
رد فعل ضميره السياسي الحي الذي أمطر العالم بقصائده السياسية واضعاً يده على  
داء أمهه عندما حدد موقفه من مسائل عصره، وهكذا استمر نزار حتى وفاته الأجل  
في عام (١٩٩٨م) أليس هو القائل في قصيدة «إفاده» في محكمة الشعر والتي

ألقاها في المهرجان الشعري التاسع ببغداد في نيسان عام (١٩٦٩م):

مالنا.. مالنا.. نلومُ حُزَيرَا ن وفي الإثم كُلُّنا شُرِّكاء  
منْ هُمُ الأُبْرِياءُ؟؟ نحنُ جمِيعاً حَامِلُو عَارِه.. ولا اسْتَثنَاءُ  
وَخَدَوْبُون!! وَالبَلَادُ شَظَّا يَا مارِكِيُّون!! وَالجَمَاهِيرُ تَشَقَّى  
فَلِمَاذَا لَا يُشَيِّعُ الْفَقَرَاءُ قُرَشِيُّون!! لَوْ رَأَتُهُمْ قُرَيشَ  
لَا سُتُّجَارَتْ مِنْ رَمْلَهَا الْبَيْنَاءُ  
لَا يَمْيِنْ يُجِرُّنَا أَوْ يُسَارِّنَا  
لَوْ قَرَأْنَا التَّارِيخَ.. مَاضِاعَتِ الْقُدْسُ

١. نزار قباني، الأعمال الكاملة: ٣ / ٤٠٤.

٢. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ٤٠٢ - ٤٠٤.

«ليس الشاعر واعظاً يعظ بالبينة ولا حكماً يعلم بالغير ولا عالماً يخلص إلى المادي والمجردات والتعاميم وليس مقلداً يعرف ويصف، وإنما هو راءٌ - كما يقول رامبو - يشاهد الحقيقة ويتأصل بها ويحلُّ فيها ويمثلها بالرؤى والرموز والاستعارات والأطياف التي تحدث في خياله وانفعاله المدهشين. فالحقيقة الشعرية هي حقيقة انفعالية دون شك، ولكنها لا تصدر عن الانفعال المهووس، الفاقد البصيرة، وإنما هو انفعال عاقل، رزين، يستمدُّ من العقل جديته ومن العاطفة يقينها وحرارتها وحياتها وحيويتها».١ وما أبيات نزار قباني إلاً توضيحاً لصورة عاشتها أمته وحقيقة عكستها رؤيته، فقد جعلت الشاعر يلمس بحسه وبصيرته وضميره أبعاد الهزيمة وعمقها، فألفى أعباءها على الجميع، فالناس في الإثم شركاء وكل حسب حاله. ثم بين الشاعر التذبذب عند أمته وأنظمتها آنذاك، وزيف الظاهر والشعارات المغربية ويصرّح بأن التشتت بالشرق والغرب لا يسمن ولا يغني من جوع وهذه الاتكالية هي أحد أسباب الهزيمة والتخلف. ثم يتبع ويدرك السبب لهزيمة حزيران وهو الانفصال عن التاريخ والقيم الإنسانية والتراث العربي والإسلامي. إذ لو فهمتنا التاريخ لما ضاعت القدس ومن قبلها الأندلس. ثم يواصل نزار قصيده قائلاً في مقطع ثانٍ:

يا فلسطين.. لا تزالينَ عطشىٰ .. وعلى النفط نامت الصحراءُ  
العباءاتُ كُلُّها من حريـر.. والليالي رخيصةٌ حمراء..  
يا فلسطين.. لا تُنادي عليهمْ قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ  
فَقُلَّ النفطُ مابهم من سجاياٰ .. ولقد يقتلُ الثريَّ الشراءُ

١. إيليا الحاوي، نزار قباني شاعر قضية والتراجم: ٦ / ٢.

٢. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٤٠٥ / ٣.

يرى الشاعر أنه «ليس من وظيفة الشعر أن يتحول إلى ذنب.. ولكن حين يدخل رمح إسرائيل إلى هذا المدى من كبرياتنا.. وحين يسافر في أنسجتنا وأعصابنا، ولا أحد يسأله إلى أين.. يصبح الشعر هجمة اتحارية.. على الطريقة اليابانية تدمر الأرض والسماء جمِيعاً». <sup>١</sup> ومن هنا المنطلق يصب نزار، جام غضب ضميره السياسي ويوجه هجومه الشديد وهجاءه اللاذع إلى أولئك الأحياء الأموات الذين أضاعوا الثروات ولم يستخدموها بالشكل المناسب لتحرير القدس الصائعة، إذ انشغلوا بأنفسهم وأماتن النفط ما بهم من سجايا عربية وإسلامية أصيلة، وهذا الهجوم ليس أول وآخر هجوم للشاعر نزار قباني يعالج من خلاله آلام أمته وجرأاتها في قصائده السياسية والوطنية والتي تضمنها الجزء الثالث من أعماله الكاملة مثل: خبز وحشيش وقمر؛ رسالة جندي في السويس - جميلة بوحيرد الحب والبتروл - هوامش على دفتر النكسة - الممثلون - الاستجواب - فتح - شعراء الأرض المحتلة - القدس - مشورات فدائية - عرس الخيول الفلسطينية - دعوة اصطيفان من حزيزان - حوار مع أغرايي أضعاف فرسه - الحكم والعصفور - الخطاب - حوار مع ملك الفول - إلى الجندي العربي المجهول - تعريف غير كلاسيكي للوطن - خطاب إلى شخص شهر حزيزان - جمال عبد الناصر - الهرم الرابع - من مفكرة عاشق دمشقي - ملاحظات في زمن الحرب والحب - إفادة في محكمة الشعر - يا سَت الدُّنْيَا يا بَرْيُوت - أنا يا صديقة متعب بعروبي - حوار ثوري مع طه حسين - أريد بندقية - السيمفونية الجنوبية وغيرها.

وهكذا تدقق شعر الضمير السياسي، بجمال تعبيره وطلاوة ورشاقة لفظه عند القباني، فتراه يُغرَّد كالبلبل حيناً ويُجرح كالسيف حيناً آخر، «قد أخرج المعجم السياسي من غربته وأزال عنه وحشته فألان الصلة بينه وبين الذوق

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٧ / ٣٢، (من تعليقاته على «هوامش دفتر النكسة»).

العربي. كأنه يدل التصور الذي استوطن في الذهنية العربية والإسلامية حال السياسية إلى ألفة حميمة، والذي زاد توقيفه أنه يستخدم قاموس الفعل السياسي لهجاء السياسة والسياسيين<sup>١</sup> بكل جرأة وشجاعة فيضع أصحابه على الداء وفي حينها يصف الدواء كما نلاحظ في رسالته لجمال عبد الناصر قائلاً: «أودعتها - هوامش على دفتر النكسة - خلاصة ألمي وتمزقني، وكشفت فيها عن مناطق الوجع في جسد أمري العربية، لاقتاعي أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتواري والهروب، وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا. وإذا كانت صرختي حادة وجارحة، وأنا أعرف سلفاً بأنها كذلك، فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة، وأن التزيف يكون بمساحة الجرح».<sup>٢</sup>

ولقد جاءت «القدس» في معظم قصائد شاعرنا نزار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علو منزلة القدس ومكانتها وما تحمل من رموز في قلبه وعقله، موكلأ تحريرها للأجيال القادمة. وهكذا نجد الضمير السياسي حياً عند الشاعر بدوي الجبل يحرك القدس ويهتف بتحريرها فعند ما هدد «أحد الملوك في يوم من الأيام بأنه سيحتل حوران، فهو يريد أن يكون ملكاً على سوريا أيضاً.. انفعل البدوي وألقى قصيدة من الإذاعة السورية، يقال أن ذلك الملك قد ضرب الراديو فحطمه عندما سمع البدوي يقرأ هذين البيتين: يهدد بالسلاح ويدعىه وما ملك الجنود ولا السلاح بطاح القدس دنسها مغير فهل حميت كابنه البطاح؟!<sup>٣</sup>» أشار البدوي في هذين البيتين إلى الفكر البائد الذي يتمتع به بعض قادة الأمة فيرى البدوي أن حالهم حال الإنسان الأحول، فهم بدل أن يهبوا

١. نزار قباني، شاعر لكل الأجيال: ص ٦٢.

٢. نزار قباني، الأعمال الكاملة: ٤٣٥ / ٧.

٣. جريدة تشرين: ١، شباط، ٢٠٠٥، العدد ٩١٦٢، ص ٨.

لاستخلاص القدس من الاحتلال تسأل لهم أنفسهم بالاعتداء على حبرانهم وإخوتهم! وفي قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكفافيريا - السبعينيات» سخر محمود درويش من أولئك الذين حولوا القدس إلى عرش السلطة محاولين خدمة شعوبهم بإظهار الولاء لقضية القدس، موجهاً نقده اللاذع أيضاً للذين يتاجرون بها على المنابر حتى أصبح الحديث عنها تملئه الآذان ويكتب منه الإنسان لأنه لم يقترب بالعمل الصادق. فائلاً:

وما القدس والمدن الضائعة

سوى ناقة تمتطها البداوة

إلى السلطة الجائعة.

وما القدس والمدن الضائعة

سوى منبر للخطابة.

ومستودع للكآبة.

وما القدس إلا زجاجة خمر وصندوق تبغ..

.. ولكنها وطني

من الصعب أن تعزلوا

عصير الفواكه عن كريات دمي..

ولكنها وطني.<sup>١</sup>

فالقدس هي الدم الذي يجري في عروق الشاعر وهي الهواء الذي يستنشق منه، محال عزلها يوماً ما كما أن عزل عصير الفواكه عن كريات الدم محال، فيرسم صورتين للقدس، صورة لموتى الضماں والمتجارين بها، وصورة صادقة لدى أصحاب الضماں الحية الذين آلوا على أنفسهم رسماً فيها في قلوبهم. و قريب من هذا المضمون قصيدة هارون هاشم رشيد (في الزَّمْن

١. محمود درويش، الديوان: ٤٥٦ / ٤٥٧.

المُهان - السبعينيات) لكن يظهر أنها أشد قسوة إذ هي تؤبّ الضمير السياسي لدى الجميع، حينما يطاف يومياً حول القدس وبمختلف الوسائل، لكنها تبقى مكبلة في السلسل تتنّ من وطأة الاحتلال الصهيوني فيقول:

القدس في هذا الزمان  
في زمن الطرشان.. والعميان  
في زمن المُهان  
القدس، صارت متندى،  
وملتقى، ومهرجان..  
القدس صارت مطعماً، ومشرياً  
وملصقاً على الجدران..  
القدس في كل مكان  
في صف الصباح، والمساء  
في موجز النشرة، في تفصيلها،  
في أول الأنباء  
القدس في العنوان  
في خطبة الجمعة،  
في محادثات القمم الشماء  
القدس دانماً في البال،  
في الضمير؛ في الأذهان  
تبقى مكانها،  
مكتومة الصدر،  
<sup>١</sup> لا تجاوز اللسان.<sup>١</sup>

---

١. هارون هاشم رشيد، مذكره عاشق: ص ٢٤ و ٢٥.

إن اللغة الشعرية عند الشاعر هارون تمتاز بالوضوح وبالحدة والشدة والعنف أحياناً إلا أنه يمتلك ضميرأ حياً وواعياً فهو يناضل بأحساسه ومشاعره من أجل قضيته، فالقدس لن تغب عن ذهن الشاعر ولا عن ضميره ولو للحظة واحدة، ولكنه يرى أن الجماهير بعيدة عن التأثير الحقيقي بالأحداث السياسية، ولذا أصبحت القدس لقلقة لسان فقط. وعلى الرغم مما نلاحظ في قصيدة من اليأس والتقرير المباشر إلا أن القدس عنده ما زالت تحرك الزمان وتؤثر فيه فهي تتصدر كل شيء لتهز الضمائر الخامدة ولتدبر صمت هذا العالم الذي بات وكأنما تخلى عن ضميره السياسي والإنساني، إذ لا يسمع ولا يفقه الصوت الضارع للفلسطين والقدس وهو يصرخ صباحاً ومساءً لنجدته واستغاثاته من قيد الاحتلال.

وهكذا نجد نزار قباني في قصيدة (القدس - أواخر السبعينيات) يبكي على اعتاب القدس، المدينة المكلبة ويتساءل نزار عن ما سيعيد الستابل والغضون وضحكه الشفاه والعيون..

بكِيتُ.. حتى انتهت الدُّمُوع  
صلَّيتُ.. حتى ذابت الشُّمُوع  
ركعْتُ.. حتى ملني الرُّكوع  
سأَلْتُ عن مُحَمَّدَ..

فيك، وعن يَسْوَعَ  
يا قدس. يا مدينة تفوح أنباء  
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء  
يا قُدُسُ.. يا مدینتي  
يا قُدُسُ.. يا حبيبي  
غداً.. غداً.. سِيْزِيرُ الليمون

وتفرجُ الستابلُ والغصونُ

وتحصلُكَ الغيونَ.<sup>١</sup>

فالشاعر يستجدد بالضمائر الإسلامية والمسيحية لنصرة القدس وتحريرها من الاحتلال الصهيوني.

جدول أهم قصائد محور «القدس والضمير السياسي العالمي» حسب

الترتيب الزمني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٨٠	عودة الغرباء	١٩٥٥	صوت لاجئ	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٥٩	الأعمال السياسية	١٩٥٨	الحب والبرول	سوري	نزار قباني
٢٧٢	الأعمال الكاملة	١٩٦٧	مزوروا فلسطين	فلسطيني	سمح القاسم
٣٥٨	الأعمال الكاملة	١٩٦٧	سقوط الأقنة	فلسطيني	سمح القاسم
٣٢	الليل والفرسان	١٩٦٧	إلى السيد المسيح	فلسطينية	فدوى طوقان
١٤٩	الأعمال السياسية		شراء الأرض المحتلة	سوري	نزار قباني
١٩١	الأعمال السياسية		إفاده في محكمة الشعر	سوري	نزار قباني
١٣٧	الأعمال السياسية		فتح	سوري	نزار قباني
١٦١	الأعمال السياسية		القدس	سوري	نزار قباني
٢٦١	الأعمال السياسية		الخطاب	سوري	نزار قباني
٤١٧	الأعمال السياسية		من مفكرة عاشق	سوري	نزار قباني
٢١٥	الأعمال السياسية		حوار مع عربي	سوري	نزار قباني
٨٤	سارة المعد		نداء طفل لاجئ	سورية	هند هارون
٤٥٦	الديوان ج ١		سرحان يشرب القهوة	فلسطيني	محمد درويش
٢٤	مفكرة عاشق		في الزمن المهازن	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٤٢٣٨	وردة على جين القدس		وردة على جين القدس	فلسطيني	هارون هاشم رشيد

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ١٦١.

١٢٠ - ١١٩	وردة على جبين القدس	١٩٨٨	الانتفاضة	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
١٢٦ - ١٢٥	الكتابة على أعمدة الشمس	الثمانينيات	غابوا مع الشمس	لبناني	نجيب جمال الدين

### القدس والوحدة العربية والإسلامية

لقد كانت الوحدة العربية في كثير من الأحيان تعني «الوحدة الإسلامية» لا غير لكن بعض تصرفات الحكم العثماني (١٩١٧ م - ١٥١٦ هـ) البعيدة عن المنطق والحكمة، جعل حركة الوحدة العربية تتبلور بشكلها القومي العربي ويراد منها الوحدة السياسية للبلاد العربية والأمة العربية آنذاك ومن خلالها يستطيع أبناؤها مواصلة الطريق وعلى مختلف الأصعدة لاسيما طريق النضال والكفاح لحل القضية الفلسطينية وتحرير قدسها من دنس العدو الغاصب.

فالوحدة العربية والإسلامية أمل العرب والمسلمين في عصرنا الحاضر، إليها تتوّق النّفوس، وتهفو الأرواح، لاسيما وأن الظروف العامة تدعى العرب والمسلمين إلى التمسك بفكرة الوحدة والعمل على تحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وعزم وإيمان.

لقد مضت على الأمة العربية والإسلامية أيام مظلمة حَمْاءً، لاقت فيها من صنوف التفرقة ما أضعفها ونَكَلَ بها وجعل بلادها وأرضهم مطمعاً للفزاعة الصهابية. ولكن الأمل يدفعهم إلى الخلاص من هذه الفُرقَة بأي ثمن ليتهوا إلى تحقيق الوحدة التي تجمع بينهم وتوحدهم وتؤلف بين قلوبهم وفترض إرادتهم، المشتركة ووجودهم<sup>٤٣</sup>، ولاشك أن هذا قد حصل في القرون الثلاثة الأولى وذلك أيام الدولة الإسلامية والعربية وصدر الإسلام حيث توحدت الرياحيات تحت راية الإسلام.

٤٣. نور الدين حاطوم، نحو الوحدة العربية: ص ٤٣

وتبرز حقيقة الوحدة من خلال الكفاح ضد الاحتلال والاستعمار الغربي، فقد أكدت الظروف التي مر بها الوطن العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية لاسيما في فلسطين أهمية الوحدة وضرورتها فلهذا قد وجده شعراء القدس أنفسهم أمام أحداث كبيرة أبرزها زرع الكيان الصهيوني في قلب الأمة واحتلال قدسها، لذا تحول البعض إلى دعوة قومين منادين بالوحدة العربية، فالتجزئة لم تعد مجرد حدود سياسة تفصل وطنًا عن آخر فحسب إنما صارت جزءاً من مشروع استعماري هادف لابتلاع الشعوب وثرواتها.

ومن هنا نجد أن الشعراء ركزوا على هذا الجانب الأهم، حيث يرون بعض أسباب الهزائم التي منيت الأمة بها كان منشؤها تلك المشاريع والخطط الخبيثة التي سببت التمزق والفرقة وقطعت جسد الأمة إلى أشلاء مبعثرة وأوطان متاخرة أدت إلى ضياع القدس بكل بساطة.

لاشك أن القضية حينما تكون على هذا المستوى من الخطورة، كما هو شأن بالنسبة إلى قضية القدس، فإن المسؤولية تكون على عاتق الجميع وعليهم تحملها ولا يجوز لأي واحد أن يفرط بها ويختلف عن تحمل مسؤوليته منها.

ومن هنا جاءت تساؤلات الشاعر المتألمة فالآلة قد أغرت عن الوحدة وقبول المسؤولية وراحت تركض خلف السراب لتزداد عطشاً، حين واجهت سفيتها العواصف المهلكة مما جعل صوت الشاعر يعلو بالتحبيب وقلبه يقطعه الأسى حين يرى شعبه انسحب من تحت أرجله البساط، وتواتت هزائمه ونكباته فنظر بعمق ثم تحسر قائلاً: ما أكثر العبر وقلة المعتبر، فالصهاينة - مع ذلّهم وتفرقهم وتشتّتهم - أخذوا بأسباب القدرة والقوة وتوحدوا مع الباطل في كل شؤونهم، وأصحاب الحق يُبكي لهم! مع وضوح الحق ومسلكه وكثرة منارات الهدى فيه.

ولذا نرى كيف يستبشر الشاعر حسن البحيري في القصيدة (أفراح الوحدة) ١٩٥٨- عندما أعلنت الوحدة بين «مصر» و«سوريا» في شباط عام (١٩٥٨) فراح يعزف ألحان الفرح وهلل له حيث أن أمله وأمل أمته العربية والإسلامية قد لاح بالأفق ومن خلاله سوف تعود القدس إلى حضن أهلها قاتلاً:

وَطَنْ خَرَّ رُوْبِنْ أَرْضَهُ بَدْمٌ يَقْطُرُ مِنْ كُلِّ جَنَانٍ  
وَرَفَعَنَا فِي ذُرَاهٍ رَايَةً تَهَادِي فَوْقَ هَامَاتِ الْعَنَانِ  
نَحْنُ فِيهِ أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَمْ تُفَرَّقْ بِفَوَادِي أَوْ لِسَانِ

وَعَلَى جَرْحٍ عَمِيقٍ فِي الأَسْى لَيْسَ لِلْطَّبْ بِدُنْيَا يَدَانِ  
هَاجَ قَلْبُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى هُوَ أَنْطَقَ الْجَرْحَ بِآيَاتِ التَّيَانِ<sup>١</sup>

يرزت الحاجة الملحة إلى مفهوم الوحدة العربية وكما سبقت الإشارة إليه - في بداية هذا المحور - إثر تفكك البلاد العربية أثناء الاحتلال الغربي واقتسم الدولة العثمانية والتي تركت بصماتها آنذاك على نفسية المواطن العربي، واشتinctت المقاومة للحفاظ على الهوية القومية العربية لاسيما بعد زرع الغدة السرطانية - الكيان الصهيوني - في قلب الأمة والتي أكدت على أن بلورة الوحدة هو الرد الحازم والحل الوحيد للقضايا الراهنة لاسيما قضية القدس، وكان من أبرز نتائج هذه الفكرة في أرض الواقع هو: وحدة مصر وسوريا عام (١٩٥٨) حتى أيلول عام (١٩٦١) وكذلك اتحاد جمهوريات كل من مصر وسوريا ولبيا عام (١٩٨١) واتحاد المغرب العربي عام (١٩٨٩) ومجلس التعاون العربي عام (١٩٨٩) واتحاد شطري اليمن عام (١٩٩٠) ومن هنا صور البحيري أن الوحدة العربية ستقتضي على كل أشكال التخلف والتمزق والفرقة وتجعل للأمة قلباً ولساناً واحداً تنطلق من خلاله نحو القدس والمسجد

<sup>١</sup>. حسن البحيري، للفلسطين أغني: ص ٧١ - ٧٣.

الأقصى لتحقيق الآمال والأحلام وتعيد البسمة الصائعة لأمتها وشعبها.

وفي هذا المضمون جاءت قصيدة (في عيد الوحدة) للشاعر سليمان العيسى والتي ألقاها في حلب احتفالاً بموعد الجمهورية العربية المتحدة في شباط من عام (١٩٥٨):

وليالي الضياع، والقىد، زولي نحن باقون وحدة لن تزولا  
وحدة.. تلهم الكواكب مسراً ها وتمشي في القفر ظلاً ظليلاً  
وحدة.. في السماء والأرض منها لهب يغسل الأذى والدخلاً  
فالشاعر يعبر عن إحساسه الصادق تجاه الوحدة العربية فيرى نفسه لابساً  
ثيابه القشب، راقصاً في عيد ميلاد الجمهورية العربية المتحدة، إذ زمان  
الضياع والتشتت لم يُعد يذكر! ثم يواصل قصيده قائلاً في مقطع ثان منها:  
أين أهلي على الذرى الشم في لبنان؟.. تحلو في العيد كأس التلاقي  
أين أهلي.. في القدس، فوق الضفاف الخضر، ضجّت في صدرهم أشواقي  
لكأني أُجرّ خلفي حطاماً من عقالٍ في زندها ووشاق  
العراق الحبيب.. طال دجاجه أنا أذرى بصاعقات العراق  
أين أهلي.. فالعيد في كل صدر زَعْراتٌ تضيء في الآفاق  
فنضل الأمة يتوقف على وحدة كلمتها وصفها، لأن التمزق موت  
والوحدة حياة، وتحرير القدس لا يتم إلا عبر الحياة إذ هي التي تحمل في  
طياتها التضامن والجهاد، ومن أجلها ضحى الكثير بأنفسهم وأموالهم للوصول  
إلى أهدافهم السامية، فندب سليمان العيسى العرب في لبنان وبغداد وغيرهم  
معلناً تضامنه معهم يطرب للوحدة حين لاحت في الآفاق والأنفس.

١. سليمان العيسى، الأعمال الشعرية: ١ / ٤٣٣ - ٤٣٤.

٢. المصدر: ٤٣٥ - ٤٣٤.

وراحت الشاعرة هند هارون في قصيدة (من وحي الوحدة - ١٩٥٩م) ومن هذا المنطلق تصور لنا بأن الوحدة الكبرى ستكون كالمظلة والخيمة تضم تحت جناحها أمتها العربية والإسلامية وستكون المنطلق لتحرير القدس وعودة أهلها قائلة:

الوحدة الكبرى.. تبارك من يهمل للعروبة...!!

وتضم تحت جناحها.. أبناء أمتنا الحبيبة..

سيعود شعب القدس.. جباراً.. إلى الأرض السليمة

سيعود.. رغم الغاصبين.. إلى مرابعه الخصيبة!!!<sup>١</sup>

وهكذا تغنى شعراء القدس في عقد الخمسينيات والستينيات مستبشرین بالوحدة العربية متفائلين باستخلاص القدس من براثن الاحتلال، ولكن يا ترى هل تحققت آمالهم وأمنياتهم؟ وبأي نسبة وما هي الأسباب؟ هل الأسباب أنفسهم؟ أم أن الجميع مشترك في ذلك؟ ولم لم يستمر شعراء القدس بعد الستينيات بالطرب للوحدة والتغنى لها؟ هل خابت آمالهم؟ وهل سيقى حلم الوحدة الذي طال انتظاره غير قابل للتحقق وغير قابل للتفسير؟ أرى من المناسب أن نتحليل الإجابة لمستقبل القدس وتاريخها المستقبلي إذ الشعر سكت عن ذلك حيث تتبعنا مظان شعر القدس فلم نحصل على شيء ولكن خارج إطار الشعر كتبت عشرات بل مئات الكتب والمقالات وعقدت الندوات والمؤتمرات بما لا يقل عن ذلك، لدراسة هذا الموضوع - الوحدة - أمثال: نحو الوحدة العربية لصابر فلحوط، والوحدة العربية لعلي بدبور، والوحدة العربية لعبد العزيز الدوري والوحدة العربية لناصيف غالب ونحو الوحدة العربية لنور الدين خطاطوم و.. ونوقشت المعوقات والتبعات وقدمت الحلول والمقترنات.. ونحن نأمل أن تتوحد الأمة الإسلامية بما فيها العربية

١. هند هارون، سارقة المعبد: ص ٨٢.

ومن خلال هذه الوحدة يزغ الفجر حين نرى راية النصر ترفرف في ربوع القدس وفلسطين، إذ الوحدة الإسلامية والتي دعا إليها الإمام الخميني (قدس الله سره) هي الدواء لكل داء.

#### جدول أهم قصائد محور «القدس والوحدة الإسلامية» حسب الترتيب الزمني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحيري	فلسطيني	الفرح بالوحدة	١٩٥٨	لسطين أغني	٢٠٤
حيدر محمود	فلسطيني	اعتذار الأقصى	١٩٨٦	الأعمال الكاملة	١٣٦-١٢٨
عبد الصفيح حوز	سوري	بابني الإسلام	١٩٨٧	شجرات الدماء	١٨-١١
عبد الله يوركى حلاق	سوري	كوكب العروبة	١٩٨٨	حصاد	١٩٦
عفيف النابلي	لبناني	دون عنوان	١٩٩٠	نفحات عاملية	٢٣-١٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	شهداءنا الأبرار	١٩٩١	طبور الجنة	٨٦-٨٣

#### القدس وقضية السلام

إن السلام من القيم السامية المتفق عليها عند البشرية جموعاً، لاسيما عند الشعوب الإسلامية حيث يرددون تحية السلام صباحاً ومساءً، وذلك تطبيقاً لتعاليم دينهم ومنهج إسلامهم - السلام عليكم.. عليكم السلام - وهل يتصور للدين الحنيف غير هذا؟ بل أكثر من ذلك إذ أمر الله عز وجل المسلمين أن يجنحوا للسلم حتى مع خصومهم، أليس هو القائل (وَإِن جَنحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) <sup>١</sup> وهذا حسب الأسس والقواعد المنطقية العقلية لدى جميع الأمم والأقوام «إلا اليهود الصهاينة يصررون على أن تكون لهم مفاهيمهم الخاصة لجميع القيم بما فيها السلام، فوراء شعارات السلام التي يرفعونها يخفون حقيقة نفوسهم الميالة نحو الحرب والعدوان، وهذا طبع متصل فيهم، وعادة متحكمة في شخصيتهم، تظهر في أعمالهم وتصرفاتهم وتعبر عن

مفهومهم للسلام كخيار تكتيكي، على عكس ما هو عند غيرهم<sup>١</sup>.  
 ها هو القرآن الكريم يخبرنا عن بعض أفعالهم على طول التاريخ ويحذرنا من مكائد़هم المتواتلة ﴿أَفَتَظْلِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَهُمْ وَقَدْ كَانُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرَفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَغْلُبُونَ﴾<sup>٢</sup> وفي آية أخرى قوله سبحانه: ﴿وَكُلُّنَا عَاهَدُوا عَهْدًا ثَبِيدًا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>٣</sup> وفي العصر الحديث وتحديداً توقيع معاهدة كامب ديفيد في تاريخ (١٩٧٨/٩/١٨) التي تعتبر أول معاهدة سلام تخص قضية القدس ومروراً بمعاهدة مدريد (١٩٩١) وأوسلو (١٩٩٣) تبلور تاريخ الصهيونية وأصبح أكثر وضوحاً، ولذا تبدلت أوهام السلام حينما رأى الجميع أن إسرائيل غير راغبة في السلام العادل، وما تريده من معزوفة السلام هو أن لا يكون سلام لأنها تدرك جيداً بأن معنى السلام هو إخلاء سهل القدس وإرجاع الحق إلى أهله وهذا خلاف فلسفة وجودها في قلب الوطن العربي والإسلامي فلسطين؛ حيث إن الكيان الصهيوني فرض على الأمة فرضاً بقوة الاستعمار والخطط المدروسة مسبقاً، ولذا حينما يدور الكلام حول قضية السلام ترى الصهاينة لا يريدون السلام بالمعنى الحقيقي له ويضعون دائماً خيار الاستسلام أو الموت للشعب الفلسطيني، ولا شك أن هذا أخطر من الاحتلال على الشعب والأرض والعرض.

ثم «ما قيمة السلام إذا كان المطلوب منا أن نتنازل عن حقوقنا في وطني ليظل شعبنا مطروداً من أرضه وأرض آبائه وأجداده ويعيش مشرداً بلا وطن يُؤويه وبلد يحميه؟ وما قيمة السلام إذا كانت إسرائيل تصادر المزيد من

١. محمد علي عمر الفراء، السلام الخادع: ص ٣٤٩.

٢. البقرة: ٧٥.

٣. البقرة: ١٠٠.

الأراضي الفلسطينية وتقيم عليها مستعمرات جديدة أو توسيع القائم منها؟». <sup>١</sup>  
 ونجد الكثير - مع الأسف الشديد - قد صدق هذه الخدعة - السلام -  
 بشيء من السذاجة، وآمنوا بأنه من الواجب عليهم فعلًا أن يسلّموا بأن  
 إسرائيل حقيقة واقعة لا يمكن أن تزول، نسجوا من صلب مأساتهم أحلام  
 المستقبل القائم على تحقيق السلام، وراحوا يتربّون ساعة إحلال هذا  
 السلام.. كلُّ ظنهم كان أن السلام سيحلُّ بين ليلة وضحاها، ونسوا العزة  
 الإنسانية والإسلامية والعربيّة وكأنه لم يمر عليهم قول المتنبي حين يقول:  
 عشْ عزيزاً أو مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَفْنِ الْقَافِ وَخَفْقِ الْبَنْوَدِ  
 بل راح البعض أبعد من هذا حين أخذ يتفنّى لإسرائيل وشغفها لشعوب  
 العالم الثالث ونيتها الخالصة لهم!، علق آمال انتعاش البلاد والأوطان العربية  
 وازدهارها إلى ما بعد السلام!!، إذ سوف يصب ميزان الكيان الصهيوني - عفواً  
 إسرائيل الشقيقة - بالمعونات المختلفة وتتدفق التكنولوجيا الحديثة لبلاده،  
 لتصبح جنة الدنيا وأمنيتها.

ولكن تاريخ السلام العربي - الإسرائيلي قد أثبت خلاف هذا التصور  
 فقد كشفت الوثائق أن تاريخ العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل - أيام  
 الرئيس السادات - هو تاريخ نشر مخدرات ونشر الإيدز، ونشر الفساد  
 الإداري، وأغذية فاسدة، أو مجرّثمة، أو مؤدية إلى العقم أو مهيبة جنسياً، أو  
 مثبطة جنسياً.. وهلم جراً، وأما المكاسب التي حققتها موريانا فهي دفن  
 النفايات النووية الإسرائيلية في أراضيها<sup>٢</sup>؛ وكما قيل منْ جَرَبَ الْمُجَرَّبَ

١. محمد علي عمر الفراء، السلام الخادع: ص ٣٥٦ و ٣٥٥.

٢. عزت السيد أحمد، انهاير أسطورة السلام: ص ٨.

٣. أبو الطيب المتنبي، الديوان: ٤٥ / ٢.

٤. عزت السيد أحمد، انهاير أسطورة السلام: ص ١٨٧ و ١٨٨.

حَلَّتْ بِهِ التَّدَامَةُ إِذْنَ لَمْ هَذِهِ الْهَرُولَةُ نَحْوِ شَرْبِ السَّمِ الْقَاتِلِ؟ لَمْ هَذِهِ التَّسَابِقُ نَحْوِ الْفَنَاءِ الْمُحْتَمِ؟!

مضت السنون وتصرّمت الأيام على بدء مفاوضات السلام منذ عام (١٩٧٨) من دون الحصول على أي شيء يستحق الذكر!، اللهم إلا عدم استخدام لفظ الكيان الصهيوني والعدو الصهيوني عند الحديث عن إسرائيل، واستخدام لفظ حافظ المبكي بدلاً من حافظ البراق، واستخدام لفظ قتيل بدلاً عن شهيد حينما يسقط الفلسطيني برصاص الاحتلال وهو مضرّج بدمه، واستخدام المستوطنات بدلاً من المستعمرات، والاعتراف بإسرائيل دولة يمكن العيش إلى جانبيها لدى البعض!!!

هذا أدمى قلوب شعراً القدس وفجر قرائحهم شعراً لونه أشد اسوداداً من غياض الدجى، يسوده الألم والحزن، مما جعل القدس صامدة شامخة، ولكنها تتنزّه وتصرخ لما تعانيه من وطأة الاحتلال، واستغراها من آخر الزمان، وفوضى المواقف، كيف اتفق أهل الباطل على باطلهم وتفرق أهل الحق عن حقهم، بل عن أرضهم، ولا أقول هذا جزافاً ولا مبالغة إلاً بعدما تتبع مظان شعر هذا المحور - القدس وأوهام السلام - فلم أتعثر على شاعر من شعراً القدس قد تفاءل لقضية السلام على الرواية الصهيونية، ولا بارقةأمل لمستقبل واضح المعالم يسوده العدل والمساواة وهكذا جثم على قضية القدس عهد جديد وهو مأساة الضياع.

ولهذا المصايب يفتح شاعر القدس ويمزقه الجزع والأسى معبراً كل التعبير عن ضياع شعبه ووطنه وقدسه، وهذا ما نجده عند الشاعر السوري زكي قنصل وذلك حينما خُذل العرب في عام (١٩٤٨) بالحديث عن الهدنة والسلام وكان إنفاذ الكيان الصهيوني بعدما أوشك على الانهيار في بداية الحرب، وبالفعل كانت نتيجة خدعة السلام نكبة الجيوش العربية وضياع فلسطين والقدس الجديدة، يقول قنصل في قصidته (خرافة السلام - ١٩٥٥):

لَهُنِي عَلَى الْقُدْسِ انطَوْتُ أَعْلَمَهُ  
يَمْشِي الْأَصْلِيُّ ابْنُ الْأَصْلِيِّ مُطَاطِنًا  
الْهَدْنَةُ النَّكَرَاءُ أَصْلُ بِلَاتِنَا  
لَوْلَا جَابَلُهَا الْحَطَّمُ سَيْفَنَا  
لَيْتَ الَّذِينَ اسْبَثُرُوا بِسْرَاهَا  
مَلِيُونٌ لَاجٌ فِي الْعَرَاءِ تَشَرَّدُوا  
يَا حَانِفِينَ عَلَى السَّلَامِ أَلَا اخْجُلُوا  
سَلَطَ الشَّاعِرُ الضَّوءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ عَلَى خَدْعَةِ السَّلَامِ آنِذَاكَ حِينَ رَوَّجَهَا

حَمَّةُ الصَّهِيُونِيَّةِ وَاسْتَسْلَمَ لَهَا الْبَسْطَاءُ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا خَرَافَةً باطِلَةً، إِذَا كَيْفَ  
الْحَدِيثُ عَنِ السَّلَامِ وَأَكْثَرُ مِنْ مَلِيُونٍ لَاجِنٌ فَلَسْطِينِيٌّ تَحْتَ الْعَرَاءِ يَقْلِبُهُمْ حَرَّ  
الصَّيفِ وَبَرَدِ الشَّتَاءِ، فَالشَّاعِرُ يَرَى أَسْبَابَ الْهَزِيمَةِ هِيَ الْهَدْنَةُ وَخَدْعَةُ السَّلَامِ.

وَمِنْ هَنَا يَمْكُنُ الْإِسْتِبْطَاطُ أَنَّهُ مَتَى أَصْبَحَ الْكَيَانُ الْغَاصِبُ فِي مَأْزَقٍ مِنْ  
أَمْرِهِ كَثُرَ الْحَدِيثُ حَوْلَ السَّلَامِ! وَلَمْ تَمْضِ فَتْرَةٌ طَوِيلَةٌ عَلَى مُقْوِلَةِ السَّلَامِ أَيَّامَ  
النَّكَبَةِ حَتَّى فَسَرَ قَادِهِ السَّلَامِ السَّلَامُ وَذَلِكَ فِي عَدَوَانِهِ الْمُلْتَهِي عَلَى مَصْرَعِ عَامِ  
(١٩٥٦) وَعَلَى رَأْسِهِمِ الْكَيَانِ الصَّهِيُونِيِّ، فَوَاقِعُ الشَّاعِرِ زَكِيٍّ قَنْصُلُ حَدِيثِهِ  
عَنِ السَّلَامِ فِي قَصِيدَةٍ (كَنَانَةُ اللَّهِ - ١٩٥٦) كَاشِفًا الْقَنَاعَ عَنِهِ، قَائِلًا:

أَيْنَ السَّلَامُ أَيْنَ الْهَاتِفُونَ لَهُ بَلْ أَيْنَ زَمْرَرُ وَزُمْمَارُ وَسُعْدَانُ؟  
مَا فِي الْكَنَانَةِ لِلْطَّغْيَانِ مُرْتَبَعٌ إِلَّا إِذَا احْتَلَ عَرْشَ الْحَقِّ شَيْطَانُ  
تَلْكَ الْوَعْدُ الَّتِي انْقَادَتْ لَهَا انْفَضَحَتْ فَبَانَ تَحْتَ إِهَابِ الشَّاهِ سَرْحَانُ  
أَبْخَسَمُ الْقَدْسَ لِلشَّذَادِ فَاقْتَسَمَتْ عَارِ الْجَرِيمَةِ إِصْلَالُ وَذُؤْبَانُ

١. زَكِيٌّ قَنْصُلُ، الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ الْكَامِلَةُ: ٤٢ / ١ وَ ٤٤.

٢. زَكِيٌّ قَنْصُلُ، الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ الْكَامِلَةُ: ص ٥٥ و ٥٦.

عكست أبيات الشاعر حدة الرفض، وكشفت الانفعالية في قرارات السلام المتخذة. وهذا الأمر واضح في قصيدة فنصل هذه وهجومه على دعوة السلام الكاذب حيث تسأله عن السلام وأصحابه أكثر من مرة، وقد اتسمت القصيدة بعبارة الصياغة إذ جاءت ألفاظها سهلة الفهم تكاد تقرب من لغة الشارع.

الكل يعلم أن القاعدة التي تقوم عليها الصهيونية، هي قاعدة العنف، القتل، الإرهاب.. ولهذا فإننا نرى أنه لا يوجد في القاموس الصهيوني سلامً بالمعنى الحقيقي والمفهوم عند أرباب العقول، لذا تجد إسرائيل تعربد في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه تارة، وتبكي للسلام مع أقمارها تارة أخرى، وقد أربكت مواقفها هذه البعض وأربعت البعض الآخر حيث سقط الكثير قبل الطلقة كما يقول المثل العربي «رغم أن حرب تشرين عام (١٩٧٣) قد بددت كثيراً من هذه الأوهام، إلا أن فكر بعض القيادة والزعماء بوعي أو بغير وعي ما زال يدق على وتر حتمية التعامل مع إسرائيل على أساس أن التكافؤ العربي معها مستحيل، وأن مقومات استمرار التفوق لصالحها سوف تستمر إلى ما لا نهاية!؟».<sup>١</sup>

ولعله من هذا المنطلق جاءت معاهدـة كامب ديفيد للسلام عام (١٩٧٨)، التي وقـعـها الرئيس المصري «أنور السادات» ورئيس الوزراء الإسرائيلي «مناحيم بيغن» ولقد كان لها الصدى الكبير على الساحة العربية والإسلامية لخرقها الإجماع العربي والإسلامي تجاه العدو الصهيوني، والأثر الأكبر على قضية القدس بل القضية الفلسطينية والشرق الأوسط باعتبارها الحدث الأكبر تأثيراً، وقد عبر شعر القدس عن هذه الأحداث المروعة لأنها الأخطر على الشعب والوطن.

---

١. موسى عطاء الله، تقاطع على حروف السلام، ص ٨.

ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر عبد الله يوركى حلاق «بنت الفرات -

١٩٧٨م» ولعلها أول قصائد هذا الصنف التي نقف عندها، إذ يقول:

يا مصر لمي ما نشرت من المُنى الورد أمسى في يديك فقادا  
لا تسألي الأعداء سلماً آثُهم مكرروا وزادوا خسَّةً وعنادا  
ذرروا الأماني والوعود وأخلفوا فكأنهم ريح تذْرُّ مادا  
أو ما عدلت، وفيكِ فطنة حاذق للقدس كم ذهب الرَّسُولُ وعادا  
يا مصر هل ينسى الشقيقُ شقيقة؟ كلاماً ولو طال العتاب وزاداً  
فأبيات الشاعر جاءت عتابية من شقيق إلى شقيقه، يقدم له النصائح  
المخلصة ويكشف التمويه المتليس به عدوه، وما يكن له من شراسة وحسنة  
وعناد وخلف وعد، لأن الشاعر يشير للآية الكريمة كُلَّمَا غَاهَدُوا عَهْدًا بَذَهَ  
فَرِيقٌ مُنْهَمٌ بَلْ أَكْتُرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>١</sup> التي تؤكد بعض خصال الصهابية الذاتية،  
فالشاعر انتزع هذه الطبع الخطيرة وصور السلام الخادع الذي يتصرف به. ففي  
هذه الأبيات من الشفقة والأنين مالا يخفى، ولعل هذا النوع من الشعر وما فيه من  
همس أوقع أثراً من شعر الصخب والصياح حيث يستمد الشاعر يوركى حلاق  
عاطفته الإنسانية من إطلالاته العميقية على ثقاقة أمته وأصله العربي والإسلامي.

ولذا يرى كثير من شعراء القدس أن معاهدة كامب ديفيد للسلام كانت  
 بمثابة شرب السم للعرب والمسلمين لما فيها من الخطورة والضياع، وفي هذا  
المضمار جاءت أبيات قصيدة الشاعر اللبناني جمال الدين (بسمة اللوز) -

١٩٧٩م) قائلاً فيها:

لو لاكَ هَلْ «كمب داود»،

١. عبد الله يوركى حلاق، عصير الحerman: ص ٢٦٢.

٢. البقرة: ١٠٠.

سوى طَبِقَ حَامُوا عَلَى شَهْدَهُ الْمَسْمُومِ  
وَاحْتَشَدُوا...  
يَا رَمَلَ سِيناءَ

هل تدرِّي بما اتَّخَذُوا من القرارات  
أو تدرِّي بما عقدُوا  
مَشَوا إِلَى الْقُدْسِ  
سَارُوا فِي جَنَازَتِهِمْ  
وَالْعَشُّ لَوْ نَظَرُوا مِنْ فِيهِ مَا وَفَدُوا  
فِي الصَّحَافَاتِ عَلَى الْكُتُبَانِ نائِمَةً  
فِي الرَّمَادِ

وَفِيهِ طَيْفٌ مِنْ رَمَدُوا  
مَشَوا إِلَى الْقُدْسِ؟  
لَيْسَ الشَّمْ مِنْ شِيمَيِ  
لَكِنْ أَرَاهُمْ عَلَى شَتْمِ الْوَفَا اجْتَهَدُوا  
شَدُّوا لَدَى الرَّحْفِ مَطَاطًا عَلَى رُكَبِ  
وَفِي الرَّقَابِ مَنَادِيلَ الْخَزَّا عَقَدُوا.<sup>١</sup>

كامب ديفيد عند نجيب جمال الدين هي أساس المصائب التي التصقت بالوطن العربي والإسلامي بل الإيادة الجماعية للعرب وال المسلمين، لهذا تصاعدت نسمة الشاعر على الذين زحفوا لأوهام السلام - على الرواية الصهيونية - مسرعين فأضاعوا حيّتهم وكرامتهم وحيثية وكرامة الأمة برمتها، لاسيما أبناء القدس وفلسطين، الأمر الذي دفعه للتأنيب والتقرير بمطرقة من الفولاذ والحديد، فالصورة التي يقدمها شاعرنا نجيب تحمل الحزن والألم وتظهر وجданه المعدب،

١. نجيب جمال الدين، تصاند إلى عاصمة المدن: ص ١٤٣ - ١٥٨.

تبين عمق المأساة التي قسمت ظهر كل إنسان حرّ ذي تاريخ عميق، فالتوّجع المكرر في القصيدة نابع من واقع شدة الألم حيث يسارع الإنسان لقتل نفسه ويشيعها للدفن وهو يظنُ أنه يحسن صنعاً، نعم هكذا ضاعت القدس !!

لم تكن أول قصيدة تشاءم فيها الشاعر نجيب لقضية السلام وكشف الأقنعة عن وجوه الصهاينة المختبئة خلف سور السلام - هذا اللفظ المحبب لدى الجميع - ففي قصيدة (الرَّحْلَاتَانِ - أواخر السبعينيات) يواصل الحديث عن تداعيات معاهدة كامب ديفيد قائلاً:

فَدَارَةُ السَّلَمِ.. أَدْرِي  
سُورُهَا لَهَبَ كَجْنَةُ الله  
إِنْ تُغْبَرُ.. فَبِاللهِ  
مَنْ يَغْضُضُ السَّلَمَ؟  
لَكُنْ.. وَيَبْعَ طَالِبِهِ  
إِنْ رَاحَ يَخْمُلُ مَعْنَى ذَلَّةِ الْطَّلبِ  
فَإِنْ تَكُنْ..

رَحْلَةُ لِلْقَدْسِ قَدْ جَلَبَتْ حَزْنًا عَلَى الْقَدْنِ  
يَبْقَى آخرَ الْحَقْبِ.<sup>١</sup>

لقد حمل الشاعر «نجيب» جراحات القدس العميقة في قلبه وفي وجدانه، فعندما يقول المخرج السويدي «بياهو المكتس»: «الفلسطينيون لهم حقوق، ككل حقوق الشعوب، وإذا لم تنجز هذه الحقوق، أعتقد أنه لن يكون هناك نوع من السلام لأن من المضحك القبول بتوزيعهم في (٢١) دولة عربية كأنك تقول للسويديين: «اذهبوا وعيشو في ألمانيا»، فكيف بابن الوطن لا يصرخ

١. نجيب جمال الدين، تصارع إلى عاصمة المدن الشرقية: ص ٩٥ و ٩٦.

٢. منية سمارة، فلسطين في ذاكرة العالم: ص ٧٨.

وهو الذي يرى ضياع أرضه بما فيها القدس الشريف، فالشاعر استلهם التشبيه من الآية الكريمة ﴿... فَطَرِبَ بَيْتَهُمْ يَسُورِ لَهُ بَابُ بَاطِنَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾<sup>١</sup> فالوطن جنة وخلف سور السلام الذي يؤدي إلى فقدان الجنة التي هي الأرض والوطن، لهم جهنم ونارها، وخزي الدنيا عارها، اللهم إلا أن يتحقق السلام العدل والسلام المشروع إذ ليس هناك من يبغض السلام بهذا المعنى. ولقد استمرت إدانة ومحاجمة السلام عند شعراء القدس، بعد معاهدات مدريد عام (١٩٩١م) أوسلو عام (١٩٩٣م) ووادي - عربة عام (١٩٩٤م) وطابا عام (١٩٩٥م) و«وادي بلانيتش» عام (١٩٩٨م) وشرم الشيخ عام (١٩٩٨م) ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر «هارون هاشم رشيد» (هذا سلامهم - ١٩٩٤).

وَطَنٌ تَكُونُ الْقَدْسُ عَاصِمَةً لَهُ يَغْلُوبُهُ صَوْتُ الْأَذَانِ وَيَصْنَعُهُ «الله أَكْبَرُ»، لَا سُواهَا رَفِدَتْنَا فِي ظَلَّهَا، وَلَأْجَلَهَا تَوَحَّدُ مَا فِيهِ مُخْتَمَلٌ، وَلَا مُسْتَغْبَدٌ هِي لِلْسَّلَامِ الْحَقِّ، لِلْعَدْلِ الَّذِي عَرَبَيَّةٌ، قَرَشَيَّةٌ، مُضَرَّيَّةٌ أَعْلَمُهَا، تَعْلُو السَّمَاءَ، وَتَخْلُدُ<sup>٢</sup>  
فالشاعر يرفض معاهدات السلام مالم تعيد الأرض والحرية لأهلها وتكون القدس هي العاصمة العربية الإسلامية ورایة فلسطين فوقها خفاقة.  
وفي هذا المضمون - بل أكثر بساطاً - قصيدة الشاعر «علي عقلة عرسان» (أورسالم - ١٩٩٦م)<sup>٣</sup> الذي عالج فيه قضية السلام بشكل مبسط فأسهب الحديث حوله. وهلم جرا، مadam السلام العادل بعيداً عن القدس، فشعر الرفض مستمر لتبقى القدس رمزاً للحياة أهلها حتى يتحقق السلام العادل في مدينة السلام.

١. الحديث: ١٣.

٢. هارون هاشم رشيد، طيور الجنة: ص ١٤٤.

٣. علي عقلة عرسان، الأعمال الشعرية: ص ٢٩٩.

### جدول أهم قصائد محور «القدس وقضية السلام» حسب الترتيب الزماني

الصفحة	المصدر	التاريخ	عنوان القصيدة	الجنسية	الشاعر
٥١-٤٨	عودة الغرباء	١٩٥٥	قولوا لهم	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٥٢٥٠	الأعمال الكاملة	١٩٥٦	في شبل مصر	سوري	ذكي فضل
٢٧٥	الأعمال الكاملة	١٩٦٧	مزמור أطفال العالم	فلسطيني	سيح القاسم
١٢٦-١١٨	صوت الشعر	١٩٦٩	جراح فلسطين	فلسطيني	جميل علوش
١٤٨-١٤٣	طبور الجنة	١٩٩٤	هذا سلامهم	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٣٠٥	الأعمال الشعرية	١٩٩٦	أورسالم صباح الخير	سوري	علي عقلة عرسان
٣٢٣	الأعمال الشعرية	١٩٩٦	أورسالم صباح الخير	سوري	علي عقلة عرسان
٥٦٥٢	مفكرة عاشق	تعبيات	الخرف	فلسطيني	هارون هاشم رشيد
٩١-٨١	حقائق وأوهام	٢٠٠٠	يامة	سوري	عبد اللطيف محرز
١٤٣-١٤٠	حقائق وأوهام	٢٠٠٠	خرافة السلام	سوري	عبد اللطيف محرز

### القدس والانتفاضة المقدسة

إن معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد منذ نكبة بقيام الدولة الصهيونية ومنذ وعد بلفور عام (١٩١٧م) الذي أعطى مالا يملك من لا يستحق، فتكاًكأسذاذ العالم - المسماون أنفسهم باليهود - لتشيد دولتهم على أنقاض أرض العرب والإسلام فلسطين الجريحة، فكانوا جرثومة سرطانية بكل معنى الكلمة، ولم يحسن العالم الإسلامي والعربي معالجتها في الوقت المناسب، فاستمرت الأمة تختبط في حروب يُرثى لها حيناً، وتشرذم عبر صراعات حيناً آخر، وهكذا حتى سقوطها في فخ ما يسمى بعملية السلام في الشرق الأوسط!

وأما الشعب الفلسطيني المنكوب فقد غسل يديه إلى أعلى من المرفق كما يقول المثل الإيراني، ولم يعد أمامه أي سبيل لرفع المعاناة وبعد إخفاق اتفاقيات السلام سوى الانتفاضات الشعبية والمقاومة الإسلامية والوطنية،

«فهض الشعب الفلسطيني ويادر من جديد ومن فوق تراب وطنه المحتل، باتفاقية ثورية جديدة، مستوىًّا لكل دروس التجارب النضالية السابقة وعبرها، عربياً وفلسطينياً، ومدركاً كل ما أفرزته تجارب الصراع ضد إسرائيل من وقائع، وما كشفته من حقائق.

لقد تمكنت الانتفاضة، منذ بداياتها عام (١٩٨٧) بما حددته من أهداف واضحة، وبما أبدعته من أساليب نضالية لتحقيق هذه الأهداف، من تأكيد قدرتها على الاستمرار والنمو كحقيقة ثورية ميدانية تستطيع فرض واقع جديد على سيرة الصراع<sup>١</sup>. جاءت الانتفاضة على شكل فيضان من الفداء والتضحية والاستبسال. فكان لها وقعها المدوي في كل مكان، وصورتها المشرقة المتميزة في لوحة الغليان الشعبي المسلح بالصدور والزنود، والمحجارة<sup>٢</sup>، وأدرك الشعب الفلسطيني أنه ليس وحده في مواجهة الاحتلال والصهيونية ولذا هتف في مسيرته الثورية للتضامن الإسلامي والعربي: خير خير يايهود/ جيش محمد سوف يعود.

في ظل هذه الظروف بُرِزَ شعر القدس بشكل أقوى وأصلب من السابق ليؤدي دوره في انتفاضة القدس، لقد ساهم الشاعر بل الأديب بالمعنى الأعم في معركة الانتفاضة، ومن منطق الإحساس بالمسؤولية إذ هو أقرب من غيره لضمير الشعب والأمة، فرصد أحداثها اليومية من جانب، وأعطها حيوية راقمة من جانب آخر.

لقد هب شعاء القدس - في سوريا ولبنان وفلسطين - ولما عانوا من وطأة الاحتلال يضمّنون قصائد़هم روح الجهاد، والمقاومة، والتحدي، وبعبارة أشمل: روح الانتفاضة، فغنوا بها وأهدافها وبوسائلها، شابعة أعينهم نحو

١. الموسوعة الفلسطينية: ٦ / ٩٧٧.

٢. طلمت سقيرق، الانتفاضة في شعر الوطن المحتل: ص ٢١.

القدس، فالشاعر هارون هاشم رشيد يصور أبطال الحجارة في قصيدة (ثورة الحجارة - ١٩٨٨م) فيقول:

لَمْ يَبْقِ غَيْرَكَ أَيُّهَا الْحَجَرُ  
فَقَدْ تَخَلَّتْ جُمُوعٌ أَخْجَمَتْ زُمْرٌ  
عَشْرُونَ عَامًا.. وَإِنِّي فِي انتِظارِهِمْ  
تَجَذِّرَا فِي تَرَابِي يَسْتَمْعُ الْعُمُرُ  
وَالْقَدْسُ صَاحِبَةٌ، تَعْلُو بِصَرْخَتِهَا  
اللَّهُ أَكْبَرُ؛ فِيهَا هَافِئًا غَمْرٌ  
وَفِي الْقِيَامَةِ، وَالْأَقْصى.. مَا كَبَّنَا  
لَمَا تَرَزَلْ، بِنَدَاءِ الْحَقِّ تَأْتِمُ  
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي يَهُوَيْ وَيَنْكِسُ  
أَسْطُورَةُ الْمَجْدِ أَطْفَالُ الْحَجَرَةِ فِي  
أَسْطُورَةِ الْمَجْدِ، مَا جَادَ الزَّمَانُ بِمَا  
وَإِنَّهُ النَّصْرُ آتَى تِلْكَ قُولَتْنَا  
فَاللَّيلُ، لَا بَدَّ هَذَا اللَّيلُ يَنْحِسِرُ  
لَابَدُ.. لَا بَدَّ أَنَّ الْقِيدَ يَنْكِسُ<sup>١</sup>  
قَدْ قَالَهَا، الشَّاعِرُ الشَّابِيُّ مِنْ زَمْنٍ

فيرو الشاعر هارون والذي سمي أحد دواوينه الشعرية باسم «ثورة الحجارة» أن أبواب تحرير القدس مغلقة إلا بباب الانتفاضة، فإنه مفتوح على مصراعيه، وبعد أن لم ير جدو لحل قضيته على يد أنظمة أمته الإسلامية والعربية، يتوجه لانتفاضة شعبه وأبطالها، لاسيما أطفال الحجارة الصغار سنًا، الكبار فكراً ونضالاً. فصور الشاعر «ملامح الطفل الفلسطيني بأنها معجزة، حين انبثقت بشكل مثير ومدهش لتكون صورة الصور بدون منازع. فمن الطبيعي أن تحتل الانتفاضة مكانة خاصة في وجدان شعاء أبناء تراب فلسطين، إذ الظلم الذي تجرعه الشعب الفلسطيني جعل شاعر القدس يتغنى لحجر يقذفه أبابيل القدس ليحرق قيود الاحتلال، ويحطّم أيّة الجيش الذي لا يقهّر، فيفتر كه كعصف مأكول، فيصور الشاعر الانتفاضة التي اتخذت من العقيدة والقرآن منهاجاً لها، إعصاراً عصف بالصهيونية وجذورها فهو ماض إلى أن

١. هارون هاشم رشيد، ثورة الحجارة: ص ٤ - ١٠.

يجرف العدو المحتل ويعيد الأرض وقدسها إلى أهلها، وذلك لما في الحجر من رموز ودروس للمقاومة والتضال، فالحجر أخذ يلتسم وهذا مما يزغره له. ففي مثل هذه الظروف المبتهجة للحياة والحرية والتحدي، تفجر شعر القدس ليقذف الكلمة لتكون من سجل ويستمها إلى جانب الحجارة ممجداً فيانها الغاضبين على الاحتلال الصهيوني. هذا ما نشاهده في قصيدة هارون هاشم رشيد (وردة على جبين القدس - ١٩٨٨) قائلاً في بعض أبياتها:

وقف الفتى، القدس ملء عيونه تبدو القباب مشوقة والممسجد  
 بالانتقام مزلزاً يتوعّد بالله أكبر ثم أتبعها الفتى  
 سلمت يدّ عرفت طريق مسارها وتحكمت في فلان المقوّد  
 من حالي، ألقى بهم لحظيّهم للموت يطوي جمعهم، ويبدأ  
 حجر إلى حجر، وتمضي ثورة شعواء عارمة تُضيّح وتُرعد  
 الانتفاضة منذ شبّ لهيّها هيّات تهدأ نارها أو تُخمد  
 هو فعلهم يرتدي مشئوماً لهم، ويمثل ما كالوانكيل ونوراً  
 فالشاعر (هارون هاشم) معجب كل الإعجاب وفي الوقت نفسه متّفائل  
 لثورة هؤلاء الفتى، فالانتفاضة عنده ما هي إلا ردّة فعل على الظلم الذي  
 حل بالشعب الفلسطيني على يد الصهيونية الحاقدة، فهي الآلة التي تستطيع  
 أن تطوي بساط الاحتلال إذ «أن التوحد مع الأرض عشقًا وعطاءً  
 وشعوراً، أعطى الانتفاضة كل هذه القدرة على التحدي والمواجهة والوقوف  
 في وجه الاحتلال».

فالانتفاضة هي كل هذا المخزون الهائل من الإمدادات اللانهائية في الأرض والطبيعة وجغرافية المكان، في كل جريان الدم والشهادة والخصب.

---

١. هارون هاشم رشيد، ديوانه (وردة على جبين القدس)؛ ص ٢٨ - ٤٢.

الانتفاضة كانت كلَّ هذا وسواء في نهوضها شموخاً قوة وتصميماً وإرادة». <sup>١</sup>  
 يشتَدُّ إعجاب الشاعر هارون هاشم رشيد وتفاؤله بالمستقبل بعد الثمار  
 التي جنتها الانتفاضة فاندفع ليرسم صورة تعبّر عن شدة حبه ومشاركته  
 لمستقبل لاح بالأفق فجره، ففي قصيده التي حملت اسم (قصيدة الانتفاضة -  
 ١٩٨٨م) يقول في أبيات منها:

الانتفاضة، إعصار، وعاصفةٌ وهبةٌ، أسللتْ في أرضنا اللهـا  
 أنتْ، إلى الفاـصـبـ المـحـتـلـ توـقـظـةـ علىـ هـدـيرـ، عـلـىـ أـبـوـابـهـ اـصـطـحـخـاـ  
 الـانـفـاضـةـ، زـلـزالـ، وـلـحـمـةـ وـثـورـةـ تـحـدـيـ، الجـيشـ، والـغـرـبـاـ  
 أـتـ كـمـاـ الفـجـرـ، مـنـ أـعـماـقـ دـاجـيـةـ سـوـدـاءـ، تـبـكـرـ التـصـيمـ، وـالـغـضـبـاـ  
 يـمـتدـ مـنـ غـزـةـ الشـمـاءـ لـاهـبـهاـ لـالـقـدـسـ مـنـدـفـعاـ، وـمـنـسـرـاـ  
 وـتـعـلـىـ فـيـ جـبـالـ التـارـ شـعـلـتـهاـ تـعـدـ فـيـهاـ زـمـانـاـ رـائـعاـ حـصـباـ  
 لـناـ.. لـنـاـ الـأـرـضـ، آـمـالـ مـقـدـسـةـ عـلـىـ ثـرـاهـاـ ثـرـاثـاـ الـجـرـحـ مـنـسـكـاـ

إن الفرح الذي يظهر في قصائد شاعرنا «هارون» جاء نتيجة واقع فلسطين  
 ورمز انتفاضتها القدس الشريف ليفرض هذا اللون من الشعر النضالي على  
 الشاعر، فهو يستمد القوة من آماله ويقيمه بالنصر العاجل، إذ الأرض المحتلة  
 انتفضت، فأصبحت لظى جهنّم يلهب العدو المحتل، وتبيّث البهجة في  
 النفوس، وتُبدد سحب اليأس لتشرق شمس الضحى وينطوي ليل الدجي.  
 فالمشاعر التي يحملها إلينا الشاعر تحمل روح الوطنية الخالصة وحب  
 فلسطين والقدس. فالصورة التي يقدمها لنا «هارون» هي صورة تحمل عنوان  
 الشموخ والثورة والإصرار وتحدي العدو رغم عمق الجراح، وتقديم

١. طلعت سقيرق، الـانـفـاضـةـ فـيـ شـعـرـ الـوـطـنـ الـمـحـتـلـ؛ صـ ٢٩ـ.

٢. هارون هاشم رشيد، ديوانه، وردة على جبين القدس؛ صـ ١١٩ـ - ١٢٠ـ.

الشهداء، لأن حضن الموت الدافئ يحمل دلالات وأحساس تشعر باستمرار النهوض، ومن هنا نجد الشاعر نجيب جمال الدين في قصidته (غابوا مع الشمس - الثمانينيات) ينشد قائلاً:

غابوا مع الشمس ..

ظنَّ الورُدُ قد ناموا

تنفَّضَ الورُدُ

منْ أوراقه قاموا. ليلُ الحسين:

على أجفانهم مزقَ

صبحُ المسيح

سامِيرٌ وأورامٌ

سُقراطٌ موجُّ دماءٍ

في بحورِهِمْ

ياللربانيين!

غطَّاسٌ وعوَامٌ ويرشرونْ لهى الأحجار

من دَمِهِمْ

فالسلمُ دَوِيٌّ

لهى الأحجار ألغامٌ غابتَ الجميعُ

سوى آثار صاعقةٍ

تقولُ:

مرأةٌ لهُمْ في القدس: غيفارا.. فيتنام.<sup>١</sup>

للشمس خصوصية حصرية، وهي تغيب عن الأنوار ثم تعود ليبلغ الفجر مع شروقها، فالورد الذي يكتسب حياته منها، ولا سيما عباد الشمس دائماً

١. نجيب جمال الدين، الكتابة على أعمدة الشمس: ص ١٢٥ - ١٣٦.

يخشى غروبها، لكن سرعان ما يبتهج عندما يرى الظلام يلملم أكتافه، فالشاعر نجيب يقدم لنا نفس الصورة لشهداء الحرية والمظلومية والانتفاضة الفلسطينية، فإنهم قد تخفي معالهم، ولكن لم ولن يموتوا، فها هو الحسين بن علي عليهما السلام وهاهو المسيح بن مرريم عليهما السلام، هاهو سocrates الحكم، كلما مررت الأيام اشتدت مصايبهم نوراً وازداد سيلهم وضوحاً، وهكذا شهداء ثورة الحجر فنار انتفاضتهم قد تكون تحت الرماد لكنها سرعان ما يعلو لهيبها حتى تعود القدس إلى أهلها.

حينما هبّت الانتفاضة الثانية في صباح يوم الخميس (٢٠٠٠/٩/٢٨) التي كانت شرارتها زيارة شaron للمسجد الأقصى وعندما التهبت فلسطين وعلى رأسها القدس في اليوم الثاني، الجمعة (٢٠٠٠/٩/٢٩) حفل الزمان بالأمال والتفاؤل وإلى يومنا هذا فانعكس في شعر القدس لتبقى وما أكثر القصائد التي تكتنز هذا المضمون إذ عرض أكثر من شاعر لموضوع الانتفاضة، والحجر والحجارة..، فألفت دواوين وأنشدت منات القصائد وكتب عشرات الكتب، وهذا أكبر دليل على التفاؤل بتحرير القدس عبر انتفاضة أشبالها، إن لم يشر السلام.

ويمكنا في نهاية بحثنا ودراستنا في هذا الفصل أن نشير إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها ومنها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسي في الفترة الزمنية ما بين عام (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) مادته الشعرية، من أبرز الأحداث السياسية والوطنية والعسكرية، ومن مستجدات الظروف والانتفاضات العارمة في القدس وفلسطين، فكانت القصائد التي تناولت القدس - في الفقرة الآتية الذكر - تشبه قصائد الفصل الأول لاسيمة المحور الأول والثاني والثالث منه إذ أنها نجحت في تحريك الحدث في القصيدة وتحريك المكان الذي لم يظهر ساكناً أو جاماً من خلال تناولها

مدينة القدس وقضية القدس كرمز بارز للوطن المحتل فلسطين العزيزة.  
 ثانياً: صورة الالتزام تبرز واضحة المعالم في كل هذه المحاور لاسيما  
 المحور الأخير - القدس وانتفاضة التحرير - إذ ظل قلب الشاعر معلقاً بالقدس  
 وفلسطين، فهو يرى في الانفاضة سبيلاً من سُبل التحرير والوصول إلى  
 الحرية الصانعة.

ثالثاً: بادر شعراً القدس بالتحريض على الوحدة العربية، مؤكدين على  
 تحرير القدس من خلالها، فاذفين أعباء اللوم على معارضيها والمتهادنين بها،  
 حيث كان ذلك السبب الرئيس في ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جل شعراً القدس - في محور البحث - دعاء السلام  
 مؤكدين أن تحرير القدس والأرض المحتلة لا يكون إلا عبر نيران السلاح  
 وسوا عد الرجال حيث أصبح - حسب معتقدهم - السلام أوهاماً ليس إلا، وذلك  
 نتيجة إصرار العدو على الاحتلال، وتعنته في العمليةسلمية لأكثر من مرة،  
 والمفهوم من نصوص شعرهم أنهم ليسوا ضد السلام العادل الذي يعيد الحق  
 إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأتي الله ورسوله والمؤمنون.. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمساً وأكثراً قصائد في هذا الفصل -  
 الداعي والاتجاهات السياسية - هو نزار قباني، إذ كرس معظم شعره بعد  
 نكسة حزيران (١٩٦٧م) لقضية القدس، ثم يأتي بعده في المرتبة الثانية هارون  
 هاشم رشيد.

سادساً: منذ أن بدء محمود درويش ونزار قباني مسيرتهما في الشعر  
 السياسي، «أفسحت الحياة السياسية الفلسطينية المليئة بالأحداث، المجال  
 للشعر السياسي الفلسطيني - بما فيه شعر القدس السياسي - لكي ينوع بعض  
 الشيء في هذا الموضوع»<sup>١</sup>. نرى شعراً القدس تفاعلاً مع الحدث وتواصلوا

١. سلمى خضراء الجبوسي، الأدب الفلسطيني المعاصر: ص ٨٦

## ١٩٨ القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين

معه فرصدوا شعره السياسي على الصعيد الوطني والإقليمي، والعالمي، إذ نراه تأثر بشكل واضح بالثورة الإسلامية في إيران والهزيمة الصهيونية في جنوب لبنان، وتلمس هذا في محور «القدس وانتفاضة التحرير» حيث أعطى القدس حيوية وصموداً وتحرّكاً أكثر من السابق.

سابعاً: ترتيب قصائد القدس في هذا الفصل من ناحية الكم هي كالتالي:  
 ١. محور القدس والضمير السياسي - أربع عشرة قصيدة ٢. محور القدس والسلام - خمس عشرة قصيدة ٣. محور القدس وانتفاضة التحرير - ثمان قصائد ٤. محور القدس والوحدة العربية - ست قصائد.

### جدول أهم قصائد محور «القدس وانتفاضة المقدسة» حسب

الترتيب الزمني

الشاعر	عنوان القصيدة	الجنسية	المصدر	ال التاريخ	الصفحة
هارون هاشم رشيد	وردة على جبين القدس	فلسطيني	ديوانه	١٩٨٨	٤٢ - ٣٨
هارون هاشم رشيد	الانتفاضة	فلسطيني	ديوانه	١٩٨٨	١٢٠ - ١١١
نجيب جمال الدين	غابوا مع الشمس	لبناني	الكتابة على أعمدة الشمس	ثمانينيات	١٣٦ - ١٢٥
جميل علوس	نشيد الانتفاضة	فلسطيني	صوت الشعر	١٩٩٠	١٧ - ١٢
سليمان العبيسي	الانتفاضة	سوري	الأعمال ج ٤	١٩٩٠	٤٤٦
هارون هاشم رشيد	هذا سلامهم	فلسطيني	طيور الجنة	١٩٩٤	١٤٤
نizar قباني	أطفال الحجارة	سوري	الأعمال ج ٦	طبعيات	٢١٦ - ٢٠٣

**الباب الثاني**

**صورة القدس الجمالية**



## الصورة الشعرية في شعر القدس

### وقفة مع الصورة

#### ١. مفهوم الصورة الشعرية

الصورة بما تحمل من مواد متنوعة ما هي إلا انعكاس لما يتأثر به الشاعر نتيجة ما يدور حوله من أمور بيئية واجتماعية وأدبية وسياسية وأحداث يومية وغيرها، ثم تمتزج مع ذاته الشاعرة وتختلط مع وجدانه وأحساسه لتكون الثمرة إبراز مجموع هذه أو بعضها صوراً شعرية، فالصورة الشعرية هي مرآة لتلك التجارب التاريخية والاجتماعية والخيالية والأسطورية لأهداف مقصودة ومتنوعة.

ولما كان للصورة الدور الكبير في إبراز المعنى وترسيخه في الأذهان عمد إلى استخدامها الشعراء الذين خدموا قضية القدس في شعرهم، إذ وظفوا هذه الأداة في إيصال ما يجول في مشاعرهم حول القدس السلبية، ومن المعلوم أن أي أداة لكي تؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل والأتم لا بد أن توافق فيها مواصفات الجودة بأرقى درجاتها، وهذا لا شك فيه، لكن السؤال كيف استعان الشاعر بهذه الأداة لابحثاء القدس، فهل أن الشعراء أجادوا في اختيار الصور التي تبيّن ما حل بالقدس؟ وهل للقدس صورة جلية وخاصة في شعر محور

البحث؟ هذا ما تحاول دراسة هذا الفصل التوقف عنده بعض الشيء.<sup>١</sup>  
 الكل يعلم بأنه «ليست الصورة شيئاً جديداً فإن الشعر قائم على الصورة منذ  
 أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن  
 الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور.<sup>٢</sup>  
 وهنا لا بد من التنويه إلى معنى الصورة لغة واصطلاحاً وتحديد مناطقها  
 في البحث وذلك لتسهيل الموضوع.<sup>٣</sup>  
 أما لغة فقالوا فيها:

الصورة تعني: الشكل، حقيقة الشيء وهيئته وصفته.<sup>٤</sup>

الصورة هي: الهيئة والشكل المحسوس.<sup>٥</sup>

الصورة هي: الجسم.<sup>٦</sup>

الصورة هي: التمثال.<sup>٧</sup>

الصورة هي: الشبح والمثال الشبيه بالتخيل في المرأة وما تميز به الشيء  
 مطلقاً سواء كان في الخارج أو في الذهن.<sup>٨</sup>  
 الصورة هي: الوصف: صور الأمر، أي: وصفه وصفاً دقيقاً يكشف  
 عن جزئياته.<sup>٩</sup>

وفي القرآن الكريم جاءت الصورة بمعنى التجسيم يقول سبحانه ﴿هُوَ  
 الَّذِي يَصْوِرُ كُلَّمَا فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَنْشَأُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>١٠</sup> وكذلك

١. إحسان عباس، فن الشعر، ص ٢٣.

٢. لسان العرب، مادة «صور».

٣. مقاييس اللغة، مادة «صور».

٤. تهدىب اللغة، مادة «صور».

٥. الصحاح، مادة «صور».

٦. محظ المحيط، مادة «صور».

٧. المحظ، مادة «صور».

٨ آل عمران: ٦.

قوله تعالى «في أي صورة مَا شاءَ رَبُّكَ»<sup>١</sup>، بما أن اللغة هي إحدى طرق تفahم البشر فهي أيضاً وسيلة الشاعر الكبri لتجسيم أفكاره وعواطفه وإبرازها بصياغته الخاصة ولغته الشعرية.

#### أما في المصطلحات الأدبية:

يظهر ومن خلال تبع الموضوع أنه لا يوجد تعريف شامل للصورة الشعرية، حيث «وسع مفهوم الصورة إلى حد أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية ... فالصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتراويف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني».<sup>٢</sup>

إذن فالصورة لا تقف عند حد تختص في إبرازه «حتى قيل إن الصورة الشعرية أصبحت تحمل لكل إنسان معنى مختلفاً كأنها تعني كل شيء»<sup>٣</sup> وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على القيمة التعبيرية الخصبة للصورة التي أجاد الشاعر في انتقائها وتوظيفها.

## ٢. الصورة الشعرية في النقد الحديث

كانت الصورة الشعرية دوماً موضوعاً مخصوصاً بالمدح والثناء، وما زالت محل اهتمام الأدباء والشعراء، إنها وحدتها التي حظيت بمنزلة أسمى من أن تتطلع وتصل إلى مكانتها الشامخة باقي الأدوات التعبيرية الأخرى، والعجب أن يكون هذا موضع اتفاق بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات

١. الانفتار: ٨.

٢. عبد القادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر الأدبي المعاصر: ص ٤٣٥.

٣. ريتا عوض، بنية الشعر الجاهلي والصورة الشعرية لدى أمين القيس: ص ٣١.

مختلفة<sup>١</sup>، ولهذا أمكن القول بأن الصورة كيان أطول من التاريخ، فإن زخم الدراسات الهائل والكتب النقدية التي ركزت على الصورة بالذات واتخذتها عنواناً لها، لخير دليل على مكانتها الجمالية والفنية، وذلك لأن أهميتها تكمن في تقديم الفكرة والرؤى والمعنى العميق من خلال الرمز والإيحاء بطريق غير مباشر بهدف التأثير الأعمق، ويؤكد هذا ما أشار إليه الناقد «أبو أصبع» إذ يقول: تكمن أهمية الصورة في بعدها عن الأداء المباشر، وتقديمها الفكرة من خلال إيحاء وتركيز يهدف التأثير<sup>٢</sup>. وتكون أشبه شيء بالكتابية أو الاستعارة أو التشبيه، فهي إضافة إلى بعدها الجمالي والفنوي تربط المعنى وتركيزه بصورة ظريفة في ذهن المتلقى، وأماماً سي دي لويس فهو يرى استعمال الصورة لا يتجاوز الخمسين سنة لكنها حسب رأيه هي لب القصيدة إذ يقول: «إن الكلمة - الصورة - قد تم استخدامها خلال الخمسين سنة الماضية أو نحو ذلك كقوة غامضة ... ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد، وكل قصيدة هي بحد ذاتها صورة، فالاتجاهات تأتي وتذهب، والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهرى يمكن أن يتغير بدون إدراك ولكن المجاز باق، كمبداً للحياة في القصيدة وكمقياس رئيس لمجد الشاعر»<sup>٣</sup>. فالصورة عنده اللبنة الأساسية في القصيدة وركيزة الشاعر في شعره. ويرى ساسين عساف «أن الصورة قوة إدراك وقوة بناء، إدراك الحقائق، وبناء العالم الشعري. والشاعر يدرك إما بالمحاكاة وإما بالرؤيا، وتنتم عملية البناء بتوضيع هذه الرؤيا وتجسيدها بالصورة»<sup>٤</sup> الشعرية بطريقة من شأنها أن تثير إحساس الآخرين وتأثير فيه إذا استطاعت أن تسترجع شيئاً غاب أثره المباشر

١. الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد: ص. ٧.

٢. صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ص. ٣٢.

٣. سيل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون، ص. ٢٠.

٤. ساسين عساف، الصورة الشعرية ونماذج إبداع أبي نواس: ص. ٢١.

عن الإنسان فهو لم يعد يدركه أو حتى يتخيله لولا الصورة. بينما يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الصورة «تعبير عن نفسية الشاعر ... وهي تعينه على معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة»<sup>١</sup>. وهكذا اضطربت المصطلحات والروى النقدي بالنسبة للصورة الشعرية وأهميتها ودورها في الشعر «حتى غدت الصورة الشعرية محوراً خطيراً الأهمية في الدراسات الأدبية الحديثة، والحق أن تباين التعريفات أمر عادي في حقول الدراسات الإنسانية، والناقد الأدبي يتبعن له بالمارسة أن الاتجاهات الشعرية لا يمكن إخضاعها لنظرية واحدة ومحددة ولا يمكن لنظرية كهذه أن توجد»<sup>٢</sup>.

فالصورة في النقد الحديث اتسع معناها وشمل كل ما يؤثر في أحاسيسنا وعواطفنا ولم يقتصر على ما تراه العين وتلمسه اليد كما كان قديماً، فالأسلوب الشعري الحديث يستخدم أشكالاً من التعبير المتخيل، لتوصيل الأفكار والعواطف، وذلك من خلال طريق التصوير، لا التعبير المباشر، فهي ببناء على هذا: «تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويره بأساليب عدة، إما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل»<sup>٣</sup>. وعندى هي صياغة ما يرتسם في نفسية الشاعر من رؤى وأفكار وأحسان وعواطف، انفعالاً بشيء أو عمل ما، وذلك بواسطة ألفاظ وعبارات وتراكيب ورموز ومجازات واقعية أو خالية يراد من خلالها تعزيق وترسيخ معنى معين.

على كل حال فإن كتب النقد والدراسات المتنوعة وبنظرياتها المختلفة تدور رحاها جميعاً حول دور الصورة صياغة وأثراً وأسلوباً.

١. الصورة الأدبية: ص ٢١٧.

٢. ريتا عوض، بنية الشعر الجاهلي والصورة الشعرية لدى أميرى القيس: ص ٣٩.

٣. صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ص ٣١.

## المؤثرات في صور القدس في الشعر

### ١. المؤثرات القرآنية

من المؤثرات المهمة في صياغة صور شعر القدس القرآن الكريم الذي وظف الصورة توظيفاً مدهشاً أذعن له وأقرّ به نقاد الأدب المنصوفون. لقد تأثر شاعر القدس بالصورة القرآنية فاتخذها مصدراً لرسم صورة القدس في مختلف شعره، وذلك بحكم نشأة الشاعر الإسلامية واتخاذه المنهج الديني المعتمد أساساً لمختلف شؤون حياته، إذ لابد للشاعر من وجود عوامل تربوية وثقافية قد كوتت شخصيته وفكره، وأسهمت في رسم صوره الفنية، وحينما يضم تلك المضامين الالهية بما تحمله من جمال ومعانٍ يصوغها من عواطفه وأحساسه، يؤجّج في المتلقى المشاعر ويعدّه لدرك ما يريد، ويزداد تأثير المتلقى كلما كانت الصورة ناضجة تامة قد توفّرت فيها عوامل الإثارة والبعث والتحريك، فاستخدام الشاعر آية قرآنية في شعره، يمكن أن تغنيه عن كتابة أبيات، بل قصائد جمّة، وهذا ما نلاحظه في أكثر من ديوان وفي أكثر من موطن لدى الشعراء الذين انشدوا شعراً في القدس، كما نلاحظ التأثير القرآني في الصورة الشعرية في شعر القدس عند الشاعر نجيب جمال الدين، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا التزاماً الشاعر بقيمه القرآنية والإسلامية، فكان الأثر واضحاً كما شاهده في قوله:

وَصِرْتُ أَصْرُخُ ..

صَارَ الْهَمُّ يَمْضِغُنِي  
وَالشَّكُّ يَلْعُنِي فِي لُجَّةِ الصَّحْبِ

وَمَا يَبَالُكَ

قُلْ لِي: يَا أَبَا لَهَبٍ  
وَمَا سَمِعْتُ جَوَاباً مِنْ أَبِي لَهَبٍ  
تُرَى مُعْسِكَرُ دَاؤِدِ بَجْعَتِيهِ؟

أم رخلة القدس؟ أم حمالة الخطب؟<sup>١</sup>

الصورة القرآنية قد تنتقل إلى رمز نتيجة لشيوخها وتكرارها على الألسن، واستخدام الشاعر لتلك الآية - حمالة الخطب - رمز منح صورته الشعرية قوة تأثيرية كبيرة؛ وذلك لأن الصورة الجيدة هي التي تستطيع إذابة الآية المتکأ عليها في مناخها وإسقاطها مع الموقف والتجربة. حاول الشاعر أن يرسم لنا في هذه السطور وبهذه الصور البسيطة والتي اخذت أبعاداً رمزية، صورة مقاومة الحق والوقوف بوجه الأمة الإسلامية ونبيها الأكرم ﷺ فعمد الشاعر إلى سورة «المسد» التي صورت لنا شدة عداوة أبي لهب للدعوة النبوية الفتية وزوجته أم جميل التي كانت تحمل الخطب وتحرقه في طريق الرسول ﷺ. ونرى الصور القرآنية في شعر القدس تبرز جلية في السطور التالية من القصيدة نفسها:

فَذَارَةُ السَّلْمِ .. أَدْرِي  
سُورُهَا لَهُبٌ كَجَنَّةِ اللَّهِ  
إِنْ تُعْبَرُ .. فِي الْلَّهِ  
مِنْ يَغْضُضُ السَّلَمَ؟  
لَكِنْ .. وَيَنْ طَالِبٌ  
إِنْ رَاحَ يَخْمِلُ مَعْنَى ذَلِيلِ الْطَّلَبِ<sup>٢</sup>

وهذه الصور نلمحها في قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُوْنَا نَقْتِيسْ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَرْجَعُوْنَا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا فَصُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ»<sup>٣</sup>

١. نجيب جمال الدين، عصائد إلى عاصمة المدن الشرقية: ص ٩٤.

٢. المصدر: ص ٩٥.

٣. الحديدي: ١٣.

وكذلك قوله تعالى: «فَلَا تَهْنُوا وَتَذَعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَئُنْمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَئِنْ يَرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ»<sup>١</sup>. فالشاعر هنا وبالتصوير المباشر يستعين بالقرآن الكريم فصور لنا السلام بأنه لهب جهنم وذلة لأنه خروج من جنة الله تعالى. ففي هذا التصوير بين لنا الشاعر اتزاعجه من السلام في معاهدة كامب ديفيد آنذاك.

ومن هذا القبيل قول الشاعر حسن البحيري في قصيده «منازل الهدى» قائلاً:

أَيُّ رَكِبٍ فِي مَنْهَجِ الْحَقِّ سَائِرٌ  
مُشْرِقَ الْمَجْدِ .. مُسْتِيرَ الْمَآثِرِ  
مِنْ ذَرَى «مُؤْتَةَ الطَّهُورِ إِلَى «الْقُدْسِ»  
تَحْلِي بِهِ وَضَاءُ الْمَفَارِخِ  
تَثْرَتْ عِزَّةُ وَزَهْوُ خَالِلٍ  
سِدْرَةُ الْمُنْتَهِي عَلَيْهِ الْأَزَاهِرُ  
وَحْدَاهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ بِآيَاتِ  
جَهَادِ مُنْزَهَاتِ الشَّعَاعِ<sup>٢</sup>

الصورة التي يقدمها الشاعر مستندة إلى القرآن الكريم، هي تلك الصورة التي تقدم الحقائق التي وقعت أو سوف تقع فتجدها تؤثر في مشاعر المتلقى بسهولة فانقة، ففصل إلى أعماقه؛ حيث «صاغ بها أفكاره، ومشاعره، ومعانيه، ورؤاه النفسية»<sup>٣</sup> ويقدمها تقادياً جديداً يحمل خصوصيته الإبداعية، وتفرّده الذاتي<sup>٤</sup>. فحينما يشير إلى ألفاظ الآية «سدرة المتنهي» المأخوذة من قوله تعالى «وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى»<sup>٥</sup> التي رسم لنا من خلالها

١. محمد: ٣٥.

٢. الفلسطين أغني: ص ٤٧ - ٤٨.

٣. هيفاء عربية، الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، الأحيائية والرومانسية والمعاصرة، مخطوط، ص مقدمة.

٤. النجم: ١٤ و ١٣.

صورة المراج ومشهد، فالنبي محمد ﷺ بدأ ركب بمعية جبرائيل عليه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء، فمن هذه الصورة بادر الشاعر إلى رسم صورة ركب المجاهدين، فهم بدأوا رحلتهم من ذرى «مؤتة» وسوف تنتهي بالقدس وذلك تلبية لدعوة الحق، ف بهذه الألفاظ البسيطة واستلهاماً من أسلوب تداعي المعاني تجلّت صورة القدس وركب عشاها سائر إليها.  
وما أكثر المؤثرات القرآنية في شعر القدس.

حيث لا نكاد نجد شاعر لم يستعن بالقرآن المجيد والتاريخ في قصidته (المسجد الأقصى) قائلًا:

أعندكم أنتي في ليل غاشية ربع القضاء لها واستشعر القذر  
وأن «قدسي» و/orاجي وأرضهما باتت بدهم الرزايا السود تأثر  
فكادت «القبلة الأولى» وصخرتها عن «الخطيم» ورُكن «البيت» تبتسر  
وزلزلت أسس الإسلام نابهة بكت لها في طروس المصحف السور!  
الم تروا أن محابي ومبرأة وآتي بي بـ دثار الغم تدبر  
فالشاعر استفاد من الكتاب الكريم لتدعم صوره الشعرية التي أراد منها  
تبنيه بل تحريض الآخرين لما فيها من قوة تأثير بالدلالة المباشرة أو بالذكير  
ولو بالإشارة إلى اسم المصحف الشريف، وقد كثرت هذه المؤثرات بعد  
نكسة حزيران عام (١٩٦٧م) إذ الصدمة ألجأت الشاعر إلى البايع والحافظ  
الديني، لذا نراه أحياناً يستعين بالقرآن المجيد والتاريخ والتراجم معاً ليجد  
خلاص قدسه من براثن الاحتلال، ونلاحظ الأسلوب نفسه عند الشاعر عبد الله يوركى حلاق إذ يقول:

رَأَيْتُ آيَ الْمُجَدِ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ فَالْمَجَدُ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ مَقْرُونٌ  
 وَرَأَيْتُ وَحْيَ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ وَعَرَفْتُ قَلْبَ الصَّخْرِ كَيْفَ يَلِينُ  
 الْفَارَسُ الْعَرَبِيُّ لَمْ تَجْمَعْ بِهِ فَرْسُ الْجَهَادِ وَلَمْ تُخْفِهِ مَنْوَنُ  
 نَظَرَتُ إِلَيْنَا الْقَدْسُ نَظَرَةً عَاتِبَ وَتَقْتَلُتْ تَخَادُلَ رَأْيَنَا الْلَّطَرُونُ<sup>١</sup>  
 فاستفاد الشاعر من التأثير القرآني في القلوب وقرنه بإنجازات النبي  
 الأكرم محمد ﷺ لعله أراد أن يقول إن الإنسان المسلم من الأحرى به أن  
 يقتدي بالرسول الأعظم ويقرأ أوراق المجد مرة أخرى، وليلين قلب الإنسان -  
 عموماً - لما حل بالقدس وشعبه وبالإنسان الفلسطيني، فتداعي المعاني رسم  
 للشاعر صورة مستلقة من القرآن وصاحبها، والأثر واضح.

وأما نزار قباني فيعرج في قصidته (هوا مش على دفتر النكسة) نحو  
 القرآن الكريم ليستير من بعض ألفاظه ليصوغ صورة يجعل منها قاعدة تدل  
 على القانون الإلهي في خلقه وهي ﴿إِنَّمَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا تَئْصُرُوا اللَّهُ  
 يُنْصَرِّكُمْ وَيَنْبَثِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ قائلةً:

وَلَا تَلْقَوْنَا السَّمَاءَ

إِذَا تَخَلَّتْ عَنْكُمْ

لَا تَلْقَوْنَا الظَّرُوفَ

فَاللَّهُ يُؤْتِي النَّصْرَ مَنْ يَشَاءُ

وَلِيُّسَ حَدَّاداً لِدِيْكُمْ ..

يَصْنَعُ السَّيُوفَ<sup>٢</sup>

١. أسد بات: ص ٧١ - ٧٢.

٢. محمد: ٧.

٣. الأعمال السياسية: ٨٠ / ٣.

فالشاعر بهذه المؤثرات القرآنية يستذكر عمل الذين يرفعون أيديهم نحو السماء بدون عمل، لأن هذا خلاف الأصل القائل بأن الحركة من البشر والاستعانة بالله تعالى.

في هذا المضمون أيضاً قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة (عربوبة عربية)، قائلاً:

لِيْكَ يَا قَدِيسَ السَّلَامِ وَمَرْجَبًا  
فِيَادِيَاتِهِ وَوَيْلٌ مِنْ لَا يَنْفَرُ  
فِإِذَا حَصُونَ الْغَاصِبِينَ تُهَدَّمُ  
وَإِذَا حَشُودَ الدَّارِعِينَ تُبَعْثَرُ  
دُحْرُوا وَأَذِيَالَ الْهَزِيمَةِ خَلْفَهُمْ  
وَبِمِثْلِ مَا جَاءُوكُمْ إِلَيْكُمْ تَقْهَرُوا  
مَا عَادَ مِنْهُمْ شَارِدًا أَوْ وَارِدًا  
مِرَّ الزَّمَانَ عَلَيْهِمْ وَتَحْجَرُوا<sup>١</sup>

فالشاعر استعان بأسلوب التشخيص التصويري، إذ خلع الصفات الإنسانية على مدينة القدس وهي تستنجد بالذين آمنوا بالجهاد والنضال، ومن هنا أشار الشاعر إلى سورة العاديات وما تضمن من أوصاف المجاهدين وغبار المعركة عندما تصول خيولهم نحو العدو ثمأخذ يقريع ويؤنب أولئك الذين

لم ينفروا في سبيل الله تعالى لنصرة القدس، وقد استوظف آية الفرق<sup>٢</sup>  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا أَقْلَمْتُمْ إِلَى  
الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ  
إِلَّا تَقْرِبُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَدِسْتَبْدُلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ونجد الأمثلة الكثيرة في شعر القدس تصب في هذا المصب، فدأب الشعراء على التقاط الألفاظ والآيات القرآنية وقد أجادوا في توظيفها في صورهم الفنية مما زاد شعر القدس جمالاً ومعنىًّا.

١. مفكرة عاشق؛ ص ١٠٣ و ١٠٤.

٢. التوبه: ٣٨ و ٣٩.

## ٢. المؤثرات التاريخية والتراثية

لقد عمل شاعر القدس وعمد إلى استنفار العديد من السور والأيات القرآنية واستدعاي تاريخ الأمة العربية والأمة الإسلامية، شخصيات وأحداث ومواقف وبطولات تركت أثراًها الكبير على نفس المتلقي، إذ حاول شاعر القدس ربط حاضره المتردي بماضي أمته المشرق ليعود التاريخ نفسه أو أفضل منه، لذا توقف عند رسول الله ﷺ صانع المجد الأكبر والتاريخ الأعظم وخلفائه وأصحابه والأبطال مرة، وعند الواقع التاريخية والتراث مرة أخرى حيث كان لها الصدى في نفس الشاعر وصياغته الشعرية، إذ يرى بأن العودة إلى التاريخ يمكن أن تعود بالأمة إلى رشدتها وتقتل اليأس الذي راح يقطع مفاصلها لتصبح في متاحف التاريخ، ونلاحظ هذا في قصيدة الشاعر «بدوي الجبل» قائلاً فيها:

هلْ دَرَّتْ عَدْنُّ أَنْ مَسْجِدَهَا الْأَقْصَى  
صَى مَكَانٌ مِنْ أَهْلِهِ مَهْجُورٌ  
أَيْنَ مَسْرِى الْبَرَاقِ، وَالْقُدْسُ وَالْمَهْدُ  
ذُوبَتْ مَقْدَسٌ مَعْمُورٌ؟  
لَمْ يُرَأَلْ قُرْآنٌ أَخْمَدَ فِيهِ  
وَيُرَازَّ الْمَبْكَى وَيُتَلَى الرَّبُورُ  
طُوَيَّ الْمَصْنَحُ الْكَرِيمُ، وَرَاحَتْ  
تَشَاكِي آيَاتُهُ وَالسُّطُورُ<sup>١</sup>

فالشاعر كما نلاحظ وظف الشخصيات التاريخية وعلى رأسها «النبي محمد ﷺ»، والتي كان لها ارتباطها الخاص بالقدس الشريف، بعد ذلك عمد «بدوي الجبل» إلى التساؤل بأداة «هل» ثم تساؤل بأداة «أين» في هذا المقطع متسائلاً بها عن ضياع بيت المقدس، والمسجد الأقصى، ومسيى البراق، وكنيسة المهد وهتك الحرمات وإبادة المدن والقرى. فالشاعر صور بعد الأمة العربية والأمة الإسلامية عن تاريخها وأمجادها وحضارتها، وحاول

أن يستعين بالتاريخ وعن طريق رسم الصور البسيطة وبأسلوب التشخص  
إعادة الأمرين إلى رشدهما وسؤددهما.

ونشاهد الشاعرة فدوى طوقان في قصidتها «إلى السيد المسيح في عيده»  
تستوظف شخصية السيد المسيح <sup>ثانية</sup> وعيد ميلاده لتعطي الصورة المناسبة  
للقدس قائلة

يا سيد، يامجد الأكون  
في عيتك تصلبُ هذا العام  
أفراح القدس  
صمتت في عيتك يا سيد كلُّ  
الأجراس  
من ألفي عامٍ لم تصمتْ  
في عيتك إلا هذا العام  
فقباب الأجراس حدادٌ  
وسوادٌ ملتفٌ بسوادِ  
القدس على درب الآلام  
تجلَّد تحت صليب المحنَّةِ  
تنزفُ تحت يد الجلادِ  
ثم تقول: لم يرفع في المحنَّةِ شمعةٌ  
لم يذرف حتى دمعةٌ  
تغسل في القدس الأحزان...<sup>١</sup>

تقدَّم الشاعرة مجموعة من الصور البسيطة والمتعلقة ببعضها لتقديم صورة  
كلية مركبة تمثل بتصوير مدينة القدس وهي غريبة بالأحزان والمحن،

تعيش حالة الاحضار على يد الجلاد، وذلك في عيد ميلاد المسيح يُشَيَّع، فكأنَّ هذا الحزن ظلمات فوقها ظلمات وقد لف «القدس» بجلباب أسود يُشَيَّع في الروح كدرًا واكتناباً، والكل حتى القباب والأجراس لبست السوداد حداداً عليها، فالشاعرة - فدوى - جسَدت الأفراح ودق الأجراس في الأعياد مصلوبة بيد العدو وقد حلَّ محلَّها الرعب والموت والفزع، ثم تصوَّر الخفقات الذي ألمَ بالقدس فجعلها مدينة أرواح وأشباح - لم يرفع في المحنَة شمعة / لم يذرف حتى دمعة - موقف العدو رهيب مستمر، كأنَّ الحزن سرمدي أبدى.

وفي إطار التجارب التاريخية نجد أهمية وقائع التاريخ البارزة وشخصياته الفذة، مادة أساسية استقى شاعر القدس صوره الشعرية منها، ومن هذا المنطلق حاز أهل بيت النبوة عامَّة والإمام الحسين يُشَيَّع خاصة عناية فائقة من الشعراً، لما لمسوه من تلك الشخصيات من أثر في النفس الإنسانية وذلك بفضل تضحياتها وجهادها ودفاعها عن الحق والحقيقة، ففي ذكرها واستحضارها شدُّ لعرى الأمة الآخذة بالانقسام وحضور على المقاومة ونصرة المظلومين، ومن هذا القبيل قول الشاعر نزار قباني في قصيدة (منشورات فدائية على جدران إسرائيل):

نأتي ..

بِكُوْفِيَّاتِنَا الْبَيْضَاءِ وَالْسُّوْدَاءِ

نَرْسُمُ فَوْقَ جَلْدِكُمْ

إِشَارَةَ الْفَدَاءِ

مِنْ رَحْمِ الْأَيَّامِ نَأْتِي كَانْثَاقَ الْمَاءِ

مِنْ خَيْمَةِ الذُّلِّ الَّتِي يَعْلَكُهَا الْهَوَاءُ

مِنْ وَجْعِ الْحَسِينِ نَأْتِي ..

مِنْ أَسْى فَاطِمَةَ الرَّهْرَاءِ ..

منْ أَخْدِنَاتِي، وَمَنْ بَذَرِ ..  
وَمَنْ أَحْزَانْ كَرْبَلَاءُ ..  
نَأْتِي .. لَكِي نَصْحَّ التَّارِيخَ وَالْأَشْيَاءُ ..  
وَنَطَّمَسَ الْخُوفَ فِي الشَّوَّارِعِ الْعَبْرِيَّةِ الْأَسْمَاءُ ..<sup>١</sup>

شاعرنا نزار قباني يصور الإنسان العربي، والإنسان المسلم وعلى تعدد بياراته وانتماءاته وبما يحمل من أفراح وأحزان - بكونياتها البيضاء والسوداء - كيف يشق الزمان ويتدفق كالشلالات نحو العدو، ليصنع من ذلّ الهزيمة نصرًا، فسرعنه وقوته تشبه المياه الجارفة. ثم الشاعر يستدعي التاريخ وشخصياته بما تحمل من رموز وإشارات ليقدم لنا صورة تمكّناً أخذ الدروس وال عبر من التاريخ؛ وذلك لتصحيح التاريخ وصنعه من جديد والسير في طريق التحرير لإعادة القدس إلى أهلها، فالشاعر استغل أكثر من أسلوب - التجسيد - التشبيه - التجرييد - تداعي المعاني.. لصياغة هذه الصورة الراقية، ثم كرر الأداة «من» الابتدائية أكثر من ست مرات لعله تأكيد على صواب المكان المنطلق منه، وتكرار الشاعر فعل المضارع «نأْتِي» لعله دليل على وقوعه وحقيقة القدوم، وهكذا «يستلهم الشاعر أوجه الشابه بين أحداث الماضي وواقع العصر وظروفه إن سلباً أو إيجاباً، وهو في هذا كله يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدى صوت الجماعة وصدى نفسه في إطار الحقيقة التاريخية العامة التي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبرى، التي تشكل حضوراً بارزاً في تاريخ الأمة دون الخوض في جزئيات صغيرة».٢

ونلاحظ هذا عند الشاعر نفسه في قصيدة (إفادة في محكمة الشعر) قائلاً:

١. الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ١٩٧.

٢. إبراهيم نمر موسى، مجلة عالم الفكر: رقم ٣٣، ٢٠٠٤، ص ١١٧.

مرّ عمان .. والمسيحُ أسرىٌ في يديهم .. ومريم العذراء ..  
 مرّ عمان .. والماذن تبكي والنواقيسُ كلهَا خرساءٌ  
 آثها الراكعون في معبد الحرفِ كفانا الدوار والإغماءُ  
 مزقوا جبة الدروايش عنكم واخلعوا الصوفَ آثها الأنقياءُ  
 أتركوا أولياءَنا .. بسلامٍ أيُّ أرضٍ أعادها الأولياءُ!  
 هنا توظيف الشاعر للتاريخ والترااث يختلف عما قبله، فهو يرى الزمان  
 انطوى وما زالت المقدسات مكبلة تصرخ تحت وطأة الاحتلال، ولكن  
 المصيبة الأكبر من هذا هي أن الناس ضلوا الطريق الصحيح، لهذا يعمد  
 الشاعر إلى أسلوب السخرية والاستهزاء، فهو قدم عدداً من الصور البسيطة  
 والمترابطة محاولة منه لايقاظ الجمهور وإعادته إلى النهج الأقوم والصراط  
 المستقيم، و قريب من هذا أبيات قصيدة له (مفتكرة عاشق):

فلا خيولٌ بني حمدان راقصةٌ

زهوأ، ولا المتنبي مالٍ حلباً<sup>١</sup>

وأما الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد ففي قصيدة له (أطفال الحجارة)  
 يجعل المتلقى معجباً بالتاريخ والترااث والحضارة والشعب وحتى أرض  
 فلسطين، إذ يقول:

ويعجب أهل الأرض كيف تجمعت لها عزمات لا توازن حالها  
 هي القدس والأقصى ومسرى محمدٍ بها بركات الله، والله قال لها  
 فلسطين تاريخٌ ودينٌ، حضارة وأرض وشعب هل عرفتم جلالها<sup>٢</sup>  
 استخدم الشاعر تاريخ مسرى النبي محمد ﷺ وتاريخ فلسطين التراثي

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٤٠٦ / ٣.

٢. القدس في العيون: ص ٤٣.

بما فيها المسجد الأقصى ثم استعان بالقرآن الكريم وبالذات آية الإسراء -  
تأييداً للكلام - كي يصوغ صورة تبين قداسة وعظمة المكان.  
أما الشاعر علي عقلة عرسان في قصيدة «أورسالم صباح الخير» يستخدم  
التاريخ لا ليوظفه لخدمة التاريخ بل لإثبات التاريخ.

يا بنت كنعان .. وبيت اليوسرين ،

يكذب تاريخ لا يحترم حقائق التاريخ ،

يكذب ويسقط ،

نعم ..

يكذب ويسقط ؟

فعلى باب قلعة اليوسرين ، أجدادي ، ما زال سيف الزمان

يقطر دماء ،

يروي للآتين حكاية مهد حضنك وسمنك وكبرك وقداك ،

وما زال الآتون من نسل كنعان ..

يجددون ، في كل زمان ، عهدهم وعطاءهم لك ..

دماً وتضحيات ، دماً وأضحيات ..

ليبقى اسمك ونسبك ونورك ومجدك .

وليقى انتقامتك لمن سواك وأشاك وأرضعك ونماك .

في القلب والعين أنت يا قدس ..<sup>١</sup>

ففي هذا المقطع والمعنون «يا قدس» من قصidته الطويلة عبر الشاعر ومن  
منظلق رؤى تراثية وتاريخية استحضر من خلالها تاريخ القدس العريق لإثبات  
مدينة القدس ، فهو كرس الكثير من الصور الجزئية لهذا الغرض واستعمال

بأسلوب الشخص تارة وأسلوب الصورة المباشرة تارة أخرى، وقد استعان بالاستعارة وتداعي المعاني أيضاً. وما أكثر التوظيف التاريخي في شعر القدس.<sup>١</sup>

## الصورة الوظيفية في شعر القدس

### ١. توظيف العاطفة

الشعر يخاطب الوجدان والعاطفة ويحيل الأفكار الذهنية إلى أحاسيس ومشاعر ويستخدم اللفظ. وللألفاظ دلالات عقلية ونفسية خاصة؛ وإدراكنا لها يتم عن طريق الشعور والعقل. وإدراك الألفاظ عقلياً يقف في طريق الشعر منسابةً إلى نفوسنا، ومن ثمًّ يستعين الشاعر بأدوات الفتون المجردة ليغلب الدلالات الشعورية للألفاظ على دلالاتها الذهنية، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعه أو قارئه، وهو أيضاً يستخدم طبيعة التصوير، فكما تعتمد اللوحة على الخطوط والألوان في إبراز إحساس الرسام، تعتمد الصورة الشعرية على جزئيات مؤتلة لو نظرت إلى كل منها مفردة لم تجد لها دلالة نفسية أو ذهنية كبيرة، ولكن باجتماعها ترسم لوحة شعورية متكاملة الجوانب<sup>٢</sup> وتكمم فاعلية الصور أساساً في تمثيلها للإحساس كما يقول أوستن وارين<sup>٣</sup> فالشاعر البرازيلي مطالب بتصوير عاطفته وإحساسه في موضوعات شعره و«من ثم فإنَّه لا يمكن

١. على سبيل المثال لا الحصر:

- كمال رشيد، *القدس في العيون*: ص ٢٢.

- يوسف الخطيب، *أرض المداد*: ص ٥٩.

- محمود درويش، *أغراض*: ١٥٩١.

ما أود التنبه إليه في المؤثرات التاريخية والترابية هو أن أكثر الواقع ذكرأ هي واقعة المراج وأكثر الشخصيات ذكرأ هو النبي محمد ﷺ والسيد المسيح عليه السلام.

٢. الطاهر أحمد مكي، *الشعر العربي المعاصر*: ص ٨١ و ٨٢.

٣. أوستن وارين وصاحب، *نظرية الأدب*، ترجمة محيي الدين صبحي، ص ٢٤١.

النظر في الصورة بمعزل عن نفسية الشاعر<sup>١</sup> إذ أنها «تعبر عن نفس الشاعر وإنها تشبه الصور التي تراءى في الأحلام»<sup>٢</sup>. ولنمس هذا في قصيدة محمود درويش (بين حلمي وبين اسمه كان موتي بطيناً) يقول فيها:

أموت – أحبك

إن ثلاثة أشياء لا تنتهي  
أنت، والحب، والموت  
قبلت خجرك الحلو  
ثم احتميت بكفيك  
أن تقتلني  
وأن توقفني عنِّي الموت  
هذا هو الحب  
إني أحبك حين أموت  
وحين أحبك  
أشعر أنني أموت  
فكوني امرأة  
وكوني مدينة  
ولكن لماذا سقطت، لماذا احترقت  
بلا سبب؟  
ولما ترهلت في خيمة بدوية؟  
لأنك كنت تمارس موتاً بدون شهية  
وأضافت

١. صالح أبو إصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ص ٣٥.

٢. إحسان عباس، فن الشعر: ١٦ / ٢٣٨.

### كأن القدر

ينكسر في صوتها، هل رأيت المدينة تذهب  
 أم كنت أنت الذي يتدحرج من شرفة الله  
 قافلة من سبايا؟ هل رأيت المدينة تهرب  
 أم كنت أنت الذي يحتمي بالزوابايا!  
 المدينة لا تسقط، الناس تسقط<sup>١</sup>

المرأة هنا هي المدينة المحتلة، هي القدس، هي حبيبته فاستخدم أسلوب تبادل المدركات فأعطي صفة المرأة للمدينة، لأن المدينة تضم الإنسان في حضنها ويسكن إليها وكذلك المرأة، ففي هذا التجسيد استحضر المعنى الإنساني لمدينة القدس، وكأنها تدافع عن نفسها وتقاوم السقوط، لكن الذي جعلها تسقط يد العدو هو ذلك الإنسان حينما تركها وهاجر - رغمًا عن أنفه - دون أن يقاوم واحتمى بكفي المدينة الصامدة، العاطفة التي يصورها «درويش» هي من الحبيبة - القدس - لا من الحبيب - الإنسان - فهو يبدو قاسيًا مع حبيبته ويظهر أن بداية القصيدة غير منسجمة مع أواخرها؛ حيث رأى الشاعر الحب في البداية بأنه متبادل وليس كذلك في نهايتها. و قريب من هذه العاطفة نجدها عند الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيده (قصيدة للقدس) إذ يقول:

لعيّنها..

مدينتي التي سُجِّنَتْ  
 لمسجدها..  
 لأقصاها

١. الدبيان: ج ٩٩٩ / ٥٠١ - ٥٠٣.

٢. «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً...» [الروم: ٢١].

لحرمتها التي انتهكتْ  
لخطو محمد فيها  
لما حملتْ  
وما حفظتْ

لريم وال المسيح  
وكل ما عرفت ومن عرفتْ  
لعينها..

مدبتي التي اعتصبتْ  
وفوق جبينها المشحوج  
آي الله قد طمستْ  
لها..

لقدس وهي تنْ  
تحت سبابك الحقدِ  
خطى الغازين تصفعها  
تلطخ جبهة المجدِ..  
تفض الطهر عن عينينِ  
للسخرة والمهدِ..

لها..لقدس..

في الأسر المذلِّ  
تضجُّ في القيدِ  
أنا دyi..

لو يهُرُّ ندaiِ  
لو يسمع.. لو يُجْدِي

## أنادي الانحصار الأحرار من قومي.. ومن جندي<sup>١</sup>

إذا تبعنا الصورة الشعرية المعيبة عن عاطفة الشاعر «هارون هاشم رشيد» و حينه الصادق في تلك الأسطر، نجد زفاته تحمل دلالات وأحساس مرهفة محمولة لنا بألفاظ بسيطة وشفافة إلا أنها قوية التعبير، لهذا نرى الصورة التي ساقها الشاعر تجعل الإنسان يعيش العذاب والآلام من جهة، ويشعر بمسؤولية تجاه القدس ومقدساتها من جهة أخرى، فالمكان - القدس - تحول إلى إنسان مكبل في السجن، ينْ تحت وطأة الاحتلال، وقد هُتكت حُرماته، وخفيت معالمه، وسحقت كرامته. صور تُبرزُ معاني تنزل على القلب والعقل كالصاعقة، تزرق الضمير وتمزق الروح. هذه المأساة جعلت الشاعر يلحّ على وضع حدٍ لهذا الوضع المؤسف، فهو سخر معظم الأساليب - التجسيد - التشخيص - التجريد - تبادل المدركات و.. لصياغة صوره الشعرية، لكي يبرز شفقته وما تخلج في نواياه تجاه القدس ويبين حالها المأساوية وما آلت إليه، وهو غير واثق من صرخاته، بأنها تؤثر ايجاباً على قومه وباخوته، إذ كرر أداة «لو» أكثر من مرة، حيث أنزلهم متزلة الأموات والجمادات.

ومن خلال متابعتي لشعر القدس وجدت أن توظيف العاطفة في صياغة صور القدس في الشعر، كانت ظاهرة صارخة لافتة لنظر المتتبع، لاسيما شعراء فلسطين، أمثال: حسن البحيري، هارون هاشم رشيد، فدوى طوقان، يوسف الخطيب، سميح القاسم، أبو سلمى.

### ٢. توظيف الحياة اليومية

لابد أن تكون الصورة مطابقة تماماً للتجربة التي مر بها الشاعر لإظهار فكره،

أو حدث، أو مشهد، أو حالة نفسية، أو غير ذلك فكل صورة كلية، أو عمل أدبي يحدث نتيجة تجربة غامرت نفس صاحبها، وتفاعلـت في جوانبها المختلفة، يمترـجـ الطارئـ إـلـيـهاـ بـالـمـخـزـونـ فـيـهاـ،ـ حتـىـ إـذـاـ مـاـ اـكـتمـلـ فـيـ نـفـسـهـ،ـ تـلـاقـيـ الأـشـيـاءـ،ـ وـتـالـفـ النـظـائـرـ لـعـلـاقـةـ بـيـنـ أـجـزـانـهـاـ.<sup>١</sup>

ومن هذا المنطلق «انفرد الشاعر الفلسطيني بتصوير دقائق المحنـة فلمـسـ منـاهـجـ الإـبـادـةـ وـوـسـائـلـ الضـغـطـ وأـرـقـامـ الـهـجـرـةـ الـيهـودـيـةـ وـطـرـقـهاـ وـأـنـوـاعـهاـ وـالـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـدـعـوـةـ الزـعـمـاءـ لـلتـضـامـنـ وـحـضـ عـلـىـ الشـوـرـةـ،ـ وأـشـعلـ الحـمـاسـةـ وـأـلـهـبـ الشـعـورـ»<sup>٢</sup> ومن هنا يرسم لنا شاعر القدس صورة الحياة اليومية التي عاشتها المدينة وعاشها ذلك الفلسطيني المتغير الحياة والمغلوب على أمره، وربما كانت الهجرة والغربة أقسى أيام الحياة لذا نجد صورتها في شعر القدس عند أكثر من شاعر، فها هو «هارون هاشم رشيد» يتساءل عن الجرم الذي ارتكبه الفلسطيني فأصبحت أيامه أحـزانـاـ وـمـحـناـ وـآـلـاـمـاـ وـشـجـنـاـ حـينـ يـقـولـ:

لـمـاـذـ،ـ نـحـنـ أـغـرـابـ؟ـ

يـمـرـ العـامـ،ـ إـلـيـ العـامـ

يـاـ أـبـتـيـ...ـ بـلـاجـدـوـيـ

فـلـأـمـلـ،ـ وـلـابـشـرـىـ

سوـيـ الـآـلـاـمـ وـالـشـجـنـ

سوـيـ الـأـحـزانـ وـالـمـحـنـ

لـمـاـذـ..ـ نـحـنـ فـيـ الـخـيـمـةـ

فـيـ الـحرـ،ـ وـفـيـ الـبـرـ؟ـ

أـلـاـ نـرـجـعـ لـلـبـيـتـ

١. علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد: ص ١٦٨.

٢. كامل السواحيري، الشعر العربي الحديث: ص ٣٥٨.

للحقل، وللمجد؟  
لماذا نحن في الألم؟  
وفي الجوع وفي السقم  
وفي البوس وفي التقم  
لماذا..؟

نَحْنُ يَا أَبْتِي؟  
لِمَذَا، نَحْنُ أَغْرَابٌ؟

فالشاعر هارون هاشم رشيد استعان بالأدوات الاستهفامية وكررها مرات  
ليقدم الأسئلة المتالية، فهو بهذا الأسلوب وأسلوب التجسيد أحياناً قدّم لنا  
عدة صور، مباشرة ومتراقبة بعضها مع البعض الآخر ليرسم لنا تصوير الطفلة  
الفلسطينية اللاجئة، وهي تقيم في معسكر «البريج» حين تقدّم إلى أبيها  
عشرات الأسئلة المحرجة، تسأل عن القدس، عن الوطن، عن الأرض، عن..  
عن سبب غريتها، آلامها، حزنها، سقمها، بؤسها، جوعها، غياب إخوتها،  
 أحلامها، ضياعها، أيامها السوداء، ليلها الداجي، عن..

فالصورة لوحه في غاية الروعة، صاغها الشاعر بألم صادق وقلب متكسر  
الأجنحة يصف بها وبشكل مباشر اغتراب الإنسان الفلسطيني الروحي  
والجسدي وحياته المؤلمة حيث استعمل الألفاظ التي تحمل في طياتها الحزن  
والألم، أمثل: الجوع، السقم، الحر، البرد، الخيمة، البؤس، المحن، الشجن..  
فهي علاوة على دورها الغني في القصيدة تجعل روح المتلقي وعاطفته  
تتكيف مع المغترب الفلسطيني وتعيش أيامها القاسية، ثم الشاعر تسأله،  
لماذا.. لماذا.. أكثر من ٢٣ مرة ليصور براءة المغترب المهجّر ونؤكدها لدى

<sup>١٠</sup> هارون هاشم رشید، دیوانه مع الغرباء: ص ٨ - ١٠.

ضمائر العالم، أما تكراره الأداة «سوى» ثلاث مرات فهو دليل على اليأس وخيبة الأمل ولكن سرعان ما يتراجع ليقول:

ولَنْ يَقْتُلْنَا جَوْعٌ وَلَنْ يَرْهَقْنَا فَقْرٌ  
لَنْ أَمْلِلْ سَيْدِفُنَا إِذَا مَلَّ الْوَحْشَاءُ  
فَصَبِرْأً يَا بَاتِي صَبِرْأً غَدَةَ غَدِيدٍ لَنَا النَّصْرُ<sup>١</sup>

ونجد الشاعر «زكي قنصل» في قصيدة «رب السوط» يضع يده على الجرح النازف محاولة منه لمعالجته، فهو يعتمد في تصويره على مأساة الحياة الإنسانية في القدس، إذ يقول:

أَخِي فِي الْجَرْحِ هَلْ يُشْجِيكَ ذَمْعِي وَهَلْ يَعْنِيكَ فِي الْجَلَّى هَدِيرِي  
تَشَابِهَ دَرْبِنَا سَهْلًا وَوَغْرًا وَلَمْ يَخْرُجْ مَصِيرُكَ عَنْ مَصِيرِي  
مُصَابُ الْقُدْسِ أَيْقَظَ كُلَّ صَوْتٍ فَهَلَأْقَمْتَ يَا غَافِي الضَّمِيرِ  
عَدُوكَ لَا يَقِرُّ لَهُ قَرَارٌ وَأَنْتَ تَفْطُّ فِي نَوْمِ قَرِيرِ  
زَفِيرِ الْلَّاجِئِينَ إِلَى الْثَّرَيَا أَلَا يَهْتَرِئُ قَبْلَكَ لِلْزَّفِيرِ<sup>٢</sup>

لقد اتخذ شاعر القدس «قنصل» من الصفات الإنسانية المشتركة موضوع الأخوة وذلك لتصوير محنته ووحدته وما أصاب القدس، فهو يندب أخاه تارةً ويناديه أخرى، لأن صفات الأخوة أعلى وأغلى ما يمتلكه الإنسان، لذا حين يرى الأخ أن أخيه قد أعرض بوجهه عنه وترافق عن نصرته، وهو بأمس الحاجة إليه يأخذ في عتابه وتائبه، لاسيما إذا كان المصير واحداً وخطر العدو مشتركاً، نرى الشاعر كيف يستخدم المفردات السهلة التي تصل القلوب وتوقف الضمائر، مباشرة، فلا غريب فيها ولا تعقيد وفي التعبير من

.١. المصدر: ص ١٣.

.٢. زكي قنصل، الأعمال الكاملة: ص ١١١.

المعاني ما لا يخفى من الرقة - يشجيك دمعي - جلبي هدري - زفير اللاجئين - غافي الصميم.. وقد اعتمد الشاعر في صياغته على التعبير المباشر والتشخيص أحياناً في تقديم هذه الصورة، وهكذا يمكن متابعة عشرات الصور في مختلف الأبعاد، التي اعتمد شاعر القدس في رسمها على الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان في القدس وما يتصل بها من مادة، أمثال: الشجاعة والبطولة والشهادة والكافح وكذلك في الوجه الآخر، أمثال: بشاعة العدو وهمجيته، وظلمه وقساوته، لذا نرى الشاعر نزار قباني يصرخ بوجه العالم أجمع ويطلب النجدة للمقدسات المشتركة بين الأديان السماوية قائلاً:

منْ يُنْقِذُ الإنجيل؟

منْ يُنْقِذُ القرآن؟

منْ يُنْقِذُ المسيحَ مَنْ قَتَلُوا المَسِيحَ؟

منْ يُنْقِذُ الإنسَانَ<sup>١</sup>

نلاحظ «نزار» كيف استخدم الألفاظ والصور المباشرة والبساطة، وكيف استخدم أسلوب الاستفهام وتدعوي المعاني - القرآن - الإنجيل - المسيح - لما فيها من قداسة وما تحمل من رموز، وذلك ليبيّن قساوة الاحتلال وعداءه الشامل والعام.

ولكن نزار قباني لم يغفل عن قساوة قلوب الأصدقاء حين وجدهم يتغافلون ويتجاهلون عما تعانيه القدس وحياة الإنسان الفلسطيني المأساوية قائلاً:

كأنَّ جمِيعَ مَنْ صُلِبُوا..

على الأشجار في يافا.. وفي حيفا..

وبنِرِ السُّبُعِ.. لِيسوا مِنْ سُلَالَتِكِ

تغوصُ الْقَدْسُ فِي دَمَهَا.

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ١٦٣.

وأنتَ صريحُ شهواتكِ  
نَّام.. كأنَّما المأساة لِيْسَ بعْضَ مأساتِكِ  
متى تفهُّم؟  
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتِكِ<sup>١</sup>

تعاملُ الشاعر نزار قباني بالنسبة للقضية الفلسطينية واضح؛ إذ هو كثيراً ما يستعمل التقرير والتأنيب - للأمراء وللشعوب على حد سواء - ففي هذا المقطع من قصidته استند لما يحدث في القدس يومياً ليكرّس عدّة من الصور المأساوية لعلها توّقظ النّيام، فهو استخدم «متى» الاستفهامية لـما تحمل من مفهوم تقرير مباشر وأسلوب تراسل العواص والوصف المباشر لتكون صورة القدس وصورة الإنسان الغافل عنها جليّة.

وأما الشاعر سليمان العيسى فهو يستخدم أفراد المناسبات كالأعياد ليصوغ صورة القدس الكنيبة وإنسان القضية الملزّم قائلاً:

أيُّ عَبْدِ اتْلَقَاهُ وَأَغْدَوْ  
مَرِحَاً أَزْ هُوَ عَلَى الْكَوْنِ وَأَشَدُوا.  
وَبِلَادِي أَلْفُ جُرْحٍ يَسْتَبِدُ  
وَثَرِيَ الْقَدِيسِ دَمٌ مَا جَفَّ بَعْدُ  
أيُّ عَبْدِ اتْلَقَاهُ رَغِيدِ؟  
وَعَدُوِي مُدِيَّةٌ فَوْقَ وَرِيدِي.<sup>٢</sup>

فالشاعر استخدم الاستعارة ليرسم صورة جرح القدس العميق ثم شبه العدو بالسكين وهذه السكين فوق وريده فهي كل لحظة من الممكن أن تقطع هذا الوريد وإذا كان كذلك فلا يبقى معنى للأعياد والأفراح. وفي هذا

١. المصدر: ص. ٦٨.  
٢. سليمان العيسى، الأعمال الشعرية ١: ١١٣.

المجال قصائد جمّة وعلى سبيل المثال يمكن الرجوع إلى القصائد التالية:

يوسف الخطيب، عائلدون، ص ٧٢ وص ٥٩.

هارون هاشم رشيد، طيور الجنة (قصائد للشهداء)، ص ١٥٤.

زكي فصل، الأعمال الكاملة، ص ٢٧٦.

### ٣. توظيف الخيال

إن الصورة الشعرية محاكاة ذاتية لروح الشاعر، وما يرسم في عقله وقلبه من خواطر وأحاسيس، إذ يقوم بتشكيل ذلك الركام من الأحاسيس والأفكار التي تتحاور وتتفاعل في أثناء عملية الإبداع، ومن أجل أن تكون الصورة الشعرية ناضجة، فلابد من أن يتسلح الشاعر بخبرات تأتيه من ثقافاته وأسفاره، واطلاعه واحتراكه، وخياله المبدع، وتكوينه النفسي، وبنائه الاجتماعي، ولعل الخيال يعُدُّ في مقدمة ما يحتاجه الشاعر في تشكيل صوره الشعرية، فهو قوة خلاقة مبدعة، تعمل على استثارة الرصيد الثقافي عنده، واسترجاع الحالة الشعرية التي انبعثت عن التجربة، كما يقوم بخلق نوع من العلاقات الخاصة بين الأشياء الخارجية، ويتنقى الأحداث ويختار المواقف الصافية التي تغذّي التجربة الشعرية ويعيد تنسيقها لتصبح قادرة على تصوير الحالة الشعرية.<sup>١</sup> «وهكذا أصبحت الصورة وسيلة نقل الفكرة والعاطفة عن طريق الخيال الذي هو أساس الصورة وعمدتها، وعليه المعقول في رسم ملامح الفكرة والعاطفة».<sup>٢</sup> «والخيال هو المملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها اعتبراً، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تخزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة

١. عبد الحكيم حسان، النظرية الرومانтикаية: ص ٢٤٠.

٢. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي: ص ٢٤٣.

التي يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم<sup>١</sup>. والصور التي يسهم الخيال في خلقها وإبداعها تكون ذات طرفين؛ الطرف الأول هو الموضوع الذي تعاشه ذات الشاعر، والطرف الثاني هو المصدر الذي تستفي منه الصور مادتها وعناصرها<sup>٢</sup>. فالخيال لازم للأدب عموماً، وللشعر وخاصة، «فبدونه تصبح الحياة علقتاً من المذاق لا تطاق؛ لسبب بسيط: وهو أنها تفقد روحها، تفقد ما يحرك فينا حبها، إذ تصبح أكداساً وأكوااماً من الأحداث الزائلة التي لا تخلب لبنا، ولا تستهوي بصرأ، ولا سمعاً»<sup>٣</sup>. والأحرى أن ننظر لموضوع الخيال عند شاعر القدس دون النظر لتقسيماته حسب المدارس الأدبية، - كلاسيكي ورومانسي ورمزي - المهم «ألا يكون الخيال برهانياً عقلياً، وأن ترتبط الصور الخيالية بالعاطفة، وألا يتافي الخيال مع العقل، وأن يكون له دور في التشخيص والتجمسي، وأن يكون قادراً على الخلق، والإبتكار»<sup>٤</sup> بأن يصور الحياة وما يدور حولنا ليأخذ المتلقى وينطلق به إلى عوالم الجمال والأكثر كمالاً. يقول الشاعر «علي عقلة عرسان» وهو يرد على ادعاء اليهود - بأن إبراهيم كان يهودياً - مستعيناً بخياله لرسم بعض قصص الأنبياء وتصوير تلك المشاهد:

بيوس..

«أورسالم» ..

إبراهيم أبي، ما كان يهودياً يوماً،  
ولا كان كذلك ابنه إسحاق ويعقوب،

١. شوقي ضيف، في النقد الأدبي الحديث: ص ١٦٧.

٢. إسماعيل أحمد العالم، مجلة جامعة دمشق: ١٨ / ص ٨٨.

٣. شوقي ضيف، في النقد الأدبي: ١٧٢ - ١٧٣.

٤. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث: ص ٤٤٨.

واسماعيل بن ابراهيم من هاجر حينفأ مسلماً كان، وَنَسْلُ  
أبيه، لم يشرك بالله ولم يحتكر الله،  
ولم يعلُ فوق الخلق باسم الله،  
آراميون .. مسلمون .. حنفاء..

فكيف تصير لهم السنة تلوك خوار العجل الذهبي المذبح  
في ليل التيه،  
وليلٌ يصنعه التاريخُ،  
ويصنع للليل التاريخ؟  
وكيف تضيع رؤاهم في ليل العميان،  
وكيف.. وكيف.. وكيف يا أور؟؟؟  
موسى الكليم أخذ بلحية أخيه هارون غَصِّبَا في صحراء  
التيه، لأن العجل الذهبي الأجوف حل محل الله،  
وصار إلى الله التيه ومن في التيه.<sup>١</sup>

فالشاعر «عرسان» اقتبس من بعض الآيات معناها القرآني ونفعها في نصه الشعري لتشكل صورة جديدة تختصر الزمان وتضيف إليه مدلولاً قرآنياً مسلماً عند المتلقى لتصبح صورة القدس مستاقة من القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، فقوة الخيال في هذه الصورة استمدتها الشاعر من الواقع أولاً، ومن ذاته ثانياً لربط أمور متباude بعضها بعض، ومن خلال التعبير المباشر وتداعي المعاني، صاغ هذه الصورة التاريخية لأصالة القدس العربية والإسلامية، ليتبلور تاريخ اليهود الملطخ بالكذب والعصيان. ومن التجارب الشعرية المتخللة ما نراه لدى الشاعر «هارون هاشم رشيد» حين يحيي الشهداء قائلاً:

فتحت «فلسطين» الحبيبة صدرها  
والمقبلون إلى الرّدّي بصدورهم  
في «القدس» إخوته تلاقى ذرّبهم  
أرواحهم تخنو عليه تضمه  
والخالدون عواكف من حوله،  
صلى عليه ملائكة وتفتحت  
بشرأ بالجحّات وارف ظلّها مترافقاً والسدرة العلياء<sup>١</sup>  
لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد شاعرنا «هارون رشيد» من القدس الشريف،  
حيث نجد هنا يشيد بشهداء فلسطين والقدس ليعطيها بعداً ولوّاناً وصوتاً وصدى  
ليمنحها الحركة والحيوية، لهذا يرسم صورة الشهداء وهو يأخذها من المعتقدات  
الدينية، فالقدس وفلسطين تفتح صدرها لتغذّيهم حب الوطن والدفاع عن حرمةه  
ومقدّساته، إذ المعول عليهم فهم الغوث والنجدة وهم القوة والأمل وهم الفرج  
والنصر، وذلك لأن الخوف غير موجود في قواميسهم، ولا يعرفون الموت  
والرعب، بل هم الموت نفسه، فالموت يلبّي الخلود والسعادة والهناء، خطوط  
أهل الجنة، موت من أجل الحياة، حياة مع الأنبياء والرسل والنعيم الأزل، فالشاعر  
عمد إلى أسلوب التجسيد والتّشخيص لرسم هذه الصورة الرائعة. (القدس،  
فلسطين تفتح صدرها، الشهداء يقبلون عليها إنه لحنان الأم الذي ليس له حدود  
ثم الجنة ونعمتها يستقبل قواقل الشهداء) # وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين .  
في سينٍ غَضُودٍ # وَظَلِيجٌ مَنْضُودٌ # وَظَلٌّ مَمْدُودٌ # وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ # وَفَاكِهَةٌ كَبِيرَةٌ # لا  
مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْتُوعَةٌ # وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ #<sup>٢</sup>

١. هارون هاشم رشيد، ديوانه طير الجنة (قصائد للشهداء): ص ١٥٤ و ١٥٥.

٢. الواقعـة: ٢٧ - ٣٤

وحيث استفاد الشاعر من الجمل الخبرية فالمسيرة مستمرة، إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله تعالى.

### بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

- استعان الشاعر بالقرآن المجيد وبال تاريخ والتراث الإسلامي والمسيحي بشكل واسع وذلك لتدعم صورة القدس الفنية مما أعطاها جمالاً وحيوية خاصة.
- استخدم الشاعر الأمور والحوادث اليومية لتكون في خدمة القدس والقضية وليسجّلها كما هي في تاريخ المدينة كأمانة للأجيال القادمة ولتأجّج العواطف الإنسانية والتذكير والتنبيه.
- استعمل الشاعر المفردات الصارخة لصياغة الصورة الفنية لعبر عن عمق المأساة.
- أكثر الشاعر استعمالَ الصور البسيطة وال مباشرة لسهولتها عند المتلقى.

## اللغة والأساليب في شعر القدس

اللغة الشعرية

### ١. الألفاظ والمفردات

اللغة العربية ديوان العرب ومرآة تفكيرهم لأنها منزل الكائن البشري، يلتجأ إليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته<sup>١</sup>.

والشعر هو لغة القلوب ومرآة النفوس، فهو يعبر عن اللغة الشعرية المؤثرة القادرة على الإثارة عند المتلقي - القارئ والسامع - حيّثما تتبعث عن وجдан عميق، وإحساس رهيف، وهذا يستلزم ألفاظاً ذات دلالات نفسية وشعرية خاصة، ولهذا فإن اللغة الشعرية بشكل عام لا بد أن تسم وتصف بالألفاظ ذات الإيقاع الموسيقي، والقوة التصويرية والدقة في اختيار الكلمات، والألفة - بأن تكون الكلمة قريبة من النفوس - والطراقة. ورعاية المقاييس والقواعد النحوية والصرفية ولاسيما الإيحائية في الدلالة بأن توقد الألفاظ صوراً ومعانٍ في ذهن ونفس المتلقي لتمكنه إحساساً عميقاً بالمعنى

١. عبد الله العلايلي، *تهذيب المقدمة المغربية*: ص ٢١.

والسرور، وذلك من خلال قدرتها على تفجير المعاني العاطفية في ذات الإنسان. وفي هذا المضمار لكل شاعر ذوقه وطريقه الخاصة في اختيار الألفاظ التي يستخدمها للتعبير عن ما يخلج في نفسه وذهنه، ولكن من جانب آخر لا بد من خصوصيات وسمات مشتركة ومتصلة ببعضها تشكل في مجموعها اللغة الشعرية. ابتعد شعراء القدس عن الفضفضة اللغوية الجافة كما نلاحظها في الشعر التقليدي القديم، فعمدوا إلى تصحيح العلاقة بين اللغة والعاطفة وربطها ربطاً متاماً، وذلك بالتعبير عن تجربة الشاعر بلغة حديثة وعصيرية واضحة وسهلة الفهم، فأصبحت قصيدة القدس ملحاً لا يستساغ طعام الشعر بدونه، ومن أولئك الشعراء نزار قباني فهو استعمل القاموس اللغوي الحديث مما جعل جمهوره حاشداً وشهرته لا حدود لها. نلاحظ هنا في قصائده (القدس، الخطاب، حوار مع عربي)، منشورات فدائية على جدران إسرائيل) فالألفاظ سهلة ومبشرة والتراكيب والمفردات سليمة وفصيحة، قريبة من لغة الشارع حتى وقع نزار من حيث لا يشعر في استعمال بعض الألفاظ العامية لكنها قليلة جداً، وذلك نشاهده في قصيدة «منشورات فدائية» - إسوارة من زهر - في خبزها المرقوق: في زيتونها - باقون في شينطة الأولاد، في خربشة الأقلام<sup>١</sup>. وكذلك في قصidته «حوار مع عربي» - ويرد طوابير الأعداء<sup>٢</sup> - وأيضاً في قصidته «الخطاب» قد استعمل بعض الألفاظ والمفردات العامية أمثال - يلبس الطرطور بالرأس .. - وأراجوز الذي كان له ألف لسان.. ولسان - يا أمير البحر، والبر، ويما عالي الجناب.<sup>٣</sup> إلا أن هذا لا يقلل من قيمة شعر نزار قباني حيث نراه يدوّي في سماء كل مدينة وبلد.

١. نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ١٨٢.

٢. المصدر: ص ٢١٨.

٣. المصدر: ٢٥٩.

٤. ميرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية: ص ٢٠٠ م.

و قريب من هذا لغة الشاعر هارون هاشم رشيد، فهي خالية من الزخارف اللغوية والصنعة المتكلفة، ولعل هذه الظاهرة ناجمة عن نظرته الثورية والجهادية حيث يعتقد بأن الكل لا بد وأن يشارك في قضية القدس ويعيها بتمام وكمال وجوده.

ويمكن أن نقول إن أغلب الشعراء - شدة وضعفها - سار على هذا النهج فحينما ندقق النظر في شعر القدس ما بين عام (١٩٤٨ - ٢٠٠٠م) نجد أنه قريباً من هذا من حيث الألفاظ والمفردات والتركيب، فمعظم شعراً القدس قد استخدم الألفاظ الجزلة والفخمة في الموضع التي ينبغي أن تستعمل فيها، ويأتي الشاعر بالألفاظ السهلة والرقيقة وال مباشرة تارة والرمزية الواضحة نسبياً تارة أخرى.

## ٢. التركيب وأساليبه

### أ) التكرار

التكرار في شعر القدس ظاهرة واضحة وشائعة وكثيرة، ولها أهميتها الخاصة والرفيعة، إذ لم تكن مجرد ظاهرة تقليد للأقدمين من الشعراء فقط، ولا لمجرد التوسيع بالمفردات والجمل، بل إنها تحمل في طياتها المعاني والمفاهيم والدافع الفني الكبير، ترجع إلى مهمة التكرار وأهميتها في تغيير المعاني الجديدة التي لها دلالتها وإيحاءاتها الشعورية والنفسية لدى المتلقى.

ففي أسلوب التكرار يستطيع شاعر القدس أن يكرّس مضامين ومفاهيم معينة من توكيده وتحذير وإغراء وغيرها. ولا يمكن هذا إلا من خلال التكرار حيث نجد القصيدة التي تحتوي على التكرار مطبوعة في الأذهان أكثر من غيرها.

ولذا استخدم شعراً القدس ظاهرة التكرار بكل أنواعها - تكرار الحرف -

الكلمة - الجملة وحتى الشطر والبيت - وقد أصبحت من السمات البارزة في هذا النمط من الشعر، وبشكل عام نشاهد تكرار كلمات، أمثل: المسجد

الأقصى - القدس - إسرائيل - الإرهاب - اليهود - القتل - الموت - الدفن -  
الضياع - المشرد - اللاجي - العودة - الثائر - الشهادة - الشهيد - السجن -  
الطفل - الجهاد - الثورة - النضال - ...

ولكن تكرار بعض المفردات له معناه الخاص ونغمته الخاصة، كما

لمس هذا في قصيدة «القدس» لزار قباني.

- يا قدس .. يا مدينة تفوح أنبياء.

- يا قدس .. يا منارة الشرائع.

- يا قدس .. يا مدينة تلتقط بالسوداد.

- يا قدس .. يا مدينة الأحزان.

- يا قدس .. يا مدینتي.

- يا قدس .. يا حبيبتي.<sup>١</sup>

فالشاعر بهذا الأسلوب ومن خلال تكرار «يا قدس» رسم صورة القدس المأساوية ومكانتها السماوية ومزانتها التراثية والدينية في قلوب الجميع فأصبحت راسخة لا تزول.

وهذا الأسلوب استعمله الشاعر في أكثر من قصيدة كما نشاهده أيضاً في قصidته «طريق واحد».<sup>٢</sup>

حيث كرر لفظ «بندقية» أكثر من ثمان مرات لما توحّي من دلالات نضالية وثورية - أريد بندقية .. - من أجل بندقية - أمام بندقية .. - أصبح عندي الآن بندقية - ففيها التكرار قدم الشاعر صورة لتحرير القدس وحسب رأيه إنها الطريقة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن تعود القدس إلى أهلها.

١. الأعمال السياسية: ٣/١٦١.

٢. المصدر: ص ٣٢٧.

وأماً أسلوب التكرار عند الشاعر محمود درويش فهي متفشية وفتبة كما نرى ما فيها من التوكيد في قصيده (مزامير - الزمور الحادي والخمسون):

ونغفي القدس:

ياأطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

قريباً يصبح الدمع سنابل

آه، ياأطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً.

وقريباً تكبرون

وقريباً

وقريباً ..

هليويا

هليويا!

بهذا التكرار يرسم الشاعر صورة الأمل والعودة القريبة للقدس ليحل الفرح والبهجة مكان الحزن والعذاب.

ونرى محمود درويش في قصيدة «الأرض» يستعمل أسلوب التكرار ليتحدى المعتَصِب، إذ يقول:

أنا الأرض

يا أيها الذاهبون إلى حبة القمح في مهدها

احرثوا جسدي!

أيها الذاهبون إلى جبل النار

مرّوا على جسدي

أيها الذاهبون إلى صخرة القدس

مرّوا على جسدي

أيها العابرون على جسدي

لن تمرروا

أنا الأرض في جسدي

لن تمرروا

أنا الأرض في صحوها

لن تمرروا

أنا الأرض أيها العابرون على الأرض في صحوها

لن تمرروا

لن تمرروا

لن تمرروا<sup>١</sup>

ففي القصيدة من التكرار ما لا يخفى، فتارة يكرر الاسم - جسدي، وتارة يكرر الفعل - تمرروا، وتارة أخرى يكرر الأداة - لن - ل يجعل الشاعر لكل لفظة منها دوراً وذلك ليكسب الشعر جمالاً ويلفت الانتباه إلى أهمية اللفظة المكررة.

كما نشاهد هنا أيضاً عند نزار قباني في قصيده (فتح) قائلاً:

كالسيد المسيح.. بعد موتنا نهضنا ..

مهما هم تأخروا، فإنهم يأتون

في حَبَّةِ الحَنْطةِ ..  
أو في حَبَّةِ الزيتون ..  
يأتون في الأشجار، والرياح، والغصون  
يأتون في كلامنا ..  
يأتون في أصواتنا ..  
يأتون في دموع أمهاتنا ..  
في أعينِ الغالينَ من أمواتنا  
مهما هُم تأخروا .. فإنهم يأتون<sup>١</sup>

نرى الشاعر في هذه السطور يصرّ على شيءٍ ما، وهو التحرير، تحرير القدس والأرض، أوصل لنا هذه الفكرة وهذه الصورة من خلال تكرار الفعل المضارع «يأتون» لما فيه من معنى ثبوتي فإنه - أي نزار - قد كرّرها بشكل حتى أيقن المتلقى أن رجال التحرير لا محالة قادمون ولو تأخروا نسلاً أو نسلين، فقي هذه السطور نلاحظ الوضوح والسلاسة لكنها عميقية جداً في معانيها، إذ استخدم الشاعر أسلوب الإيحاء والرمز وتداعي المعاني. فهو استعمل مفردة «الحنطة» وفيها من الدلالة ما لا يخفى - الفلاح الكادح - لقمة خبز الحلال - الحيوة والخضرة - النشأة والطفولة ... وكذلك المفردات الأخرى فلها رموزها وإيحاءاتها الخاصة - دموع أمهاتنا - دموع الأمهات يحمل في طياته البراءات والمظلومية في الوقت نفسه، والقانون الإلهي القاضي بانتصار المظلوم على الظالم يوماً ما - جملة أمواتنا - فيها دلالة على أن دم الشهداء سوف يورق الزيتون وينبت الحنطة وهذا لا شك ولا ريب فيه عندما نرى القدس قد عادت للمسلمين.

أما هارون هاشم رشيد فهو في قصيدة «سرحان» يفتح لنا صفحات وصفحات من كتب وسجل القدس - المظلومة، الاضطهاد، الإرهاب، القتل، هتك الحرمات، الاغتيال، الغصب، الدمار، الجوع، العراء، المأساة، فهو حاول تكريس هذه المعاني بأسلوب التكرار والاستفهام قائلاً:

لو يسأل ..

لارتعشت أوتارُ القلب

وشَبَّتْ في الأعماق

التار ..

لو يسأل ..

لأجاب بصوتِ

العزَّة

صوت الأحرار!

قتلوا أهلي،

سرقوا وطني

ألقوا فوق القدس

العار..

هدموا

كل أمانِيَّ الخضراء،

وداسوا أنفاسَ

الأزهار،

قتلوا مُدُنَا

وقرى، ومزارعَ،

واغتالوا أنهار

ومشوا فوق  
صلبي يكعو بهم  
هدموا  
في القدس  
الأسوار  
سرحان  
وطن  
لا يعرف إلا الحب  
سرقوه ..  
داسوه ..  
أهانوه بلا ذنب ..  
زرعوا الأشواك  
بعينه ،  
ودقّوا الرعب ..  
وتنددوا ..  
نحن مسيحيون  
في للكذب ..  
أبا سم الروح  
باسم الابن  
باسم الأب  
تداس القدس  
ويذبح فيها  
ويهان الشعب ..

وتُشبِّهُ النار  
بصدر الحقد ..  
تشبَّه تشَبَّه ..  
فليقتلُ كل القتلةَ  
يرعد  
صوتُ الشعب.<sup>١</sup>

استخدم الشاعر أغلب أساليب بناء الصورة - الوصف المباشر - التجسيد - التجريد - التشخيص - ليصوغ صورة مركبة ومتراقبة تحكي لنا هذه المعاني العميقة وترسم صورة القدس المأساوية.

فالشاعر استخدم أسلوب التكرار لما فيه من أغراض شتى، وكرر - لو يسألوا - أكثر من تسع مرات، ولو قرأتنا كل القصيدة لوجدنا الشاعر قد استخدم الأدوات - أين - أي - هل - ماذا - كم - لو - فيم - لماذا - وكررها أكثر من ثمان وعشرين مرة ولكن الشاعر وضع يده على «لو» بالذات وكررها أكثر من غيرها لما فيها من معنى عرض أو تمثيل أو ... فالمعنى الذي أفادته القصيدة مع استعمال هذه الأدوات والتكرار هو الذي أعطى القصيدة الجمال الغني والمضمون القوي والراسخ.

هذا وكما نشاهد الشاعر علي عقلة عرسان في قصيده «أورسالم صباح الخير» في مقططف منها يؤكّد أصلية القدس الإسلامية قائلاً:

أورسالم مدینتنا  
تل کنعان المُغشیب عبر التاريخ،  
إرثه الباقي لأبنائنا وأحفادنا من بعدها،  
لا يحميه إلا السيف والدم،

١. هارون هاشم رشيد، *الديوان*: ص ٤٨١ - ٤٨٥.

مهما امتد الزمان واتسع المكان،  
القدس مدینتنا .. القدس مدینتنا ..  
القدس مدینتنا ...<sup>١</sup>

ففي سطور القصيدة هذه ما لا يخفى من تكرار الكلمات - الزمان -  
المكان - الجملة الاسمية - القدس - مدینتنا.  
من خلال التكرار رسم الشاعر صورة القدس المقاومة وأبنائها واتمامها  
لأهلها وأصحابها وهكذا حال أكثر الشعرا الذين أنشدوا القدس شرعاً.  
والجدير بالذكر أن هناك قواعد للتكرار أهمها أن يكون اللفظ المكرر  
وثيق الارتباط بالمعنى العام وأن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من  
قواعد ذوقية وجمالية وبيانية.<sup>٢</sup>

### ب) الاستفهام

من المظاهر الأخرى التي نجدها في أسلوب شعر القدس، الأسلوب  
الاستفهامي حيث سخر بعض شعرا القدس هذا الأسلوب لغرض التركيز  
على فكرة إثارة مشاعر المتلقى، كما في الاستفهامات المتكررة في قصيدة  
«الحب والبترول» لنزار قباني:

متى تَفَهُّمْ؟  
تغوصُ الْقَدِيسُ فِي دَمَهَا.  
وأنت صَرِيعُ شَهْوَاتِك  
تنامُ.. كَائِنًا مَأْسَانَة لَيْسَ بَعْض مَأْسَاتِك  
متى تَفَهُّمْ؟

١. الأعمال الشعرية: ص ٣٠٧ - ٣٠٨.  
٢. نازك الملائكة، تصايا الشعر المعاصر: ص ٢٩٢.

متى يستيقظ الإنسان في ذاتك؟<sup>١</sup>

فالشاعر استعمل الأداة «متى» الاستفهامية ليضع حدًا لزمان الغفلة والسبات العميق الذي اتصف به البعض، وفي هذه القصيدة أيضًا استعمل الأداة الاستفهامية «أين» مررتين للتهكم والسخرية بشجاعة المخاطب.

وأين الوَّشمُ فوق يديك؟

أين ثقوبُ خيماتك؟<sup>٢</sup>

والأسلوب نفسه - أي: الاستفهام - استعمله نزار قباني لغرض استنهاض هم أبناء الأمة العربية والأمة الإسلامية في قصيده «القدس».٣  
 من يُنْقِدُ الإنجيل؟ من يُنْقِدُ القرآن؟  
 من يُنْقِدُ المسيح مَمَنْ قتلوا المسيح؟  
 من يُنْقِدُ الإنسان؟

وقريب من هذا استفهامات الشاعر نجيب جمال الدين في قصيده «عنوني على بردى»، حيث حاول عن طريق أسلوب الاستفهام أن يرسم صورة لمكانة القدس والمسجد الأقصى:

وَسَأَلْتُ أُولَى الْقَبْلَيْنِ:

إِمَّا غَدَتْ أُولَى؟

وَفِيمَ اخْتَارَهَا الرَّحْمَنُ

وَسَأَلْتُ: كَيْفَ؟ مَتَى؟

وَمَنْ مِنْهُمْ؟

وَهَلْ وَجَهَ لِأُولَى الْقَبْلَيْنِ يُصَانُ؟

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ٦٨.

٢. المصدر: ٣ / ٦٤.

٣. المصدر: ٣ / ١٦٣.

٤. نجيب جمال الدين، تصانيد إلى عاصمة المدن الشرقية: ص ٧٦.

## ج) النفي

ومن تلك المظاهر التي يلمسها متبع شعر القدس، أسلوب النفي وذلك لغرض أداء مفاهيم ومعانٍ جديدة تكمن في ذهن الشاعر؛ لأنّه يستقي لغته وإيقاعاتها من قاموسه اللغوي وموروثه العربي والإسلامي، مما يجعل المتلقى يتذوق ويطلب المزيد «لأن الإحساس الصادق بقيمة النص الأدبي، وجمال اللغة الأدبية كائن في كل إنسان، وإن اختلفت درجاته، وأيقنت أن تجلية هذا الإحساس وتنميته ترفعان إنسانية الإنسان، وإن افتقادهما خسارة لا يمكن أن يعوضها شيء»، كما يقول شكري محمد عياد.<sup>١</sup>

ومن القصائد التي اعتمد شاعر القدس فيها على أسلوب النفي قصيدة نزار قباني «منشورات فدائية على جدران إسرائيل»<sup>٢</sup> وكذلك قصيدة «جريمة شرف أمام المحاكم العربية»<sup>٣</sup> وقصيدة «أورسلام صباح الخير»<sup>٤</sup> لعلي عقلة عرسان وغيرهما.

فلا يلاحظ الشاعر نزار قباني حين يقول:

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا  
شَعْبَ هُنُودٍ حُمْرٍ  
فَتَحْنُ بِاقْوَنْ هُنَاءً..  
بِاقْوَنْ فِي آذَارِهَا..  
بِاقْوَنْ فِي نِيسَانِهَا..  
بِاقْوَنْ كَالْحَفْرِ عَلَى صُلْبَانِهَا

١. شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب: ص. ٨.

٢. نزار قباني، الأعمال السياسية: ص. ١٩٥.

٣. المصدر: ص. ٢٢٧.

٤. الأعمال الشعرية: ص. ٢٩٩.

باقون في نبها الكريم، في قرآنها  
وفي الوصايا العشر  
لا تسکروا بالنصر  
لن تُفلتوا من يدنا ..  
لن تستريحوا معنا ..  
كل قتيل عندنا  
يموت آلافاً من المرات.  
تذكروا ..  
تذكروا دائمًا ..  
بأن أمريكا على شأنها  
ليست هي الله العزيز القدير  
وأن أمريكا - على يأسها -  
لن تمنع الطيور من أن تطير  
قد تقتل الكبير، بارودة  
صغريرة، في يد طفل صغير.<sup>١</sup>

وهكذا نجد شاعرنا نزار قد استغل أسلوب النفي والتكرار معاً وقد أجاد  
إذ عبر تعبيراً مؤثراً، بلغة نارية وعلاجية في الوقت نفسه وبعاطفة صادقة، ولهذا  
من هنا صدم الوعي الشعري الحديث بما كان له من موقف شموخية مع ماله  
من مستوى شعري يتصف بالجمال الفني والتعبير وما لقصائده من قيمة  
أدبية، فهو كرر «باقون» أكثر من ست وعشرين مرة وكرر الأداة «لن» النافية  
نفياً تأبidiأً أكثر من أربع مرات ووحد بين الديانات السماوية الثلاث لينفي

الاحتلال عن ساحته، وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر أن يعطي القدس وأهلها صفة الصمود حاضراً ومستقبلاً.

لعلَّ الشاعر نزار قباني له ميزة تبرز شعره عن غيره، وهي أنك تجده يقدم الحل المناسب في طيات كلماته النابضة من إحساسه الصادق فنلاحظ كيف يستغلُّ أسلوب النفي ليعكِّي ما في ضميره ويقدم الحلول المناسبة للقدس قائلًا:

لا يمين يجيرنا أو يسارٌ تحت حدَّ السكين نحن سواء<sup>١</sup>  
 لو قرأتُ التاريخ ما ضاعت القدس وضاعت من قبلها «الحمراء»  
 زعموا أنتي طعنَت بلادي وأنا الحبُّ كُلُّه والوفاء  
 ما اشتراه الملوك والأمراء  
 لا تعاقب ياربَّ من رجموني واعف عنهم، لأنهم جهلاء  
 انهمونِي.. فما أنا غير طفلٍ فوق عينيه يستحمُّ المساء  
 أنا لا أعرفُ ازدواجية الفكر فنفسِي بحيرة زرقاء..<sup>٢</sup>

فالشاعر ينفي الاتكالية والتَّعوييل على الآخرين، فيؤكِّد على معرفة الذات من خلال التاريخ وأخذ العبر والدروس ويضرب مثلاً على ذلك قضية الأندلس، فهو يؤمن بقدرة الإنسان العربي ويؤمن بقدرة الإنسان المسلم ويرى النصر لا بد وأن يمر عبر هذا الطريق لا غير.

وأما الشاعر علي عقلة عرسان فهو يستخدم أسلوب النفي ليقدم صورة المقاومة والصمود لمدينة القدس وأهلها قائلًا:

لا سلم بهذِي الأرض وأنا مقهورٌ يا أور،  
 لا سلم بهذِي الأرض وسيفُ القرصان يحزُّ وريَّد القلب،

١. إشارة إلى العسكر الغربي والشرقي آنذاك.

٢. نزار قباني، الأعمال الكاملة: ٣ / ٤٠٤ - ٤١٣.

ويفرِي كُلَّ جذورَ الحبِّ،  
ويُسْخِنْ كُلَّ نداءَ الربِّ،  
ويقتلُ .. يقتلُ .. يقتلُ،  
لا سلم بغير القدس،  
وكلُّ الأرضِ القدس.  
القدس أمان ..  
القدس حنان ..  
القدس أمان.<sup>١</sup>

فالشاعر يكرر الأداة «لا» النافية لينفي كل شيء دون القدس.

#### د) النداء

وأما أسلوب النداء والاستغاثة فعمد إليه أكثر شعراء القدس لا سيما هارون هاشم رشيد وحسن البحيري وسليمان العيسى ومحمود درويش، فهم تارة ينادون الزعماء والحكام وتارة الشعوب وأصحاب الضمائر الحية، وتارة أخرى يوجهون النداء للتاريخ وأبطاله، فنلاحظ الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة (الحريق) كيف ينادي ويستغيث برسول الله محمد ﷺ قالاً:

محمداه ..

وا محمداه

حناجر الأقصى تصيح

وا محمداه

منارة الأقصى تصيح

وا محمداه

---

١. على عقلة عرسان، الأعمال الكاملة: ص ٣٢٠ - ٣٢٤.

الصحن والمحراب  
والأعتاب والأبواب

جميعها تقول

وا محمداه ..

وا أمة الكماة والأباء

وا أمة الصلاة والزكاة

المسجد الأقصى احترق

المسجد الأقصى احترق<sup>١</sup>

فكم ذُكر في كتب النحو بأنّ «وا» حرف نداء مختص بالندبة وهي نداء المتراجع أو المتوجع لهذا عمد إليها الشاعر لما في القضية - القدس - من وجع وتراجع، فأخذ يندب ويستغيث بأعلى صوته وعلى لسان «الأقصى» وكل ما اتصل به، فندبة الرسول محمد ﷺ تعني ندبة الإسلام، تعني ندبة المسلمين، تعني ندبة الأمة العربية، تعني ندبة الأمة الإسلامية، تعني ندبة الإنسان الشريف. وهذه المعاني الراقية وهذا الجرس الموسيقي وهذا الإيقاع ما هو إلا نتيجة أسلوب النداء والتكرار، ولا ريب أنه يشعل في صدر المتلقين النار يجعله يتذهب مع المسجد الأقصى.

نرى الشاعر نفسه يستخدم أداة النداء «يا» لدلالتها على المنادى قريباً ومتوسطاً وبعيداً، ينادي بها وطنه وقدسه حين كان فيه، ويناديه حين أبعد عنه قائلاً:

يا وطني ..

يا وطن الطهر الممزورق الوجه

المنكسر الأهداب

يا وطني ..

١. هارون هاشم رشيد، مذكرة عاشق: ص ٥٤.

يا وطن الصخرة والمحراب  
 يا أول من أطلق كلمات النور  
 وأول من أعطى وأصاب  
 يا خطو محمد  
 فوق سماء الله..  
 ويا درب الأخيار الأحباب  
 يا مهد يسوع  
 الفارش فوق دروب الخير  
 كلام الرحاب  
 وطني..  
 يا وطن الزيتون الخير  
 يا وطن الأعناب  
 يا وطن الأمواج المغلولة  
 في قيد الأسر...<sup>١</sup>

فالشاعر بهذا النداء رسم جبهة الخالص لوطنه، ولكنَّه في الوقت نفسه استعان بأسلوب النداء ليجسدَ لنا عدَّة صور، الصورة الأولى هي صورة الوطن، القدس و.. الممزق بيد العدو، الكتب والمكبل بالأغلال. الصورة الثانية هي أنَّ هذا البلد هو بلد غير عادي لا تصاله بالنبي مُحَمَّد صلوات الله عليه وآله وسلامه وبالنبي عيسى صلوات الله عليه وآله وسلامه واتصاله بالسماء. الصورة الثالثة هي براءات هذا الوطن إذ هو وطن السلام، وطن الزيتون.  
 وهكذا نجد لغة شعر القدس سلسة وسهلة التناول لأنَّه كما يقول نزار قباني، فإنَّ الشعراء هم الذين «يحرِّكون اللغة ويطوروها ويعطونها هوية

<sup>١</sup>. هارون هاشم رشيد، *الديوان*: ص ٤٥٣.

العصر<sup>١</sup> على خلاف نهج الشعراء في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية حتى عدَ ذلك داء العصر.<sup>٢</sup>

## الأساليب

### ١. الأسلوب الخطابي

الشعر ليس مجرد طبع وإنما هو معرفة لمجموعة من القوانين الأساسية تشكل ما يسمى العلم بالشعر و كان للعلم بالشعر جانبيين متداخلين: جانب فطري مرتبط بالحساسية التلقائية التي يتميز بها الشاعر، والتي تمكّنه من إدراك ما لا يدركه الآخرون، وجانب آخر مرتبط بالتعليم واتباع الأصول المتعارف عليها<sup>٣</sup>. من تلك الأصول والأساليب: الأسلوب الخطابي حيث عُرفت الخطابة عند العرب منذ أقدم عصورهم وحتى الآن، وتطور الأسلوب الخطابي كبقية الفنون والأساليب الأدبية، وأخذ يبرز على صعيدين اثنين، الصعيد الإرشادي والصعيد السياسي، اللذين باشرَا الأحداث السياسية والظروف الاجتماعية خطوة بعد خطوة، ومن هذه الحوادث حادثة احتلال القدس وفلسطين على يد الصهيونية العالمية المتمثلة بإسرائيل، فظهر هذا الأسلوب الشعري منذ وعد بلفور عام «١٩١٧م» ونكسة حزيران عام «١٩٦٧» وذلك لأن معاناة الشعب بعد هذه الكوارث هي التي استدعت هذا الأسلوب الخطابي لأنه هو الأسلوب المناسب لعلاج ما وقع على أرض فلسطين.

ففي بداية هذه الأحداث أخذ شعراء القدس أمثال: نزار قباني، بدوى الجبل، محبي الدين الحاج عيسى، محمد العدناني، برهان الدين العبوشي، محمود الحوت، عبد الكريم الكرمي، يعبرون عن الحدث مستخدمين هذا

١. نزار قباني، مع الشعر؛ ص ٥١.

٢. عمر موسى باشا، الآداب في بلاد الشام، عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك؛ ص ٥١٣.

٣. جابر عصفور، النقد الأدبي؛ ص ١٦٣.

الأسلوب برزاته ونغماته المهيجة، واتخاذ المناسبة فرصة للعمل الأدبي والشعري ليفجر الطاقات الكامنة في قلب الفلسطيني ومشاعر وأحساسين الإنسان العربي والمسلم لما فيه من سحر العبارة وقوة المعنى.

فترى الحديث نفسه يدخل في ذات الشاعر الملتهبة ليخرج كلمة محرقة. فهذا الشاعر نزار قباني قد ألهب المشاعر في عدة قصائد خطابية «الحب والبرول» و«الخطاب» إذ يقول فيها:

خدّروني ..

بملائين الشعارات .. فَنَمْتُ  
وأرَوْنِي الْقُدْسَ فِي الْحَلْمِ .. وَلَمْ  
أَجِدِ الْقُدْسَ، وَلَا أَحْجَارَهَا، حِينَ اسْتَفَقْتُ  
فَاعْذِرْنِي  
أَيُّهَا السَّادَةُ، إِنْ كُنْتُ ضَحِكْتَ ..  
كَانَ فِي وُدَّيِّي أَنْ أَبْكِي  
وَلَكَنِي ضَحِكْتُ ..<sup>١</sup>

وهكذا أصبح شاعر القدس بعد نكسة حزيران مذعوراً يعيش حالة ما بين الموت والحياة، فتراه يخاطب المسجد الأقصى ومنبره فيراه غريباً بين يدي العدو يتشل أشلاءه، وتارة أخرى يخاطب بعض الساسة آنذاك مهاجماً مواقفهم الخاطئة، فلاحظه يرسم لنا صورة القدس وأقصاها والذل والهوان الذي لحق بها، وهذا ما نجده في قصيدة «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيري قائلاً فيها:

مُنَمَّمِينَ بَعِيشِ رَائِقِ رَغْدٍ مَا شَابَ صَفْوَ أَمَانِيهِمْ بِهِ كَدْرٌ  
أَعْنَدُكُمْ أَنْتِي فِي لِيلٍ غَاثِيَّةٍ رَبِيعَ الْقَضَاءِ لَهَا وَاسْتَشَرَ الْقَدْرُ

وأن قدسي ومغارحي وأرضهما باتتْ بِدَهْمِ الرَّزَابَا السُّودَ تَأْتِرُ  
فَكَادَتِ الْقِبْلَةُ الْأُولَى وصخرتها عن الخطيم ورُكْنِ الْبَيْتِ تَشَيَّرُ  
الْمُرْسَلُونَ يَرَوْا أَنَّ مَحَارِبِي وَمِنْيَرَةٍ وَآيَتِي بِدَلَارِ الْغَمَّ تَدَرُّ<sup>١</sup>  
وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ يُورَكِي حَلَاقْ قَدْ أَخْذَ - وَعَلَى لِسَانِ الطَّفْلِ الْفَلَسْطِينِيِّ -  
يَخَاطِبُ جَمَاهِيرَ أَمَّتِهِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، مَحْذَرًا مِنَ الْفُرْقَةِ الْعَرَقِيَّةِ وَالْطَّائِفِيَّةِ  
فِي قَصِيدَتِهِ «طَفْلُ فَلَسْطِينِيِّ ثَانِ» قَاتِلًا:

عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ وَلِيُّ الفَخْرُ بِهِذَا النَّسْبِ  
مَذْهَبُ الْفُرْقَةِ لَا أَعْرَفُهُ فَاخْتَشَوْا إِنْ تَسْأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي  
أَنَّ اصْبَرْتِي تَمْتَسِي لِغَةً صَانَهَا الْقُرْآنُ أَسْنَى الْكُتُبِ  
وَجَهَةَ الْمَحْرَابِ عَنِي هِيكَلٌ فِيهِ عِيسَى وَالنَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ  
بَيْتُ لَخْمٍ، وَلَدَ الْفَادِي بِهَا وَجَالَ الْقَدْسِ مَعْرَاجُ النَّبِيِّ  
أَوْ نَرَضَى أَنْ نَرَاهَا مَسْرَحًا لِلْبَغَايَا وَعِبَادَ الْذَّهَبِ<sup>٢</sup>  
كَمَا نَعْلَمُ إِنْ طَابَ الْأَسْلُوبُ الْمُخَطَّابِيُّ، طَابَ رُوحُ الْحَمَاسَةِ وَالتَّهْرِيْضِ  
وَالثُّوْرَةِ، فَالشَّاعِرُ يُورَكِي حَلَاقْ كَفِيرِهِ مِنْ شُعَرَاءِ الْقَدْسِ، خَاطَبَ الْجَمَهُورَ  
بِهِذَا الْإِحْسَانِ مُسْتَخْدِمًا أَسْلَابَ الْخَطَابَةِ أَمْثَالَ أَدْوَاتِ النَّدَاءِ وَالْمَبَاشِرَةِ  
وَالْتَّبَيِّهِ لِيُصْوِغَ أَحْسَاسَهُ وَمَشَاعِرَهُ وَيَجْعَلُهَا مَتَّصِلَةً بِرُوحِ الْمَتَّلِقِيِّ وَلِيَبَشِّرَ  
مَسْؤُلِيَّتَهُ تَجَاهَ الْقَدْسِ. وَأَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ لَوْ اسْتَنْجَدَ بِالْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَخْصُ  
الْعَرَبَ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ إِذَ الْقَدْسُ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

وَهَكَذَا اسْتَمَرَ الْأَسْلُوبُ الْمُخَطَّابِيُّ إِلَى مَا بَعْدَ نَكْسَةِ حَرِيرَانَ وَحَتَّى بِدَايَةِ  
الْسَّبعِينِيَّاتِ - حَرَبُ ٧٣ - وَلَكِنَّ هَذِهِ النِّبْرَةُ الْمُخَطَّابِيَّةُ أَخْذَتْ تَهَدُّأْ شَيْئًا، حَتَّى

١. حسن البحيري: *الفلسطين أغني*: ص ٨٦ - ٨٧.

٢. عبد الله يوركى حلاق، حصاد الذكريات: ص ١٩١ - ١٩٢.

أشعلتها انتفاضة عام ١٩٨٧م «مرة ثانية تلزمهها الحماسة والحدة والاستشار بطلوع الفجر الصادق وزوال الاحتلال الإسرائيلي كما نشاهد هذا عند نزار قباني، سليمان العيسى، حسن البحيري، علي عقلة عرسان، محمود درويش، خالد محبي الدين البرداعي، سلمى خضراء الجيوسي، ولا سيما عند هارون هاشم رشيد، إذ أن أكثر قصائده على هذا الأسلوب الخطابي والوعظي والذي يتمتع بال المباشرة والحدة الثورية. وهذا ملمس في ديوانه، مفكرة عاشق، قصائد فلسطينية، ورود على جبين القدس، ثورة الحجر،وها هي رنة خطابه في قصيدة «يا طفلنا» تبت الأمل والحزن معًا إذ يقول:

يَا طِفْلَنَا تَرَقِبُ الْمَدْدَا يَا طِفْلَنَا .. لَا تَتَنَظَّرُ أَحَدًا  
تَرْمِيُ الْحَجَارَةَ .. لَا تَكْفُ يَدُ سَلَمَتْ .. وَمَا مَدُوا إِلَيْكَ يَدَا  
وَيَظْلِمُ قَوْمَكَ فِي تَحَاوُرِهِمْ وَتَظْلِمُ حَدُوكَ صَامِدًا جِلْدًا  
يَتَحَدَّثُونَ يَجْيِئُ شَجَبُهُمُو نَهَرًا مِنَ الْكَلْمَاتِ مُخْتَشِداً  
وَالْقُدُسُ دَامِيَّةً، مَهَدَّدَةً وَالْمَسْجَدُ الْأَقْصَى .. وَمَنْ سَجَدَاً

لعل الشاعر هارون هاشم رشيد جمع في هذه القصيدة ما بين الأسلوب الخطابي والأسلوب التعبيري ليرسم صورة الانتفاضة وأطفال الحجارة، وصورة القدس الصارخة وغريتها المستجدة، وكما نلاحظ أن الأسلوب الخطابي له ربط مباشر بالأحداث الفلسطينية المتواصلة.

## ٢. الأسلوب التعبيري

لا شك أن لشعراء القدس باعًا طويلاً في استخدام الأسلوب التعبيري، فعبروا من خلاله عن عواطفهم الجياشة وأحساسهم المتogrفة تجاه القدس بل أرض فلسطين كلها من حبٍ وبغضٍ، وحزنٍ وفرحٍ، وبيان حقائقٍ، ورسم أهدافٍ، وأيضاً التعبير

عن ذات الإنسان الفلسطيني المشرد والضياع والغربة و.. وذلك لأن الأسلوب التعبيري أوقع في النقوس ولعله الأكثر تأثيراً من الأسلوب الخطابي، ولهذا قد نهج هذا الأسلوب أغلب شعراء القدس لا سيما في بداية الاحتلال الصهيوني وحادثي النكبة «١٩٤٨» والنكسة عام «١٩٦٧» والحوادث الدامية الأخرى، ومن ذلك قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة «القدس»:

أجل إبني من القدس  
وفيها قد نما غرسٍ  
جذوري في عروق الصخر  
في الصلد، وفي الملمس  
ومن كتعان بي نبضٌ  
ومن عدنان، من قيس  
من الماضي، من الحاضر  
من يومي، من أمسٍ  
عريق المجد والأنساب، مشدود إلى الشمس  
بها أختالٌ في الدنيا.  
وأمشي رافع الرأس<sup>١</sup> ..

فعبر الشاعر عن انتقامه للقدس وأصله العريق الممتد في جذور التاريخ، وحقّه الواضح كالشمس في ربوع الدهار، ولو عاش الغربة وتجرع آلامها. ومن خلال تبعي لشعر القدس لاحظت أن أكثر هذا الأسلوب استخداماً في شعر المقاومة، حيث أصبحت اللغة التعبيرية في هذا النمط من الشعر، هي وسيلة الأداء، كما نلاحظ في قصيدة الشاعرة فدوى طوقان «أردنية فلسطينية في إنكلترا».

---

<sup>١</sup>. هارون هاشم رشيد، مذكرات عاشق: ص ١٤ - ١٦.

عَرَّتْ فِيهَا عَنْ ضِياعِهَا وَقَدْانَ الْهُوَيَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ - حَسْبَ الْمَزَاعِمِ الْغَرْبِيَّةِ  
- فَإِنَّهَا شَاعِرَةُ بِلَا وَطْنٍ:

طَقْسٌ كَثِيبٌ  
وَسَمَاؤُنَا أَبْدَأً ضَبَابِيَّةٌ  
مِنْ أَيْنَ؟ إِسْبَانِيَّةٌ؟  
كَلَا

أَنَا مِن .. مِنَ الْأَرْدَنِ  
عَفْوًا مِنَ الْأَرْدَنِ؟ لَا أَفْهَمُ  
أَنَا مِنْ رَوَابِيِ الْقَدْسِ  
وَطَنِ السَّنَى وَالشَّمْسِ  
يَا، يَا، عَرَفْتُ، إِذْنَ يَهُودِيَّةِ  
يَا طَعْنَةُ أَهْوَتْ عَلَىِ كَبْدِي  
صَمَاءَ وَحْشِيَّةَ

ثُمَّ تَابَعَتْ قَائِلَةً تَحاَوَرُ جَارَهَا الإِنْكَلِيزِيِّ:  
وَأَنْتَ يَا جَارُ الرَّضِيِّ مِنْ فَتْحِ الْجَرَاحِ  
ذَكَرْتَنِي أَنِّي مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمَرَّقَتْ  
أَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ مِنَ الْجَذُورِ اقْتُلُوا  
مِنَ الْجَذُورِ ..

وَأَصْبَحُوا عَلَىِ مَدَارِجِ الْرِّيَاحِ  
وَأَصْبَحُوا مَعْشِرِينَ هَا هَنَا وَهَا هَنَا  
لَا يَنْتَمُونَ إِلَىِ وَطْنِ ..<sup>١</sup>

---

١. فدوى طوقان، الدبران: ص ٣١٢ و ٣١٣.

فالشاعرة عبرت عن صورة المواطن المفترض بأنه بلا وطن وأن مواطن القدس ليس هو ذلك الصهيوني المغتصب. وأيضاً عبرت عن صورة الشعب كيف اقتلع من أرضه فلسطين وتبعثر مع الرياح بعد ما أصبحت أرضه يطمسها الضباب منع نور الرؤية الحقيقة لها. و قريب من هذا قصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد «غرباء» وغيرها ولا سيما في الشعر المهجري وغيره من شعر القدس الغنائي.

### ٣. الأسلوب الرمزي والأسطوري

اعتنى شعر القدس في «سورية ولبنان وفلسطين» بالرمز الشعري إلى حد كبير، وقد كان الدافع إلى استخدامه، طبيعته الإيمانية، والغنية والمثيرة، وسماته الفنية والجمالية ومهامه الاجتماعية أيضاً، فالرمز الشعري لا ينفصل عن التجربة الشعرية، إنه مرتبط بها أشد الارتباط. بين الرمز الشعري والرموز إليه علاقة تداخل وامتزاج. فالتجربة الشعرية إما أن تفرغ شحتها في رموز قديمة فتستدعيها وتستحضرها، وإما أن ترکز الشحنة العاطفية أو الفكرية في ألفاظ تضفي عليها طابعاً رمزاً فيكون الرمز المستخدم جديداً<sup>١</sup>. وفي هذه الحالة «الرمز هو اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة أنه البرق الذي يتبع للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعمتم واندفاع صوب الجوهر»<sup>٢</sup>. وقد يكون الرمز مثيراً إلى حادث أو تاريخ أو أسطورة أو قصة. لأن الرمز لغة هو: «الإشارة بالشفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان، وأكثر ما يكون ذلك على سبيل الخفية»<sup>٣</sup> والإشارة تختلف درجات وضوحتها

١. أدونيس، زمن الشعر: ص ٢٣٩.

٢. المصدر: ص ٢٣٩.

٣. القاموس المحيط، مادة رمز.

وخفانها وذلك حسب قدرة الشاعر وإرادته، فالصورة الرمزية مرة تكون ناظرة إلى شخصية تاريخية كما في قصيدة «قرطبة» للشاعر الفلسطيني «خالد أبو خالد» قائلاً:

وينهض تشرين بوابتين إلى القدس واحدة  
وإليك .. إليك

فلسطين

تنصب في داخلي  
أمطرت

والرذاذ المورد يغرق ناصبي  
وعيوني

ومتعة رنتي

فالحصار شديد

هنا زمني .. قرطبة<sup>١</sup>

لا تلومي الرياح التي حملت جسدي  
لكتني إذ تلوح على الأفق عيناكِ

أربع معركة بالمسير

ولو خطوتين

بدون الجيوش التي ذبحتني

وراحت تطارد رأسي بأعلامها السود<sup>٢</sup>

فالشاعر استدعي شخصية عبد الرحمن الداخل وشَّهَ رحلته إلى قرطبة برحلة الفلسطيني عندما فرض عليه الحصار، فقرطبة رمز استعان به الشاعر

١. العاصمة الإسلامية (٩٧ - ٢٢٢هـ) في الأندلس.

٢. خالد أبو خالد، شاهراً سلاسلِ أحجى؛ ص ٣٧ - ٣٩.

لتصوير واقعه المأساوي، ولكن عبد الرحمن وصل إلى قرطبة والشاعر خالد أبو خالد ما زال في الطريق ولم يصل إلى القدس، ولكنه يواصل المسيرة بما لديه من آمال.

وقد يرتکز الرمز على حادثة تجعل المتلقى يرجع إلى الوراء ويقارن الحاضر بالماضي «مدريد - غرناطة» ليرسم صورة ما يجول في نفسه، كما فعل الشاعر ذاته - خالد أبو خالد - حين أخذ يشكك في السلام الصهيوني ويصب حينه نحو القدس، إذ يقول:

لغرناطة الآن خيمتها .. وامتداد الطريق ..

وغرناطة الآن مطرودة في المماليك ..

ذاكرة في السنابك ..

تعيش المسافة بين الخيام وبين السلام ..

ترى القدس مكسورة في المداد .. ومكسورة في الحطام.

تعيش المسافة للأهل ..

يبعدون ..

ويبقى التحيل ..

يجرب حقائب في الحنين الطويل ..

يقول لها .. لا تخافي ..

تخاف .. ويفترقان على موعد في الجليل..<sup>١</sup>

وأما سميح القاسم فبعد ما لمس النكبات والنكبات في وطنه وأرضه، استعان بماضي العرب ل يجعل صقر قريش في قصيده «دمي على كفي» رمزاً لعمق المأساة وبحثاً عن المجد في جوّ من الحنين

والعويل، وإصراراً على العودة للقدس السلبية:  
 ونفسِي يا ذوي القربي  
 ينazuها .. وإن شيدتُ ملک الله في الغربة  
 ينazuها حنينُ السفر للأدوية  
 ونفسِي رغم دهر البين / رغم الريع والمنفي  
 ورغم مرارة التشريد،  
 تدرك .. تدرك الدرّيا !! ..

فالشاعر يلجأ إلى الرمزية التي من سماتها أنها تشرك المتلقى في العمل الأدبي فتصبح الفكرة الشعرية وليدة لفکر الشاعر وفکر المتلقى وخیال الشاعر وخیال المتلقى في اندماج والتحام جميل، فالرمز يستدعي الحركة في المتلقى ويدفع إلى التجاوب مع العمل الأدبي تجاوباً فعلياً حیاً يعطي العمل الأدبي قيمة أكبر.<sup>١</sup>

وأكثر الشعراء الذين عمدوا إلى هذا الأسلوب في موضوعنا: خالد أبو خالد، نجيب جمال الدين، سميح القاسم، محمود درويش، فدوی طوقان، نزار قباني وغيرهم.

ويمكن أن نقول في هؤلاء كما قال الدكتور أسعد علي «بأن الكلمة بل اللغة هي إيحاء وتكمّن قيمتها بما توحّي وبما يشيّع فيها من إحساسات ومشاعر وعواطف، تختلف من شخص إلى شخص ومن موقف إلى آخر، ولا يخفى ما تمنحه الكلمة من بُعد إيحائي إذا ما استعان الإنسان بها لتفصح عن ذات نفسه، وتظاهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء». فالشاعر من خلال الرمز يوحّي للآخرين ما لا يمكن دونه.

١. هیام رمزي، فدوی طوقان شاعرة أم برگان: ص ٣٢.

٢. صناعة الكتابة، الكتاب الثاني، ص ٩٣.

#### ٤. شعر التفعيلة

شهد الشعر في العصر الحديث مراحل متعددة أثرت فيه المتغيرات الزمانية والمكانية انتهت في بداية القرن العشرين إلى ما يسمى بالشعر الحر أو الأخرى شعر التفعيلة، وسواء كانت الدواعي التي تمخض منها هي روابط الحركة الرومانسية أو آثار الأدب والثقافة الغربية أو هما معاً، وسواء كانت النواة الأولى هي قصيدة «هل كان جبأ» عام ١٩٤٦م للشاعر العراقي بدر شاكر السياب، أو قصيدة «الكوليرا» عام ١٩٤٧م للشاعرة العراقية نازك الملائكة كما رجحه الكثير من النقاد «أنه يدل على وعي وتصميم لدى نازك أكثر مما كان لدى السياب»<sup>١</sup> وهجومها العنيف على الشعر العمودي يمكن أن يكون دليلاً أيضاً إذ تقول: «الم تصداً لطول ملامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ الم تألفها أسماعنا وترددها شفاهنا، وتعلّكها أقلامنا حتى مجتها، منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعدله طعم ولا لون، لقد سارت الحياة وتقلبت عليه الصور والألوان والأحساس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لفقاً نبك، وبانت سعاد، والأوزان هي هي والقوافي هي هي، وتکاد المعاني تكون هي هي ومهما يكن له من أنصار وخصوم»<sup>٢</sup> تعتبر التفعيلة الركيزة والركن الأساس في هذا النوع من الشعر، ومن هذه الزاوية لا يختلف شعر التفعيلة عن الشعر العمودي إذ يشترك معه في التفعيلات الشمان - فعولن، فاعلن، فاعلاتن، مستفعلن، متفاعلن، مفاعيلن، مفاعلتن، مفعولات - إلا أنه يتمتع عنه من ناحية الشكل والمضمون، ويرى

١. شلاغ عبود شراد، تطور الشعر العربي الحديث: ص ٢٢٨.

٢. أبرز أنصاره هم: بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، عبد الوهاب البياتي، بلند الجبوري، عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، نزار قباني، خليل حاوي وأثنا نقاده فأبرزهم: توفيق الحكيم، أنور الجندي، عمر فروخ والعقاد وقد ذكر الدكتور شلاغ عبود شراد بعض دلائل الفريقين في كتابه تطور الشعر العربي الحديث: ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

الدكتور شلتاغ عبود شراد بأن هذه التجربة الشعرية «صبت دمأً جديداً في شراین الشعر العربي من ناحية القيم الفنية التي استطاعت أن تحمل هموم إنسان المنطقة وأماله».<sup>١</sup>

ومن المعلوم أن حديثنا ليس في هذا الصدد، إذ نريد أن نعرف صدى القدس في شعر التفعيلة، وأثر شعر التفعيلة على قضية القدس، ومن هم رواده من الشعراء في محور البحث.

لاريب أن موضوع القدس من الموضوعات المهمة في الشعر الفلسطيني والجديدة في الوقت نفسه، حيث التهبت صدور الذين كتبوا شعر التفعيلة أمثال: محمود درويش، توفيق الصانع، فدوی طوقان، توفيق زياد، خالد أبو خالد، نزار قباني، علي عقلة عرسان، سليمان العيسى، سميح القاسم، معين بسيسو، سلمى خضراء الجيوسي ونجيب جمال الدين بهذا الموضوع، وقد انتصر هذا الفن للقدس المغتصبة وبعد نكسة حزيران إذ كان لها الواقع الشديد في نفسية الشاعر فلجلأ لشعر التفعيلة لما فيه من حرية التعبير ووحدة نغم وموسيقى كما نراه عند نزار قباني وغيره من الشعراء، ولعل هذا النوع من الشعر يمثل إلى ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من شعر القدس بعد عقد السينينات على هذا الأسلوب والفن الشعري.

فللشاعر نزار أكثر من سبع قصائد، سجلت القدس في قلب الأيام والتاريخ وكلها على نظام التفعيلة<sup>٢</sup> حيث يتحرر الشاعر في شعر التفعيلة من قيود الأوزان والقافية، ولعل هذا التحرر يناسب إحساس وعواطف الشاعر والمتنلقي أكثر في العصر الحديث. نلمس هذا في شعر نزار قباني أكثر من غيره إذ تحرر من القيود الظاهرة والباطنة، أليس هو القائل في قصيدة «المخطاب»:

.١ المصدر: ص ٢٣٩.

.٢ نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ٥٩، ١٣٧، ١٩٧، ١٥٩، ٢٥٩ و ٢٣٠.

خَدْرُونِي ..

بِمَلَائِينِ الشَّعَارَاتِ .. فَنَمَتْ

وَأَرْوَنِي الْقُدْسُ فِي الْحَلْمِ .. وَلَمْ

أَجِدَ الْقُدْسَ، وَلَا أَحْجَارَهَا، حِينَ اسْتَفَقْتُ

فَاعْذَرُونِي

أَيُّهَا السَّادَةُ، إِنْ كُنْتُ ضَحْكَتْ ..

كَانَ فِي وُدْيَيْ أَنْ أَبْكِي

وَلَكَنِي ضَحْكَتْ ..

كَنْتُ فِي الْمَغْفِرِ مَكْسُورًا كَبْلُورِ كَنِيسَهْ

نَافِخًا (سُورَةُ يَاسِينَ) بِوجْهِ الْقَاتِلِينَ ..

لَمْ أَكُنْ أَمْلِكَ إِلَّا الصَّبْرَ ..

(وَاللَّهُ يَحْبُبُ الصَّابِرِينَ)

وَجَرَاحِي كَبْسَاتِينَ أَرْيَحا

يُمْطَرُ الْيَاقُوتُ مِنْهَا ..

وَيُضْوِعُ الْيَاسِمِينُ ..

وَفَلَسْطِينُ عَلَى الْأَرْضِ حَمَامَهُ ..

سَقَطَتْ تَحْتَ نَعَالِ الْمُخْبِرِينَ<sup>١</sup>

فَكَمَا تَرَى نَازِكُ الْمَلَائِكَةُ «بَأنِ الشَّاعِرِ غَيْرِ مَلْزُومٍ بِاتِّبَاعِ طَولِ مَعِينٍ لِشَطْرِهِ  
وَهُوَ كَذَلِكَ غَيْرِ مَلْزُومٍ بِأَنْ يَحْفَظَ عَلَى خَطَّةٍ ثَابِتَةٍ فِي الْقَافِيَّةِ، فَمَا يَكَادُ يَبْدُأُ  
قَصِيدَتِهِ حَتَّى تَخْلُبَ لَبَهُ السَّهُولَةُ الَّتِي يَقْوِمُ بِهَا، وَالْمُوسِيقِيَّةُ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا  
الْأَوْزَانُ الْحَرَّةُ».<sup>٢</sup>

١. نَزار قِبَانِي، الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ: ٣ / ٢٧١ - ٢٧٣.

٢. قَصَادُ الشِّعْرِ الْمُعَاصِرِ: ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

أما الشاعر الفلسطيني «محمود الحامد» الذي غلب شعر التفعيلة عنده، فوردت القدس في شعره وهو يعبر عن مكانتها بزفات وحنين قل نظيره، من أجلها يقدم الغالي والرخيص ففي قصيدة «لحفنة من بُرتقال الجليل» يقول:

أقول: أكتبني

إذا متُّ عبر نهوض الخمائل

هناك بسارة البرتقال

قتيلًا من العشق ماتَ

وقاتل

إن الذينَ

يُحارون هذا الجنون قلائل

فكم كنتُ أو غل في الورد عثقاً

وأقرأ في القمع سر التفاؤل

وإما تخاصم من أجل ليمونة عاشقوها

همستُ: كفي ..

لا أحب المشاكل

ولكن ..

لأجلك يا زعتر القدس

نمسي على النار ،

نعبرُ في المستحيل ونمضي

إلى الصُّبح .. لا همَّ

أن تغدو البرق عند الصَّهْيلِ ،

وأن تستحيل دماناً مشاعلِ

وهذا بريدُ الحبيبة يأتي

سريعاً وعاجل :  
تعالوا ..

كفى غرابة في المنافي  
فما زال في الصدر عشقٌ فتىٌ،  
وما زال في الجرح نبضٌ يُقاتل !!!

فالشاعر يحن للقدس ويطرد لها إذ تجري في شرايينه مجرى الدم حتى أصبحت ذات دلالات وإيحاءات رمزية بين العاشق والمعشوق، والإيقاع الصوتي للقصيدة جعل الصوت منسجماً مع المعنى ليزيده عمقاً وحلاوة وطلاؤة، ورنّات الموسيقى جعلت القصيدة لها موجات ونغمات متسلقة ومتربطة. وإذا أردنا أن نلخص أهم العلل والأسباب التي سوّغت شعر التفعيلة فهي:

١. الذاتية وحرية التعبير في هذا الفن الشعري.
  ٢. اتساعه للبيان وثأر الأفكار والمعتقدات لا سيما الاجتماعية والسياسية منها.
  ٣. عدم وجود القوانين والقيود كما هو في الشعر التقليدي.
  ٤. البساطة والسهولة والوضوح في التعبير والألفاظ.
  ٥. اقتصار المسافة بين الشاعر والمتلقي.
- لذا شاع هذا الأسلوب الشعري خصوصاً في أرض الشام بعد الستينيات وساعد شعراء القدس لإحياء القضية وحفظ المدينة، وهي أيضاً ساعدت شعراءها لتفجير هذا الفن والأسلوب ورونقه على أحسن وجه.

#### ٥. القدس والشعر المنشور

أجمع الأدباء على أن أركان الشعر هي الأوزان والقوافي، وحتى شعر التفعيلة لم يلغ هذه الأركان بشكل تام، ولكن ظهرت في العالم العربي منذ

الخمسينيات وتحديداً في لبنان، حركة شعرية تسمى التر شعرأً وتدعى إلى إلغاء «التفعيلة» أيضاً، ومن هنا تحولت قصيدة التر إلى «ثورة على الإنجازات التي حققتها المرحلة الأولى من شعر التفعيلة على يد روادها من مثل نازك الملائكة والسياب وصلاح عبد الصبور حيث أتت على كل قاعدة تتصل بفن الشعر فجعلتها كالرميم، فلا وزن ولا قافية ولا قيم فكرية ولا أهداف إنسانية وإنما سيل من المفردات وركام من الأوهام لا يعرف لها رأس ولا رجل».<sup>١</sup>

ويعتقد رواد هذا الفن الشعري أمثل: جبران خليل جبران، محمد الماغوط، أنيس الحاج، توفيق صايغ، جبرا إبراهيم جبرا وأدونيس أحمد «على سعيد» (أن الوزن والقافية قيود عارضة على الواقع الشعري تشنل قدرة الشاعر، يقول أدونيس «إن على الشاعر المعاصر لكي يكون حديثاً حقاً أن يتخلص من كل شيء مسبق، ومن الآراء المشتركة، إن هدف القصيدة الحديثة هو القصيدة نفسها»).<sup>٢</sup>

فهم يعتقدون أن التر المتحرر من القيود هو المطلوب لدى الشاعر المعاصر، وأما نزار قباني فيرى « بأن القصيدة الحرة هي اجتهد، وقصيدة التفعيلة هي اجتهد، وقصيدة التر هي اجتهد ولا يجوز أن يطلق الرصاص علىها، بحجة أنها تقول كلاماً ليس له سند».<sup>٣</sup>

على أية حال فإنَّ شعر التر من الأفضل أن لا يسمى شعرأً لأنه أقرب إلى التر الفني من الشعر، إذ لا نجد فيه الإيقاع القوي ولا الوزن ولا القافية ولا يحرك الأحساس والعواطف، ولو كانت له قيمة الفنية الخاصة به.

وأما القدس فلم يكن لها نصيب يعني به في قصيدة التر حيث تتبعنا دواوين شعراء محور البحث إلا إن هناك محاولات قام بها بعض الشعراء،

١. شلناغ عبد شراد، *تطور الشعر العربي الحديث*: ص ٢٣٧.

٢. أدونيس، *زمن الشعر*: ص ٤٢.

٣. محبي الدين صبحي، *الكترون الشعري عند نزار قباني*: ص ٢٠.

وكمودج على ذلك نأخذ قصيدة «كوايس الليل والنهر» للشاعرة فدوى طوقان حيث حاولت مزج شعر التفعيلة بالشعر الشري، قائمة:

في صحف القدس اليومية أرمي عيني  
أقرأ خبراً كالأخبار:

بيت لحم - فوجي المزارعون في خربة بيت سكاريا  
بمجموعة من الجرافات خرجت من مستعمرة كفار عصيون  
وشرعت في قلع المزروعات في أرض تلك البلدة  
أقرأ شكوى مرفوعة  
لوزير الحرب:

«ابراهيم عطا الله من بيت سكاريا شمال كفار عصيون - قضاء  
بيت لحم.

الموضوع: مصادرة أرض زراعية تخصني.  
أحيطكم علمًا بأن الأرض التي أملكتها والتي تقع في بيت سكاريا، وهي مصدر رزقي ورزق ٢١ شخصاً أعيتهم من فلاحتها، قد تم الاستيلاء عليها، ليلة أمس الأول حيث قامت الجرافات بإزالة المحصول الذي عرق من أجله طيلة عام كامل أناشدكم باسم أطفالى الذين سيموتون جوعاً أن تخذلوا اللازם لإعادة الأرض التي لن أقبل عنها بديلاً أو تعويضاً»  
ذات الأخبار ..

لا شيء جديد  
لا شيء جديد في الأخبار  
لا شيء مثير  
يعشاني الغياب المرّ

يا دودوة علق في قلبي تغزو قلبي  
وتظلّ تصبّ دماء القلب!  
ما هذا ما هذا يا رب؟  
ويرد الصمت.<sup>١</sup>

### موسيقى شعر القدس

منذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان، فالشاعر لا ينطق كلامه في لغة عاديّة وإنما ينطقه موزوناً، وكأنه يلبّي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات، إذ كان تصايم بأصواتنا، وكأنما كل صيحة كانت كلمة أو قل كانت قصيدة، تعبّر بها عن مشاعرنا وإحساساتنا، تلك الإحساسات والمشاعر التي كانت تشبه محيطاً منجيناً<sup>٢</sup>. ويتألف الشعر كما يرى الدكتور جابر عصفور «من كلمات تنظم فيما بينها انتظاماً مخصوصاً، تبعاً لتعاقب الحركة والسكن، مما يصنع الشعر ويعيد من جملة جوهره»<sup>٣</sup>، ولهذا فإن موسيقى الشعر تعد من أبرز سماته كما كان يعتقد السلف من علماء العربية حيث لا يرون ميزة بين الشعر والثر إلا الوزن والقافية. وللشعر نواح عدّة جمالية، أسرعها إلى نفوستنا، ما فيه من جرس الألفاظ، واسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكلّ هذا هو ما نسميه بـ«موسيقى الشعر»<sup>٤</sup> وهكذا اهتم النقاد بقضية موسيقى الشعر التي تفجّرت بها قريحة الشعراء قديماً وحديثاً، حيث ترنمّت بها نفوسهم لتظهر ما يخليج في صدورهم من شعور وأحساس، وقد التزم الشعر العربي بموسيقاه وزناً وإيقاعاً رغم محاولة الانفلات التي تعرض لها على مر

١. فدوى طوقان، الأعمال الكاملة: ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

٢. شوقي ضيف، في النقد الأدبي: ص ٩٩.

٣. جابر عصفور، النقد الأدبي: ص ٢٩٣.

٤. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر: ص ٨ - ٩.

العصور الشعرية لا سيما بعد النصف من القرن العشرين الميلادي. ويمكن أن تقسم مراحل تطور الشعر العربي إلى ثلاث مراحل هي:

١. مرحلة القصيدة العمودية أو بما يسمى الشعر الخليلي بحوره الستة عشر.
٢. مرحلة شعر التفعيلة حيث تكرر التفعيلة فيه في السطر الواحد أو تكرر بعد عدد من السطور الشعرية.
٣. مرحلة القصيدة النثرية وهي أشبه ما يكون بالثر لالشعر. ومهما اختلفت التسميات فإن الإيقاع والوزن احتفظ بمكانته شدة وضعفاً.

وبحسب ما يرى عبد الحميد جيده أنه لا بدّ من التمييز بين نوعين من الموسيقى في الشعر:

١. الموسيقى الخارجية: وهي التي تتألف من الأوزان الشعرية المعروفة ومن القافية.
٢. الموسيقى الداخلية: وهي التي تتألف من النغم الذي تجمع بين الألفاظ والصورة، أو بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر، وهذه مزاوجة تامة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتنقي<sup>١</sup> وكثيراً ما يستخدم في الموسيقى الداخلية أنواع المحسنات البديعية كالجناس، والتكرار والطباقي ولزوم ما لا يلزم والتصرير وغيرها.

### ١. الموسيقى الخارجية

#### أ) الوزن

تشكل الموسيقى الخارجية من الوزن والقافية وـ«الوزن أعظم أركان حد الشعر» كما يقول ابن رشيق.<sup>٢</sup>

١. عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص ٣٥٢.

٢. ابن رشيق، العمدة في محسن الشعر وآدابه: ١ / ص ٢٦٨.

والملاحظ أن شعراً القدس اعتمدوا وحدة الوزن والقافية غالباً إلى النصف الأول من القرن العشرين أمثال محبي الدين الحاج عيسى، برهان الدين العبوسي، عبد الكريم الكرمي، بدوي الجبل، سليمان العيسى، إلياس قصل وغيرهم، ثم استمر بعضهم في شعره العمودي إلى يومنا هذا، وهناك من نوع في قصائده بين القديم وشعر التفعيلة أمثال نزار قباني، محمود درويش، بدوى طوقان، هارون هاشم رشيد، سميح القاسم، توفيق زياد، حسن البحيري.

ونشاهد العيل إلى شعر التفعيلة عند بعض هؤلاء أكثر - قباني، درويش علي عقلة عرسان، خالد أبو خالد، محمود حامد، نجيب جمال الدين، سلمى خضراء الجيوسي فرجموا شعر التفعيلة على غيره غالباً.

فمن الفئة الأولى التي سلكت الشعر العمودي، قصيدة الشهيد عبد الرحيم محمود «الشهيد».

**سأحمل روحني على راحتى وألقى بها في مهاوي الردى<sup>١</sup>**  
وهي على البحر المتقارب التام.

ففي شعر هذه الفئة قد بدت ملامح التغير والتجدد في الشكل والمضمون والأغراض. واللغة الشعرية تبرز في شعر القدس في الأقطار الثلاثة «سوريا - لبنان - فلسطين» إلا أن الوزن الخليلي كان هو المتبعد.

وبعد ما شهد شعر القدس ظهور شعراً أمثال نزار قباني، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، أخذ شعر التفعيلة مأخذة في هذه الأقطار فنظم الشاعر نزار قباني ما يقارب ٨٠٪ من شعره على نظام التفعيلة مقابل ٢٠٪ من الشعر التقليدي، فأنشد قصيدة القدس على وزن تفعيلة الرجز «مستعلن»:

بكثيْتُ .. حتَّى انتهت الدُّموع  
صلَّيْتُ .. حتَّى ذابتِ الشُّمُوعُ  
ركعْتُ .. حتَّى ملأني الرُّكوعُ  
يا قُدُّسُ .. يا مدِينتي  
يا قُدُّس .. يا حبيبيٌ<sup>١</sup>

وهكذا نظم نزار قباني قصيدة «طريق واحد» على وزن تفعيلة الرجز

«مستعلن»:

يا أئيَّها الثوار

في القدس، في الخليل، في بيسان، في الأنواز  
في بيت لحم ..  
حيثُ كنتم أيَّها الأحرار ..<sup>٢</sup>

وكذلك نظم قصائده «فتح»<sup>٣</sup> و«منشورات فدائية»<sup>٤</sup> «حوار مع عربي»<sup>٥</sup> على وزن تفعيلة «المدارك» فعلن:

لو أنَّ بحيرة طبرياً تعطينا بعضَ رسائلها ..  
لاحرق القاريءُ والصفحاتُ ..

لو أنَّ القدس لها شفةً، لا ختنَتْ في فمها الصلوات ..  
لو أنَّ ..

وهكذا قصيده «شُرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَةِ» على التفعيلة نفسها.

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ١٥٩.

٢. المصدر: ص ٣٣٥.

٣. المصدر: ص ١٣٧.

٤. المصدر: ص ١٦٥.

٥. المصدر: ص ٢١٥.

وأما قصيدة «الحب والبرول»<sup>١</sup> فهي على تفعيلة الهزج «مفاعيلن»، وقصيدة «الخطاب»<sup>٢</sup> فهي على تفعيلة الرمل «فاعلاتن». وهكذا أكثر الشاعر نزار قباني من شعر التفعيلة، لما فيها من حرية التعبير والحماسة والعذوبة والرقة، لتساعد شاعر القدس لإظهار ما في صدره المتفجر ونفسه المتأججة.

#### ب) القافية

يرى ابن رشيق أن القافية لا تقل عن الوزن لأن الشعر مركب من عنصرين اثنين هما الوزن والقافية ولا يكون الشعر شرعاً حتى يكون له وزن وقافية.<sup>٣</sup>

«وسميت القافية قافية لأنها تقوى أثر كل بيت»<sup>٤</sup> وللقافية أنواع أهمها:

أ) القافية المتمكنة وهي التي يبني البيت كله عليها.

ب) القافية الفلقة وهي يأتي بها الشاعر ل تمام الوزن فقط.

ج) القافية المقيدة وهي التي يكون روئها ساكناً فيتخلص الشاعر من الإعراب في آخر البيت.

د) القافية المطلقة وهي التي يكون روئها متحركاً.

لذا تنوّعت القوافي في شعر القدس لتكون موسيقى الشعر متعددة ولتظهر قوة شاعر القدس وعدم ضعفه، فعمد نزار قباني في شعره العمودي إلى استخدام الحروف القوية لتكون قافية شعره، أمثال الهمزة والباء والتون، فنلاحظ الهمزة في قصidته «إفادة في محكمة الشعر» وهي من البحر الخفيف إذ يقول:

.١ المصدر: ص ٥٩.

.٢ المصدر: ص ١٥٩.

.٣ ابن رشيق، العمدة: ص ١٣٩.

.٤ المصدر: ص ١٥٩.

لا يمْيِنْ يجِيرُنَا أو يَسْأَرْ تحتَ حَدَّ السِّكِينِ نَحْنُ سَوَاءُ  
لو قرأتنا التاريخ .. ما ضاعت القدس .. وضاعت من قبلها (الحراء) ..  
يا فلسطين .. لا تزالين عطشى وعلى النَّفْطِ نامتِ الصَّحَراءُ  
واقافية حرف الباء في قصيدة «من مفكرة عاشق دمشقي» من

البحر البسيط:

وخلَّفُوا الْقُدْسَ فَوْقَ الْوَحْلِ، عَارِيَةً تُبَيِّحُ عَزَّةَ نَهْدِيهَا لِمَنْ رَغَبَ بِا  
أَيَا فلسطين .. مَنْ يُهَدِّيْكَ زَبْنَةً وَمَنْ يُعِدُّ لَكَ الْيَتَمَّ ذَرِبَّاً  
لها وقعها الموسيقي في التفاصيل وجمالها الشعري الفريد.

وعلى القافية نفسها جاءت قصائد هارون هاشم رشيد «دعوة إلى الكتابة»<sup>١</sup>  
وزيتونة<sup>٢</sup> وفدايون لا إراهابيون<sup>٣</sup> وكذلك قصيدة «نشيد الجهاد»<sup>٤</sup> و« طفل فلسطيني  
ثائر»<sup>٥</sup> للشاعر عبد الله يور كي حلاق.

وأما قافية الهمزة فجاءت عليها قصائد الشاعر يوسف الخطيب «عرش  
الفاء»<sup>٦</sup> وقصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد «من قلبي»<sup>٧</sup> وقصيدة «يا شاعري  
لا تقبل العزاء»<sup>٨</sup> وأما قافية التون فنظم عليها الشاعر حسن البحيري قصيدة

١. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٤٠٥ / ٣.

٢. المصدر: ص ٤٢٢.

٣. هارون هاشم رشيد، وردة على جبين القدس: ص ٩١.

٤. هارون هاشم رشيد، مفكرة عاشق: ص ٩٨.

٥. هارون هاشم رشيد، طيور الجنة: ص ١٣٥.

٦. عبد الله يور كي حلاق، حصاد الذكريات: ص ٥٥.

٧. عبد الله يور كي حلاق، المصدر: ص ١٩١.

٨. يوسف الخطيب، العيون الظماء للتور: ص ٧٩.

٩. هارون هاشم رشيد، طيور الجنة: ص ١٥١.

١٠. المصدر: ص ١٢٥.

قصيده «عرس الشهيد»<sup>١</sup> ثم يأتي استخدام قافية حرف الدال بنسبة كبيرة وذلك لدلالتها على الوطنية غالباً «حدود، أمجاد، نشيد» والقيم الإسلامية «شهيد، صمود» ثم قافية حرف الحاء تدل على النضال القومي والإسلامي «سلاح، كفاح» وهكذا، فشعراء القدس، ربما استخدموها هذه الحروف في قوافي شعرهم لما فيها من نبرة قوية وحجة وعمق وقد أشار إلى خصائص بعض الحروف «العليلي» في المقدمة اللغوية.<sup>٢</sup>

إشعاراً منهم بإعادة الأرض بما فيها القدس ولو عن طريق القوة.

## ٢. الموسيقى الداخلية

### أ) الإيقاع

يرى ابن سينا «إن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقافة، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الأخرى»<sup>٣</sup> والإيقاع عنده هو كل نقرة ينتقل عليها إلى نقرة أخرى فاما أن تنتقل في مدة لا تمحي في مثلها عن الخيال صورة الأولى وإنما ألا يكون، فهو يؤلف من نقرات بينها مدد<sup>٤</sup> و قريب من هذا قول الفارابي «إن الإيقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب».<sup>٥</sup>

حيث بسط الكلام هناك في أكثر من سبع وخمسين صفحة، ويمكن أن

١. حسن البحيري، *للفلسطين أغنى*: ص ١٤٧.

٢. عبد الله العليلي، *المقدمة اللغورية*: ص ٩٣ - ٩٢.

٣. ابن سينا، *الشفاء*، الفن التاسع: ص ٣٣ أيضاً انظر: أرسطو، *فن الشعر*: ص ١٦١.

٤. ابن سينا، *الشفاء*: ص ٢٣ - ٢٥.

٥. محمد بن محمد الفارابي، *الموسيقى الكبير*: ص ٤٣٦.

تعبر عنه بأنه روح الشعر النابضة ونفس الشاعر وشاعريته التي تكون من ذبذبات ونغمات موسيقية تطرب لها أذن الملتقي ويرقص لها القارئ فرحاً أو عكس ذلك، كما نشاهد هذا في قصيدة «القدس» لزار قبانى:

يا قدسُ  
يا مدينةَ الأحزانِ  
يا دمعةَ كبيرةَ تحولُ في الأجنفانِ  
منْ يوقفُ العدوانَ؟  
عليكِ، يا لؤلؤةَ الأديانِ  
منْ يغسلُ الدماءَ منْ حجارةَ الجدرانَ؟  
منْ يُنقذُ القرآنَ؟  
منْ يُنقذُ الإنسانَ؟<sup>١</sup>

تكرار «من» السؤالية، تفعيلة بحر الرجز «مستعملن» ثم الارتفاع بالألف -

العدوان، الأديان، القرآن، الإنسان، - تسكين نون القافية و.. جعل لها موسيقى وإيقاعاً خاصاً مما تركها تتردد عبر الإذاعات صباحاً ومساءً وهكذا قصيدة

سمح القاسم «سقوط الأقنعة»:

يا مجلس الأمن القديم  
صوتي يجئك زهرة حمراء  
من حقل الجريمة  
بالى اللقاء .. إلى اللقاء ..  
يا مجلس الأمن القديم  
أراك في القدس القديمة

<sup>١</sup>. نزار قبانى، الأعمال الكاملة: ٣ / ١٦٢.

فوحدة النغمة تكررت، وتعالت الحركات والسكنات على نحو منتظمه:  
في القصيدة:

١ - حمراء، اللقاء - الجريمة، القديمة ..

### ب) التصريح

وهو أن يكون روبي شطري البيت متماثلاً، وعادة يستخدم في مستهل القصيدة ليعطي المتلقى شعوراً خاصاً لما فيها من حلاوة وأثر جميل. ومثال ذلك قصيدة نزار قباني «من مفكرة عاشق دمشقي».

سَقُوا فَلَسْطِينَ أَحَلَامًا ملوَّةً وأطْعَمُوهَا سخيفَ القولِ، والخطبَا  
عَاشوا عَلَى هامشِ الأَخْدَاثِ، ما تَضَعُوا لِلأَرْضِ مُنْهَوْتَةً، والعرْضِ مُغْتَصِبَاً  
وَخَلَقُوا الْقُدْسَ فَوقَ الْوَحلِ، عَارِيَةً تُبَيِّحُ عَزَّةَ نَهْدِيهَا مِنْ رَغْبَاً  
فَكَلِمَاتُ «والخطبَا، مُغْتَصِبَا، رَغْبَا» منحت القصيدة موسيقاً داخلية تشعر  
نفس المتلقى بها وتبيح معها. ومن هذا النمط قصيدة الشاعر سليمان العيسى  
«الجرح الصارخ»:

أَنْتَ بِالْمَأْسَاةِ أَدْرِي، فَارُوهَا وأَزْجَحْ عَنْ «مُجْرِمِهَا» الْحُجْبَا  
فِي قُوَادِ الْقُدْسِ جُرْحٌ صَارَخٌ لَمْ يَرْزُلْ يَشْكُوَ الْعَذَوَ الْأَفْرَبَا

### ج) التكرار

وهو إظهار جهة مهمة في البيت أو الشطر العربي لغرضٍ، وقد فشى استخدامه في الشعر الحديث، وقد مر الكلام عنه في بداية هذا الفصل - وأنواعه إلى أقسامه هنا لارتباطها بالموسيقى الداخلية، وأقسامه هي:

١. سميح القاسم، الأعمال الكاملة: ١ / ٣٩٣.

٢. نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ٤٢١.

٣. سليمان العيسى، فلسطينيات: ص ٣٢.

### ١. التكرار البياني

وهو التأكيد على كلمة أو عبارة معينة كما في قصيدة «الرَّحْلَان» للشاعر نجيب جمال الدين:

بِالْقُدْسِ صَلَى وَقَدْ صَلَى بِهَا عُمَرٌ  
هَلْ كُلُّ لَامِعَةٍ صَفَرَاءٌ  
مِنْ ذَهَبٍ؟

بِالْقُدْسِ صَلَى صَلَةُ الْعِيدِ  
مُبَتَّهِجًا بِالسَّلَمِ .. بِالنَّصْرِ ..  
بِالْمَرْخَى! .. بِلَا تَعْبِرْ .. ١

فيهذا التكرار بين الشاعر وضع القدس في الحاضر والماضي وفرق اللحوات فيها.

### ٢. تكرار التقسيم

وهو تكرار عبارة أو كلمة في آخر كل مقطوعة شعرية. ونرى هذا النوع من التكرار عند الشاعر هارون هاشم رشيد في قصidته «هذا العالم»:

وتركـت مدـيـنة الـقـدـس

تـغـوصـ فـيـ الأـظـلامـ  
تـغـرقـ فـيـ القـتـامـ  
وـقـيلـ عـامـ الـقـدـسـ  
هـذـاـ العـامـ<sup>٢</sup>

### ٣. التكرار اللاشعوري

وهو أن يأتي في حالة شعور عميق يصل إلى درجة المأساة واللاشعور،

١. نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمة المدن: ص ٩٧

٢. هارون هاشم رشيد، مفكرة عاشق: ص ١٨ - ١٩.

فرفع مستوى الشعور لدى الملتقي، فمن الممكن أن تكرر لفظة أو عدة ألفاظ أو حتى بيت شعر بكامله.

ومثال ذلك قصيدة نزار قباني «شعراء الأرض المحتلة» إذ تكرر هذا البيت مرات.

### شعراء الأرض المحتلة

ما عاد لأعصابي أعصاب  
حرّمات القدس قد انتهكتْ  
صلاح الدين من الأسلاب  
ونسمى أنفسنا كُتابٌ<sup>١</sup>

وهكذا قصيدة الشاعر علي عقلة عرسان «يا راغب قم»<sup>٢</sup> حيث كرر فيها «لقدس طريق من أرنون» عدة مرات وقصيدة الشاعر سميح القاسم «من القدس العتيقة»<sup>٣</sup> وهذه الظاهرة لا تكاد تُحصى في شعر القدس.

### د) الجناس والطباقي

من الموسيقى الداخلية ذات الدور المهم «الجناس» وهو تشابه كلمتين مع اختلاف المعنى ونجد هذا في قصيدة نزار قباني «مفكرة عاشق دمشقي» إذ يقول:

هل من فلسطين مكتوبٌ يطمئنني عَمِّنْ كَبَتْ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا كَتَبَ<sup>٤</sup>  
وأما الطباقي:

.١ الأعمال السياسية: ٣ / ١٥٧.

.٢ الأعمال الشعرية: ص ٣٧١.

.٣ الأعمال الكاملة: ص ٢٨٤.

.٤ نزار قباني، الأعمال السياسية: ٣ / ٤٢٢.

فهو الجمع بين لفظتين متقابلتين في المعنى، والمثال على هذا قصيدة الشاعر نفسه «منشورات فدائية»<sup>١</sup> وأيضاً قصيدة الشاعر بدوي الجبل «من وحي الهزيمة»:

هل ذرتْ عَدُونَ أَنْ مَسْجِدَهَا الْأَقْصَى مَكَانٌ مِّنْ أَهْلِهِ مَهْجُورٌ  
أَيْنَ مَسْرِيُّ الْبَرَاقِ، وَالْقُدْسُ وَالْمَهْدُ وَبَيْتُ مَقْدِسٍ مَعْمُورٌ؟<sup>٢</sup>  
رغم النظريات المتنوعة حول الشعر بشكل عام، إلا إن شعر القدس  
امتزج باللغة والمضمون وجعل القدس متحركة مواجهة تعيش الضمائر  
الإنسانية والقلوب النقيّة، والملاحظ أن موسيقى شعر القدس اختلفت  
عن غيرها لأنها موسيقى ألم وحزن، وجع وبكاء تارة وحماسة  
وثورة، نضال وكفاح، موت من أجل الحياة وحياة من أجل العزة  
والشموخ تارة أخرى.

### بعض نتائج ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

— استخدم الشعراء أسلوب الرمز أكثر من الأسلوب القصصي لا سيما في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فعمد إليه الشاعر هرباً وخوفاً من العدو ولما فيه من جمال فني وغناء مضموني.

— يظهر أن نصيب القدس من الشعر المسرحي قليل جداً.

— يروز ظاهرة التكرار في شعر القدس أعطته موسيقى خاصة علاوة على معانيها المتنوعة والمقصودة.

— استخدم الشعراء الذين قالوا شعراً في القدس «الاستفهام» بشكل واسع جداً لإظهار مظلومية القدس وفلسطين تارة، وليسان همجية

.١ المصدر: ص ١٩٥.

.٢ الديوان: ص ١٩٥.

وقساوة الاحتلال تارة أخرى، أو للإيقاظ أو التهريج.

- امتاز شعر القدس بالموسيقى والإيقاع المُبكّي والحزين جداً.

- اتسمت قوافي شعر القدس بالقوة (قافية الهمزة) وبدلاتها على القومية والقيم الإسلامية (قافية الدال - أمجاد - صمود - مهاد) وبدلاتها على النضال والمقاومة (قافية الحاء - كفاح - سلاح).

## فنون وخصائص شعر القدس

### القدس والفنون الشعرية

#### ١. الشعر الغنائي

الشعر الغنائي هو أغنية الإنسانية ورسالته التي يتغنى بها، وفن يعبر به عن أحاسيسه وعواطفه، فرحة وحزنه، حنينه وآلامه، سعادته ومساته، فالقصيدة الغنائية هي «تجربة معينة عاشها شاعر معين، وهي تجسيد لموقف إنساني واحد، وتعبير عن الحالة النفسية والشعرية لشاعر واحد، فهي تجربة يخضع فيها الشاعر لأجواء خلقها لنفسه، بمحض إرادته، فهي خلاصة من عناصر الفكر، والشعور والوجود الذاتي، المتصلة بنفسية الشاعر»<sup>١</sup> فهو يتحدث عن الأشياء ليخلق منها صورة متألقة، متصلة، مترابطة، تفجر من أعماق وجوداته وأحاسيسه وعواطفه، فيجسد أمام المتلقى تلك الأشياء فيعيشها هو كذلك ولقد اتجه جل شعراء القدس إلى هذه الحالة الشعرية، فغنوا للقدس وتغنو بها لا سيما في العقود الأولى من الاحتلال الصهيوني،

١. علي جابر المنصوري، معجم؛ ص ٢٨.

كما نرى في قصيدة «عرس المجد»<sup>١</sup> للشاعر عمر أبو ريشة:  
يا روابي القدس يا مجلى السنـا يـارؤـى عـيسـى عـلـى جـفـنـ النـبـي  
وهـكـذـا قـصـيدـة «المـدـيـنـةـ الحـزـينـةـ» للـشـاعـرـ هـارـونـ هـاشـمـ رـشـيدـ إـذـ يـقـولـ:

وقفـتـ فـيـ أـبـابـهـاـ  
بـكـيـتـ فـيـ أـعـتابـهـاـ  
سـجـدـتـ فـيـ مـحـرابـهـاـ  
مـدـيـنـةـ الـقـدـسـ التـيـ  
تـضـيـءـ مـنـ عـذـابـهـاـ  
عـشـقـتـهـاـ،ـ أـحـبـبـتـهـاـ  
سـكـنـتـ فـيـ أـهـدـابـهـاـ  
فـدـيـتـ كـلـ رـملـةـ  
تـضـيـءـ مـنـ تـرـابـهـاـ  
مـدـيـنـيـ مـشـدـوـهـةـ  
تـهـفـوـاـ إـلـىـ أـحـبـابـهـاـ<sup>٢</sup>

فالجرس اللفظي والرننة الشعرية ذات الإيقاع القوي المنتشر من أعماق نفسه الحزينة واضح في القصيدة، فالشاعر أكثر من استخدام الفعل الماضي ليدل على ارتباطه بالقدس وحياته لها، فهو العاشق والمدينة معشوقة، يتغنى بها، يشعر بالآلامها وأنيتها، فلا يمكن لمرور الأيام والبعد أن يكونا حائلًا ومانعاً. وأكثر شعر القدس قبل السبعينيات شعر غنائي لا سيما شعر الحنين والشعر الاجتماعي والقومي بشكل عام، والملاحظ أن شعر القدس الغنائي يتسم بالصدق العاطفي والجمال والانسجام والتعبير عن مشاعر الشاعر الجريحة،

١. عمر أبو ريشة، الديوان: ٣٣٥ / ١.

٢. هارون هاشم رشيد، مذكره عاشق: ص ٥٨ - ٦١.

وقد تطور هذا الشعر ابتداءً من قصيدة «الشهيد» للشاعر عبد الرحيم محمود.  
وهو يستعمل البحر المتقارب الذي يقرب كثيراً من الروح  
الغنائية الحماسية:

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوى الردى  
فإذا حياة تسرُّ الصديق وإمامات يغطي العدى  
ورود المنيا وآنيل المنى ونفسُ الشريف لها غایتان  
وما العيشُ؟ لا عشتُ إن لم أكنْ  
إذا قلتُ أصغى لي العالمون لعمرُكَ إبني أرى مصرعي  
أرى مصرعي دون حقِّي السليب يلذُلذني سماعُ الصليل  
لعمُرُكَ هذامات الرجال فكيف اصطباري لكيد الحقواد  
وكيف احتمالي لسون الأذى أخوفاً وعندي تهون الحياة  
وذلاً وإنني لربِّ الإيمان بقلبي سأرمي وجوه العداة  
في بداية الاحتلال عام (١٩٤٨) توجَّب على الشعراة تبني قضايا أمتهن  
وقبول المسؤولية تجاه الوطن والوقوف بوجه العدو، فمن هنا برز الشاعر  
الملتزم الشهيد عبد الرحيم محمود ليحمل هموم أمتة ليجاهد بالكلمة  
والبنديقة معاً، فتغنى لمجابهة العدو الصهيوني حاملاً روحه على كفه يرى في  
الموت حياة، حياة الوطن، حياة الحرية .. وفعلاً كتب حروف هذه القصيدة  
بدماء الزكمة في معركة الشجرة والتي تحولت إلى نشيد ترددت الأجيال إلى

---

١. عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة: ص ٣١.

يؤمنا هذا فكلما تعمق الوعي الفردي ازداد الشعر الغنائي ازدهاراً وقيمة ل يجعل قضية القدس حية على طول التاريخ.

## ٢. القدس في الشعر القصصي والدرامي

ما من شك أن الشعر القصصي والدرامي ترك أثره في القدس وقضيتها، وفي المقابل كان للقدس الأثر البليغ فيه أيضاً، وإذا راجعنا السير التاريخي والتطورى لهذا الفن من الشعر نرى نواهه في قصة أمرئ القيس مع حبيبه: سموت إليها بعده مانام أهلها سموّ خباب الماء حالاً على حال فقلّلت سباك الله إنك فاضحى ألسنتَ تَرَى السُّمَّارَ والنَّاسَ أخْوَالِي فقلتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لَدِينِكِ وأوصالي

وكذلك حواره مع صاحبته عنزة:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدْرَ خَدْرَ عَنِيزَةَ فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْفَبِيطُ بِنَامَعَا عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزَلْ فَأيضاً نرى شعر عمر بن أبي ربيعة قائماً على الحوار والقصة والدراما: قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب القتول أخت الرّساب قلت وجدني بها كوج مدك بالعذب إذا مانعت طعم الشراب

ومن الحوار الذاتي قول أبي العناية مخاطباً نفسه:

يَا نَفْسِ إِنَّ الْحَقَّ دِينِي فَتَذَلّلِي ثُمَّ اسْتَكِينِي فَإِلَى مَتَى، أَنَا غَافِلٌ يَا نَفْسِ! وَيَخْلُكِ خَبَرِينِي

١. الديوان: ص ١٦١.

٢. المصدر: ص ١١.

٣. الديوان: ص ١٠٦.

٤. أبو العناية، ديوانه: ص ٢٨٣.

ولعل أول من طرق هذا الباب في قضية القدس وفلسطين هو برهان الدين العبوسي في محاولة مسرح قصصي سماه «شبح الأندلس» في مجموعة قصائد عمودية سجل فيها جانباً من نكبة عام ١٩٤٨م. وكذلك الشاعر محبي الدين الحاج عيسى أطلق على محاولته القصصية اسم «أسرة شهيد» صور فيها مأساة النكبة أيضاً. هاتان المحاولاتان كانتا البوادر الأولية لاعتناق هذا الفن كما يقول عبد الرحمن الكباري.<sup>١</sup>

وقد نصح الفنان القصصي والدرامي لشعر القدس من عقد آخر، كما سلكه الكثير من الشعراء أبرزهم: فدوى طوقان، محمود درويش، سميح القاسم، نزار قباني، توفيق زياد. فها هي الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة «إلى الوجه الذي ضاع في التيه» إذ تحكي لنا قصة تصرف المحتلين لمدينة القدس العذراء وليلها الداجي وما سيسكنها الأبراء:

الأسى يهطل، ليل القدس صمت  
وقتام

حظروا التجوال، لا تطرق في

قلب المدينة

غير دقات النعال الدموية

تحتها تنكمش القدس كعذراء سبية

وعلى الساحة طائر - خرق السهم جبيه

وعلى الأرض دخان وحطام<sup>٢</sup>

ونرى الشاعرة نفسها في قصيدة ثانية «إلى السيد المسيح في عيده»<sup>٣</sup> - بعد

١. عبد الرحمن الكباري، *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*: ص ٣٣٨.

٢. فدوى طوقان، *ديوانها الليل والفرسان*: ص ٨٢ - ٨٣.

٣. المصدر: ص ٣٤ - ٣٥.

ما حاول المتأمرون على القدس تبرير الاحتلال وإعطائه الشرعية، كيف  
تفضح نوايا المحتل وتزيل التمويه عنه إذ تلجم إلى الكتاب المقدس تستعيض  
منه «قصة الكرامين»<sup>١</sup> الذين قتلوا الكري姆 وادعوا الكرم:

قتل الكرامون الوارث يا سيد

واغتصبوا الكرم!

وخطة العالم رئيس فيهم طير الإثم

وانطلق يدنس طهر القدس

شيطاناً ملعوناً، يمقته حتى الشيطان!

يا سيد يا مجد القدس

من بئر الأحزان، من الهوة، من قاع الليل

من قلب الويل

يرتفع إليك أنين القدس

رحماك أجز يا سيد عنها هذى الكأس

فالصورة التي رسمتها الشاعرة في هذه القصة هي النموذج الحي  
للاحتلال الصهيوني.

وهكذا قد استخدم شعراء القدس الفن الدرامي من حوار مع الغير،  
وحوار داخلي ومسرحي فيصفون الحدث حتى يراه المتلقى واقعاً ملماساً،  
فهناك قصائد كثيرة يتتوفر فيها هذا النمط من الشعر.

كما هو الحال في قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا».<sup>٢</sup>

فهي قصيدة حوارية على الأسلوب السينمائي المونتاج، وكذلك القصيدة  
الDRAMATIC للشاعر سميح القاسم «زنابق لمزهرية فيروز» ولأن الصورة لا تتم إلا

١. الكتاب المقدس - العهد الجديد، إنجليل رقس: ص ١٦٣.

٢. محمود درويش، ديوانه: ص ٢٢٩.

بنقلها كاملة فها هو نصها:

من أين يا صديقة

حملت المزهرية

والنظرة الشقيقة؟

من القدس العتيقة

ومن ترى رأيت

في عتمة القنطر

من شعبنا المهاجر؟؟.

رأيت بنت عملك!

في طاقة حزينة

تبوح للمدينة

بهمها وهملك

رأيت في الشوارع

ليلاً من العيون

إإخوة ي يكون

وألف طفل ضائع

رأيت سانحين

وبانعاً يصبح

من يشتري المسيح

بحفتي طحين؟

رأيت في المداخن

عصفورةً جريحة

وطفلةً كسيحة

تبكي على العاذن!  
 ومرة .. سمعتُ  
 مغناً مهاجر  
 يصبح .. يا ضمائر  
 أضعت يومَ ضعْتُ؟  
 هناك يا ابن عمي  
 حملت المزهريَّة  
 والنظرة الشقية  
 وقصة عن أمي  
 عن أمي الضحىَّة  
 لدى يا صديقة  
 زنابق حمراء  
 ألوانها دماء  
 من القدس العتيقة!  
 زنبقَة حزينة  
 من دمَّ بنت عمٌّ  
 وجدتها مذبوحة  
 في طاقة مفتوحة  
 تصيح بالمدينة:  
 قولِي لابن عمي!  
 زنبقَة بريئة  
 من مقلة مفقوءَة  
 لكنها تنادي: أراك يا بلادي!

زنقة ريانة  
من طفلة محروقة  
تصبح: يا خليفة  
مهلاً! أنا عطشانة!  
زنقة شريتها  
من باع مُجندل  
على سياج منزل  
لكتي .. ما بعثها!  
إليك يا صديقة  
زنابقى الحمراء  
زنابقى الدماء  
كي تكمل الهدية  
ورد.. وزهرية  
من القدس العتيقة!<sup>١</sup>

القصيدة حوار، مسرحي، له نغماته الخاصة، فالشاعر حشد فيه مجموعة من الصور غير متراقبة يمكن تفكيركها لولا الإطار العام والكلبي للقصيدة وذلك بهدف تقديم انطباع عام عن أحوال القدس وقضيتها، فالتصوير مباشر، والمشهد أليم ومؤاوى.

لأن الدراما والأقصيص في شعر القدس يختلفان عن غيرهما، فالقصة: قصة شعب يذبح، تقطع أوصاله، تسبى شيوخه ونساءه، قصة الدم المسفوح والطفل المذبوح، هذا ما تقوله فدوى طوقان<sup>٢</sup>:

١. سميح القاسم، الأعمال الكاملة: ص ٢٨٤ - ٢٨٧.  
٢. فدوى طوقان، الليل والفرسان: ص ٢٨ - ٢٩.

أحنتي الصغار، خلف الأنهر يا أحنتي

عندی أقصیص لكم کثیرة

غیر حکایا السندياد، البحر،

غیر قصہ الجنی والصیاد،

وقدر الزمان والأمیرة!

عندی أقصیص هنا جدیدة

أخاف لو أروي لكم أحداثها

أطفئ في عالمکم ضیاءه

أخاف أن أروع الطفولة

أهزُّ في جزیرة البراءة

رواسي الأمان والسکينة

أخشى على دنیاکم الصغیرة

من قصص السجين والسجتان

من قصص النازی والنازیة

في أرضنا، فإنها رهيبة

يشیب يا أحنتي لهولها الولدان

فشعر القدس القصصي هو شعر اعتبار وعبرة، ممزوج بالواقع والحدث،

من أجل مستقبل يحلم به الإنسان الفلسطيني المغلوب على أمره.

### ٣. القدس والشعر الملحمي

ويراد منه كما عرفه «أميل يعقوب»<sup>١</sup> بأنه فن أدبي يقوم على الشعر البطولي، ويهدف إلى تعظيم شعور جماعي، ديني، أو وطني، أو إنساني، في سرد

١. أميل يعقوب، *قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية*: ص ٣٧٤

قصصي رمزي، فقلما نجد لهذا الفن الشعري أثراً في شعر القدس، وذلك لأسباب غامضة نأمل أن يقدم الشعراء ملحمة لبطولة القدس وبطولة الشعب الفلسطيني في القريب العاجل، إلا أن «السوافيري»<sup>١</sup> قد أشار إلى بعض الملاحم منها: ملحمة «النازحة» للشاعر اللبناني محمد شمس الدين وتشتمل على ثمانية وثلاثين نشيداً وعدد أبياتها ١٩٠ بيتاً وهي تحكى قصة نازحة أجلاها العدو عن وطنها برفة أمها وابنها ولسوء الحظ فقد همما نتيجة الجوع والتعب المفرط وبقيت هي تجربة كأس الأسى والحزن لتموت تدريجاً، يقول الشاعر:

وسرتُ وفي مهجتي غصةً تئنَّ على دمعة النازحة  
وباتت فلسطين في خاطري وأبصرتُ غادتها النائحة  
ودنيا القيامة لاحت ظلالها حزاني وصخرتها الصادحة  
وعادت إلى القلب غرنطةً ومائدةً أندلس الذاحلة  
فأطبقتْ جفني على دمعةٍ وما أشبه اليوم بالبارحة<sup>٢</sup>  
الملحمة مطبوعة عام «١٩٥٠م» يبكي بها الشاعر القدس ويقارنها مع  
الأندلس ويرسم صورة الاحتلال فيها ولكنه يركز على مأساة اللاجئين لا  
سيما الأمهات والأطفال فيها، هكذا تبدأ:

هذى بقایاً أدمع قانیةً ومهجةً، مکلومةً، داميةً  
لملمتها، والليل، في صمتٍ يرمضني، والتجمة الساربة  
.. ترسّلها ليلى .. إلى ربهَا بقيةً، من روّها، باقيةً  
باكيةً للقلب، وبالهفتا على أنينِ الغادة الباكية!!

١. كامل السوافيري، الشعر العربي في مأساة فلسطين: ص ٦٠٢ - ٦١٠.

٢. محمد شمس الدين، النازحة من صور نكبة فلسطين: ص ١٤.

أنشودة كثيرة في فمي لكنها في أصلعى داوية  
أبكي بها القدس ومسرى العلى وأندب الأندلس الثانية ..<sup>١</sup>  
ثم الشاعر يستنجد بالتاريخ ويورق صفحاته المجيدة، فيرى من المستحيل  
أن تدنس قدس محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ومهد المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه ويدوم الاحتلال قائلاً:

أيطلب صهيون مهد المسيح، ومسرى محمد، قدس العلى؟<sup>٢</sup>

ونحن لنا المجد والخالدات من الدهر، نحن أسود الفلا

سنحشه، أو يخوض البحار، ليلقى بها ليله الأليلا

تركنا، على الدهر دنيا الحضارة تزهو، ومجدًا غداً أو لا

وذا ركنا يتخطى الحدود ليطش بالغادرین الألى<sup>٣</sup>

ولهذا فالشاعر يشيد بالأمجاد ثم يذكر أن النازحة تقدم زوجها قرباناً للوطن  
وللقدس والإسلام، لكنها لن تنشي مهما كلف الأمر:

وكفته بالدموع السواكب، والهفتا للدموع السكيبه!

وخلفي أمْ تشق الجوب، وطفلْ يذوب حزنًا نحيه

يقول له: «بابا»، إن اللئيم سيرجع فانهض ومزق دروبه!<sup>٤</sup>

ثم يتخيل الشاعر الزحف العربي - والإسلامي - نحو فلسطين والقدس قائلاً:

فلسطين .. يا قدس الأنبياء وبها كعبة الظامين الحجيج

أفيقي على جلجل الانتصار، وصبي العذاب. تميتي الفلوج ..

سلام على قدسك المستظل، بنور السماء، وسر الثلوج ..

فالشاعر قد أجاد في تقديم الصور الجمالية حيث استفاق صوره من

.١ المصدر: ص ٢٣

.٢ المصدر: ص ٢٩

.٣ المصدر: ص ٢٩

.٤ المصدر: ص ٣٩

التاريخ، والأساة، ومزج ما بين الخيال والواقع واستخدم التشبيه والاستعارة بشكل واسع ولكن الملهمة تبقى إلى حد ما غير ناضجة وفيها من الغموض في المعنى مالا يخفى إضافة إلى استعمال الألفاظ العامة أحياناً.

وذكر السوايري أيضاً ملحمة باسم النخيل للشاعر اللبناني محمد علي الجوماني ولكن الشاعر لم يتعرض للقدس فيها، ورأيت من المناسب أن يتوقف البحث عند ملحمة الشاعر الفلسطيني محمود الحوت وذلك لما فيها من دروس ومعان راقية.

الملحمة تحتوي على ستة وعشرين نشيداً، ويتألف كل نشيد من ثمانية أبيات على وحدة الوزن واختلاف القافية، تحكي الملحمة حوادث نكبة عام ١٩٤٨ مـ "بنقد لاذع وسخرية قاتلة، يقول الشاعر:

سبع من الدول الكبرى تناصرها شهرأ، فكان الذي قد كان من خطب أما الثلاثون عاماً وهي راوية عن كبحنا أمتي قهر ومستب فلم تnel من شباب راح يضرمها في وجه ملتجى، منهم ومفترض ليت العروبة في أبيان وثبتها لم تشهر السيف بتاراً ولم تشب إذن لكان لها في قلبهم هلةٌ وكان بعض الذي نبغيه من أرب<sup>١</sup> نلاحظ في هذا النشيد الثاني من الملحمة كيف سخر الشاعر من المشاركيين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ (مـ) فنجد أنه يحكي القصة والحماسة والفخر بأسلوب ملحمي، ولكنه بلغة كمدية مليئة بالسخرية ثم يعجب من الذي جرى وحدث في القدس وفي فلسطين إذ لم يكن له شبه في التاريخ، لذا يتساءل قائلاً:

فهل سمعت بحرب كالتي نكروا بها فلسطين، واجتصروا أهاليها

---

<sup>١</sup> محمود الحوت، المهرزة العربية: ص ٦.

وشتّوهم ضحايا هائمين على وجوههم بعد ترکين العدی فيها  
وعاد كل إلى الأوطان تُرهَقَه رسالَةً كان في الأقصى يؤذِيهَا  
شاهد بوضوح أن الشاعر سلَكَ مسلكَ اللَّوم واليأس ولكنه سرعان ما عاد  
ودعا إلى الوحدة والتضامن ثم يأخذ بتحليل الفاجعة فيرى قضية الاحتلال  
والنكبة هي نتيجة لمؤامرة كان منذ الابتداء هدفها الأقصى والقدس وفلسطين  
فيقول في الشيد الرابع عشر:

ما كنت إلَى على الأقصى مؤامرة حقيقة حاكمها تفكير رعديـد  
وسار فيها صنيعها غاية لؤمـت موحيـإليـه وموحـبعد تمـهـيد  
فسيـرا من شبابـالعربـخـيرـتهمـإلىـوغـىـوـاعـرـالـغـيرـمـحـمـودـ  
وكـلـماـاقـتـحـمـالمـيدـانـبـاسـهـمـأـوـغـلـواـأـقـفـاهـمـفـيـالـمـاوـعـدـ!!ـ  
الملحمة محاولة جادة تناسب العواطف والأحساس وقد اختار الشاعر  
الألفاظ الواضحة والسهلة، ولكن يظهر أنها لا تنسم بالجزالة ويمكن أن يقال  
إن الشاعر كان في بداية محاولته الشعرية، وفيها من القوة مالا يخفى إذ استلق  
الشاعر صورة من الجرح التزيف وواقع الحدث وقد استعان بالماضي  
ليستدرك المأساة ويقدم بعض العلاج.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الكيالي ملحمة للشاعر الفلسطيني عصام  
حمداد تحت عنوان «ديان بيان فو» وهي مخطوطة يخلد فيها بطلة الشعب  
«الفيتنامي» حين أسقط قلعة «ديان بيان فو» ويتمثل «عصام» أن يسمع أصوات  
البطولة في القدس، إذ يقول:  
وان عليهم هنا واجباً يؤذونه في ثرى الفيتـنـام

١. المصدر: ص.٧

٢. المصدر: ص.١٨

يمجده الغفر الحرفي الخافقين  
فتسمع في القدس أصداوه  
وتلمح آثاره في العراق  
وفي مكة وضفاف الخليج  
ومصر وتونس والمغرب<sup>١</sup>

## خصائص وسمات شعر القدس

### ١. الخطابية المفرطة وال مباشرة

«الشعر الفلسطيني هو الذي ييقظ الغافلين وتبه النائم، واستنهض الهمم، وقاوم الاستعمار وفضح أساليب ختله وخداعه، وكشف النقانع عن دسائس الصهيونية، وهو الذي نشر الوعي، وبصر بالحقائق وتبأ بالكارثة وتوقع المأساة واستلهم العبرة من الأندرس، وهو الذي حضَّ على الثورة وألهب المشاعر، وهو الذي مجَّد البذل، وقدَّس التضحية وترَّم بالفداء وخلَّد الشهداء»<sup>٢</sup> بالأحساس الساخطة وبصوت من التشنجات العاطفية المتفجرة، فمنذ وعد بلفور «١٩١٧» - الذي أحسَّ فيه الشاعر بضياع الوطن والقدس إلى يومنا هذا - تماشياً مع التطورات والأحداث، لذا تفجرت نبرة صوته عندما رأى الممارسات الصهيونية وقسوة العدو، فاتَّسَمَ الشعر بالخطابية المفرطة والنغمة الإرشادية الوعظية الشديدة في بداية المؤامرة واشتدت هذه اللهجة الخطابية بعد نكبة عام «١٩٤٨م» لأنها الأكثر تناسباً مع الحدث، يبدو ذلك جلياً في كثير من قصائد حسن البحيري، محمود درويش، يوسف الخطيب، هارون هاشم رشيد، سليمان العيسى، نزار قباني وغيرهم كما نلاحظ في

١. عبد الرحمن الكباري، *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*: ص ٣٣٩.

٢. كامل السواحيري، *الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطيني*: ص ٣٠١.

قصيدة «الحب والبترول» للشاعر نزار قباني قائلاً:

فَبِعْتَ الْقُدْسَ ..

بَعْتَ اللَّهَ ..

بَعْتَ رَمَادَ أَمْوَاتِكَ ..

كَانَ حِرَابَ إِسْرَائِيلَ لَمْ تُجْهِضْ شَقِيقَاتِكَ ..

وَلَمْ تَهْدُمْ مَنَازِلَنَا ..

وَلَمْ تُحْرِقْ مَصَاحِفَنَا ..

وَلَا رَأِيَاتِهَا ارْتَفَعَتْ ..

عَلَى أَشْلَاءِ رَأِيَاتِكَ ..

كَانَ جَمِيعَ مَنْ صُلْبُوا ..

عَلَى الأَشْجَارِ فِي يَافَا .. وَفِي حِيفَا ..

وَبَنْرَ السَّبَعِ .. لَيْسُوا مِنْ سُلَالَاتِكَ ..

تَغْوِصُ الْقُدْسُ فِي دَمَهَا،

وَأَنْتَ صَرِيعُ شَهْوَاتِكَ<sup>١</sup>

لا تخفي النبرة الحادة والخطابية المفرطة في جمل وألفاظ هذه الأسطر من القصيدة فهي أقرب شيء إلى الجلد والضرب العنيف، فصور الشاعر أولئك المتهاونين بقضية القدس، بأنهم باعة القيم والمعتقدات والترااث، فهم بلا دين ولا تراث لهم ولا غيره ولا حمية، وذلك لأن القدس تغوص بالدم وهم يغوصون في لذاتهم وشهواتهم، لهذا استخدم الشاعر الألفاظ العنيفة وال المباشرة فهي معركة لفظية استخدمت فيها كل وسائل التنديد والتجریح من أجل كرامة القدس، وقد استمرت إلى يومنا هذا وتستمر إلى تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي.

ويأتي الشاعر المغترب هارون هاشم رشيد في الدرجة الثانية بعد نزار

قباني حيث أتصف شعره وامتاز بهذه الصفات كما نلاحظ في

قصيدته «الحريق»:

ليحترق كلامنا

لتحترق أقلامنا

لتحترق كل معانٍ

الكبر في بلادنا

لتحترق أعلامنا

فالمسجد الأقصى احترق

المسجد الأقصى احترق

ليحترق كل الذي شرّاعه كلام

وعمره كلام

وعيشه كلام

فراءة الإسلام

احتربت ..

والمسجد الحرام

منكس الآيات والأعلام<sup>١</sup>

فلا يلاحظ الألفاظ - ليحترق - ساخنة، ساخنة، تلتهب مع الأقصى

بروح متواترة وصوت صارخ ومتفجر حامل للغضب والتنديد والرفض، فصيغ

الأمر مع لام التأكيد لها وقمعها وشدتها الخاصة مما جعلتها تناسب ما حل

بالحرم والمسجد الأقصى والقدس الشريف.

هذا النمط سواء أكان عمودياً أو شعر تعفيلة فهو كثير في شعر القدس

---

١. هارون هاشم رشيد، مذكرة عاشق: ص ٥٢ - ٥٣.

ولا شك أنه خدم القضية إذ جعلها دائمًا تغلي في الصدور.  
لكن هذه الخطابية قلت من حدتها واتجهت للاستقلال والتعقل بعد  
الانتفاضة الأولى.

## ٢. البساطة والوضوح

استطاع الشاعر الذي كتب في القدس شعرًا، أن يستخدم لغة الشارع، اللغة العامة عند الناس وذلك لأن القدس قدسهم، والقضية قضيّتهم واللغة السهلة الواضحة هي السبيل إلى القلوب وهذا ما جاء على لسان محمود درويش إذ يقول:

قصائدنا بلا لون، بلا طعم بلا صوت      إذا لم تحمل المصباح من يس إلى يت  
وإن لم يفهم البسطا معانيها      فأولى أن نذرّيها ونخلد نحن للصمت<sup>١</sup>

ويؤكد هذا المضمون الشاعر نفسه في موضع آخر:  
أجمل الأشعار ما يحفظه عن ظهر قلب كل قارئ ..  
إذا لم يشرب الناس أنا شيدك شرب  
قل، أنا وحدني خاطئ<sup>٢</sup>

التأكيد على دور الشعر الجماهيري في وطني العربي - والإسلامي - تنصبه واقعة مؤلمة، تلك هي نسبة الأمية المتفشية بين أبناء الأمة العربية - والإسلامية - إذ تزيد على ثلاثة أربع مجموع السكان<sup>٣</sup>. أقول: يظهر أن هذه الاحصائية قديمة جداً.

أشهر شعراء هذا المسلك - أي الشعر البسيط والسلس ذو المعاني والأفكار الواضحة - هم: هارون هاشم رشيد، محمود درويش، نزار قباني،

١. الديوان: ص ٥٥

٢. المصدر: ص ٦٥

٣. صالح أبو أصبح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ص ٣٧٨.

سليمان العيسى، عبد الله يوركى حلاق، حسن البحري، ابتعدوا عن التكلف والتعقيد والابتذال اللغظى ليتقلل الشعر إلى المتلقى بأحساس الشاعر وعواطفه وبأسلوب ملائم ويتناسب مع الموضوع كما نشاهده في قصيدة «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحري، إذ يقول:

وقفتُ في «المسجد الأقصى» أسائلهُ والنَّارُ في جَبَاتِ الصَّدْرِ تَسْتَعِرُ  
 ما بالْ مُحَرَّابِكَ الطَّهْرِيُّ تَغْمُرُ ظلالُ غَمٍ دُجَاهَا لِيَسْ يَنْخَبِرُ  
 وَمَا لِمِنْبِرِكَ الْقَدْسِيُّ مَكْبِنًا فَمَا عَلَيْهِ لِصَوْتِ الْحَقِّ مُتَبَرُّ  
 وَلِلْمَآذِنِ قَدْ غَابَتْ أَهْلَتَهَا فَمَا عَلَيْهَا إِلَّا شَرَاقُ الْهَدِيِّ أَثْرَ  
 فَقَالَ مُسْتَبِرًا وَالرُّوعُ يُنْطَفِئُهُ وَالأَرْضُ مِنْ تَحْمَهُ الْبَرْ كَانَ يَنْفَجِرُ  
 رَمَى الْبَغَاءُ رِحَابِيَ رَمَى مُنْتَقِمٌ وَلِيَسْ لِي مِنْ مَرَامِي حِقدِهِمْ وَزَرُّ  
 وَلِيَسْ لِي مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى أَخْوَشَمٌ وَلِيَسْ لِي مِنْ طُفَّاهُ الْجَوْرُ مُتَصِّرٌ<sup>١</sup>  
 نلاحظ سهولة وبساطة الصياغة والمفردات في هذه القصيدة فإنها قد  
 تصل إلى الكلام المنشور لو لا نظامها وموسيقاها الشعرية. ومن البدئي فان  
 تكرار المفردات والمصطلحات ساعد على وضوح شعر القدس وبساطته  
 إذ يكاد ينحصر معجم الشعر في محور البحث في ألفاظ محدودة  
 ومفردات معدودة أقرب شيء للمعجم اليومي المستعمل عند عامة الناس  
 في هذه البلاد، وكما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال، بأن الكلام إذا  
 كان لفظه حلواً عذباً، سلساً سهلاً، ومعناه وسطاً دخل في جملة الجيد  
 وجرى مع الريح.<sup>٢</sup>

١. الفلسطينيون أغنى: ص ٨٣ و ٨٤

٢. النقد الأدبي الحديث: ص ٦٠٧

### ٣. روح العقيدة والالتزام والمقاومة

روح العقيدة والالتزام والمقاومة الذي حمله لنا شعر القدس في محاور البحث، هو الشعر الذي لم يحمل لنا البكاء والتواح واليأس وروح التراجع والتقهقر بل حمل للدنيا وللأجيال القادمة روح العقيدة والمقاومة وذلك لأنه لم ينكب وينطو على نفسه تحت ظاهرة الانتكاسات الذاتية بل جعلها جسراً يمر عليه ومنطلقاً نحو أهدافه السامية وتحرير أرضه، ليس هو كما يقول أدونيس .. بأن شعر المقاومة شعر احتجاج ليس إلا، حيث لا يرى في الأرض المحتلة شعر مقاومة حمل روح العقيدة والجهاد وكل ما هناك أنه شعر وصفي وثناء لحركة المقاومة.<sup>١</sup>

إذ أنا نرى منذ وعد بلفور (١٩١٧) وإعلان دولية إسرائيل ونتيجة تخاذل وتقاعس بعض الحكماء انطلق شعر المقاومة قوياً مجاهداً صامداً يذبح ويدافع عن الأرض في الكلمة كما يدافع المجاهد في رفضه وسلاحه فتغنى للمقاومة وحمل الحجارة وحمل روح التضحية والعقيدة.

ولقد كان من ثماره صمود مدينة القدس وانتفاضتها المتكررة، ولأنه ذكرنا الكثرة من الشعر الذي يدل على هذا المضمون في محله - الشورة والجهاد - الانتفاضة المقدسة - فهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها جليّة في شعر القدس.

ويمكن أن أتوه إلى أن شعراء المقاومة هم:

محمد درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، راشد حسين، محمود عبد الرحيم، هارون هاشم رشيد، علي عقلة عرسان، خالد أبو خالد، سليمان العيسى، عبد الله يوركي حلاق، فدوى طوقان، سلمى خضراء الجيوسي، نزار قباني، ونجيب جمال الدين، وعبد الكريم الكرمي «أبو سلمان» وكمال رشيد والخ..

<sup>١</sup> أدونيس، زمن الشعر: ص ١٧٢.

## بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل

- الخطابية وال المباشرة في بداية الاحتلال عام(١٩٤٨) واستمرت هذه الصفة الشعرية إلى أواخر السبعينيات إذ المأساة أخرجت الشعر من الغنائية والرومانسية إلى الخطابية وال المباشرة نتيجة الحدث الفادح والحاجة المعاشرة إلى التحرير والتضال، وعاد شعر القدس إلى هذه الصفة مرة أخرى نوعاً ما بعد الانتفاضة الأولى.
- شعر القدس الملحمي والمسرحى لم يأخذ مكانه المناسب وإلى الآن رغم بعض المحاولات التي قام بها البعض أمثال الشاعر محمد شمس الدين ومحمد درويش. ومن المناسب أن يقدم الشعراً ملحمة شعرية شاملة لمدينة القدس وفلسطين.
- الشعر القصصي والدرامي لعب دوراً كبيراً في قضية القدس مما جعل الحدث وما تمر به القدس حَيَاً لا يغيب عن الأذهان، وكان الدور الفاعل للشاعرة فدوى طوقان وسميح القاسم ومحمد درويش. وغالباً رُكِّزَ على مأساة اللاجئين والأطفال وما عانته وتعانى القدس من قساوة الاحتلال.
- اتسم شعر القدس بالرقابة والوضوح وبساطة القاموس اللغوي كما نشاهد شعر أكثر الشعراً أمثال نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، محمود درويش، ولعل السبب في ذلك أن القدس ليس قضية فنية يعرض الشعراً عضلاتهم فيها، بل هي قضية الإنسان المظلوم، قضية الشعب المنكوب، قضية الاحتلال والدمار والويلات و.. لذا أراد الشاعر أن يفهم الجميع حتى أبسط إنسان يدبُّ على وجه الأرض.
- اتسم شعر القدس غالباً بالالتزام وروح العقيدة الإسلامية والمسيحية وذلك لمكانة القدس السماوية لدى الأديان الثلاثة، نلمس هنا في شعر نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، علي عقلة عرسان، عبد الكريم الكرمي، محمود درويش و.. غيرهم.



## شعراء محور البحث

أبو خالد، خالد محمد صالح أحمد

ولد في قرية سيلة الظهر بفلسطين عام (١٩٣٧م)

أعماله الشعرية:

وسام على صدر الميليشيا، بيروت، دار الآداب، ١٩٧١.

قصائد منقوشة على سلة الأشرفية، جريدة فتح، ١٩٧١.

تغريبة خالد أبو خالد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.

أغنية حب عربية إلى هانوي، بغداد وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٣.

شهرًا سلاسلی (سلاحي أجيء)، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤.

الجندل في منتصف الليل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٤.

بيسان في الرماد، بيروت، دار العودة، ١٩٧٨.

أسميك بحراً، أسمى يدي الرمل، المغرب، المجلس القومي للثقافة، ١٩٩٠.

فرسان كنعان الفتى، ١٩٩٥.

أبو ريشة، عمر

ولد في منبع سوريا عام (١٩١٠ - ١٩٩٠م).

أعماله الشعرية:

ديوان عمر أبو ريشة، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.

الأعمال الشعرية الكاملة، مجلدان، بيروت، دار العودة، ٢٠٠٥.

أمرك يارب، نشرت في الأعمال الشعرية عام ٢٠٠٥.

من وحي المرأة.

فيصل.

الجواب بالإنجليزية، ١٩٥٩.

أبو سلمى، عبد الكريم

ولد في طولكرم عام (١٩٠٧ - ١٩٨٠ م)

آثاره الشعرية:

المشروع، ١٩٥١.

أغانيات بلادي.

من فلسطين ريشتي.

ديوان أبي سلمى، ١٩٧٨ و ١٩٨١.

أدونيس، علي محمد سعيد

ولد في قرية قصابين باللاذقية عام (١٩٣٠ م).

أعماله الشعرية:

دلالة، دمشق ١٩٥٠.

أوراق في الريح، بيروت، في الخمسينيات.

التحولات والهجرة، بيروت، ١٩٦٥ و ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، بيروت، ١٩٦٧ و ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، بيروت، ١٩٦٧ و ١٩٨٨.

وقت بيت الرماد والورد، بيروت، ١٩٧٠ و ١٩٨٠.

- مفرد بصيغة الجمع، بيروت، ١٩٧٧ و ١٩٨٨.
- القصائد الخمس، بيروت، ١٩٧٩.
- هذا هو اسمي، بيروت، ١٩٨٨.
- احتفاء بالأشياء الواضحة الغامضة، بيروت، ١٩٨٨.
- الأعمال الشعرية الكاملة، مجلدان، بيروت، ١٩٨٨.
- الكتاب (أمس - المكان - الآن) ثلاثة مجلدات، ١٩٩٥، ١٩٩٦، ١٩٩٧.
- أسر، هنا ولد في الطيبة بفلسطين عام (١٩٢٥) م
- أعماله الشعرية:
- أمة وجراح، بوينس آيرس، دار ميلتون ومؤسسة البلاد القدس، ١٩٨٠.
- ديوان باللغة الإسبانية، بوينس آيرس، ١٩٨٦.
- أمين زياد، توفيق ولد في الناصرة بفلسطين عام (١٩٢٩ - ١٩٩٤)
- آثاره الشعرية:
- أشد على أيديكم، بيروت، دار العودة، وحيفا، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٦.
- أغانيات الثورة والغضب، بيروت، ١٩٧٩.
- كلمات مقاتلة، عكا، دار الجيل، ١٩٧٠.
- الأعمال الشعرية الكاملة، مجلد واحد، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.
- تهليلة الموت والشهادة، بيروت، دار العودة، ١٩٧٢.
- سجناء الحرية وقصائد ممنوعة أخرى، الناصرة، مطبعة الناصرة، ١٩٧٣.
- ادفنا موتاكم وانهضوا، بيروت، دار العودة، ١٩٨٥.
- البحيري، حسن ولد في حifa بفلسطين عام (١٩١٨ أو ١٩٢١ - ١٩٩٨)

### أعماله الشعرية:

- حيفا في سواد العيون، دمشق، مطبع العلم، ١٩٧٣.
- للفلسطين أغني، دمشق مطبعة دار الحياة، ١٩٧٩.
- ظلال الجمال، دمشق، مطبعة الحياة، ١٩٨١.
- الأنهر الظماء، دمشق، مطبعة دار الحياة، ١٩٨٢.
- تبارك الرحمن، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٣.
- جنة الورد، دمشق، دار المعارف، ١٩٨٩.
- رجاء، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.
- الأصائل والأسحار، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.
- أفراح الربيع، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.
- رسالة في عيد، دمشق، ١٩٩٠.
- ابتسام الضحى، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.
- لعني بلادي، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩١.
- سأرجع، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٤.
- ألوان، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٥.
- دعابة بين الجد والهزل، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٦.
- حبيبي حيفا، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.
- البرادعي، خالد محبي الدين ولد في بيروت سوريا عام (١٩٤٣م).

### أعماله الشعرية:

- بداءً من حزيران، دمشق، ١٩٧٩.
- أناشيد للأنصار، الكويت، ١٩٧٩.
- صور على حائط المنفي، بيروت، ١٩٧٢.

- قصائد في النضال والحب، دمشق، ١٩٧٣.
- الرحيل نحو المستقبل، دمشق، ١٩٧٤.
- الغناء بين السفن الثانية، بغداد، ١٩٧٤.
- القبلة من شفة السيف، دمشق، ١٩٧٤.
- رسائل إلى سيدة غريبة، تونس، ١٩٧٥.
- حكايات إلى أسرة من يبرود، الكويت، ١٩٧٦.
- تداعيات المتنبي بين يدي سيف الدولة، دمشق، ١٩٧٦.
- الحب الفتى، دمشق، ١٩٨١.
- عبد الله والعالم، ١٩٩٣.
- يوم غابت فاطمة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.
- البستانى، وديع ولد في الديبة لبنان عام (١٩٨٨ - ١٩٥٤) آثاره الشعرية:
- السعادة والسلام، شعر ونشر، مغرب، ١٩١٠.
- معنى الحياة، شعر ونشر، مغرب، ١٩١٠.
- رباعيات الخيام، ١٩١٦.
- الفلسطينيات، مصر دار المعارف، ١٩٤٦ وبيروت، دار البشائر، ١٩٨١.
- مجاني الشعر، مخطوط.
- ذكر الفراق، مخطوط.
- إلى ذي عقر، مخطوط.
- كلمة ورد شعر ونشر مغرب، مخطوط.
- رباعيات أبي العلاء مخطوط، بالإنجليزية.

بسبيسو، معين توفيق

ولد في غزة بفلسطين عام (١٩٣٠ - ١٩٨٣).

أعماله الشعرية:

المعركة، ١٩٥٢.

المسافر، ١٩٥٢.

الأردن على الصليب، القاهرة، دار الفكر، ١٩٥٧

فلسطين في القلب، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٥.

الأشجار تموت واقفة، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.

كتراة فلسطين، بيروت، دار العودة، ١٩٦٦

مارد من الستابل، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٧.

قصائد مصرية (مشتركة) القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧

. القتلى والمقاتلون السكارى، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠

. جنتك لأدعوك باسمك، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧١

. دفاتر فلسطينية، بيروت، دار الفارابي، ١٩٧٨

. الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ١٩٨١

. القصيدة، بيروت، دار ابن رشد، ١٩٨٥

. الآن خذى جسدي كيساً من الرمل.

. حينما تمطر الأشجار شرعاً.

الجبل، بدوي (محمد سليمان الأحمد)

ولد في دفعة سورية عام (١٩٠٣ - ١٩٨١)

آثاره الشعرية:

ديوان بدوي الجبل، بيروت، دار العودة، ١٩٧٨

. الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة.

جمال الدين، نجيب مصطفى

ولد في مقنة لبنان عام (١٩٢٣م).

أعماله الشعرية:

الكتاب على أعمدة الشمس، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٦.

قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية، دمشق، المساحة العسكرية، ١٩٨٢.

العلاقات السود والذئب، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٤.

الجندى والجزال، تسجيل صوتي، مكتبة الأسد، ١٩٩٠.

على هامش العاشر من شباط، دمشق، ١٩٩٥.

المراثي، حمص، دار المعارف، ١٩٩٩.

سنابل الغضب

حرائق على الثلوج.

على ملحمة الإنسان الكبرى.

النهر.

الرياح.

الآلهة

النهر والمرايا.

الكتابة بالمثلثات والألف الكوفي.

حامد، محمود

ولد في صفد بفلسطين عام (١٩٤١م)

أعماله الشعرية:

موت على ضفاف المطر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

أغان على شفاه الصنوبر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٥.

افتتاحيات الدم الفلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

شهقة الأرجوان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.  
مسافة وردة تكفي، دمشق اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.  
بيسان، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

ال حاج عيسى، محى الدين

ولد في صفد فلسطين عام (١٩٦٠ - ١٩٧٤م)  
آثاره الشعرية:

من فلسطين وإليها، حلب، المطبعة السورية، ١٩٧٥.  
مصرع كليب، مسرحية شعرية، القاهرة، الباب الحليمي، ١٩٤٧.  
أسرة شهيد، مسرحية شعرية، دمشق، ١٩٦٦.  
الحامد، بدر الدين

ولد في حماه عام (١٨٩٩ - ١٩٦١م)  
آثاره الشعرية:

ديوان بدر الدين الحامد، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٥.  
مسرحية ميسلون، مسرحية شعرية، حماه، مطبعة أبي الفداء، ١٩٤٦.  
الحسني، عفيفة

ولدت في دمشق عام (١٩١٨م)  
أعمالها الشعرية:

وفاء، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٦.  
شهيد التضحيات، القاهرة، مطابع الناشر العربي، ١٩٧٠.  
ولاء، القاهرة، مطبعة العاصمة، ١٩٧١.  
عازة القيثار، دمشق، المطبعة القومية، ١٩٧٨.  
سراب البحر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩.  
مرايا ونساء، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٨٢.

وطني، دمشق، دار المسبار، ٢٠٠٠.

حلاق يوركى، عبد الله

ولد في حلب بسوريا عام (١٩١١ - ١٩٩٦)

أعماله الشعرية:

خيوط الغمام، حلب، مطبعة كامل السبع، ١٩٤٢.

حصاد الذكريات، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٦.

عصير الحرمان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٠.

أسديات، دمشق، ١٩٩٣.

الحمصي، عبد الكريم خلف

ولد في درعا بسوريا عام (١٩٥٠ م)

أعماله الشعرية:

الحان من اليرموك، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٩٢.

أسراب الشذى وهديل الغمام، دمشق، ١٩٩٦.

صور من صور، ١٩٩٧.

بطولة من نوع آخر.

حمصي، خضر

ولد في سوريا عام (١٩٣١)

أعماله الشعرية:

رسالة قلب، حماه، المطبعة الأهلية، ١٩٥٥.

دمشق يا حبيبتي، دمشق، ١٩٩٢.

قطار العمر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣.

العزف على قيثارة الحب والوطن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

حنين المسافر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

ولو عشت في الفردوس، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

الليل والطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

الحب الكبير.

عرس لعينك يا أمتي

الخطيب، يوسف محمود

ولد في دور الخليل بفلسطين عام (١٩٣١).

آثاره الشعرية:

العيون الظماء للنور، دمشق، المطبعة العمومية، ١٩٥٥.

عائدون، بيروت، دار الآداب، ١٩٥٩.

واحة الجحيم، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٤.

أكاد أؤمن، قصيدتان في كراس صغير، دمشق، ١٩٦٥.

الوطن المحتل، دمشق، دار الحياة، ١٩٨٨.

مجنون فلسطين، تسجيل صوتي، المكتبة الإلكترونية، دمشق، ١٩٨٠.

رأيت الله في غزة، دمشق، دار فلسطين، ١٩٦٨.

بالشام Ahli والهوى بغداد، دمشق، دار فلسطين، ١٩٨٨.

بلا عنوان، بيروت، الذاكرة، ٢٠٠٣.

الخوري، ناصر

ولد في السويداء بسوريا عام (١٩٣٩)

أعماله الشعرية:

ستابل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩.

هل يورق الحزن حباً؟ دمشق اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

لمجدك يحلو الوفاء، دمشق، ١٩٦٦.

خير بك، جابر

ولد في اللاذقية عام (١٩٣٣م)

أعماله الشعرية:

بيادر عطر، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٩٢.

الرياحين، قصائد للأطفال، دمشق، دار المجد، ١٩٩٢.

ضحي، دمشق، مطابع دار مجلة الثقافة، ١٩٩٦.

عيير القوافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

شوارد النغم، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

درويش، محمود سليم حسين

ولد في البردة بفلسطين، عام (١٩٤١م)

أعماله الشعرية:

عصافير بلا أجنهة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٠.

آخر الليل نهار، دمشق، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، ١٩٦٨.

يوميات جرح فلسطيني، بيروت، دار العودة، ١٩٦٩.

كتابة في ضوء بندقية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

حبيبي تهض من نومها، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

ديوان محمود درويش، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.

مطر ناعم في خريف بعيد، بيروت، ١٩٧١.

الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٣.

جندى يحلم بالزبانق البيضاء، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.

أحبك أو لا أحبك، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠.

محاولة رقم ٧، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

تلük صورتها وهذا انتحار العاصق، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

- مدح الظل العالي، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 أوراق الزيتون، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 عاشر من فلسطين، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 آخر الليل، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 العاصف تموت في الجليل، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 أعراس، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤ .  
 حصار لمداجع البحر، بيروت، دار العودة، ١٩٨٥ .  
 هي أغنية هي أغنية، بيروت، دار الكلمة، ١٩٨٦ .  
 ورد أقل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٥ .  
 الرسائل، بيروت، دار العودة، ١٩٩٠ .  
 أرى ما أريد، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٩٠ .  
 أحد عشر كوكباً، بيروت، دار العودة، ١٩٩٣ .  
 في رحاب الإسلام، دمشق، دار الرشيد، ١٩٩٤ .  
 لماذا تركت الحصان وحيداً، لندن، رياض الرئيس للكتب والنشر، ١٩٩٥ .  
 مأساة الترجس ملهاة الفضة، بيروت، دار العودة .  
 أحد الرعتر، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين .  
 على آخر المشهد الأندلسى، بيروت، دار الجديد، المغرب، دار توبقال .  
 الرفاعي، عبد المنعم  
 ولد في صور لبنان من أسرة فلسطينية عام (١٩١٧ - ١٩٨٥م)  
 آثاره الشعرية:  
 المسافر، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩ .  
 رشيد، كمال عبد الرحيم  
 ولد في الخيرية يafa بفلسطين عام (١٩٤١م)

**أعماله الشعرية:**

- شدو الغرباء، عمان، مطابع مؤسسة الجمعية العلمية للطباعة والنشر، ١٩٨٣.
- أناشيد للأطفال، جزءان، ١٩٨٩.
- القس في العيون، ١٩٩٠.
- عيون في الظلام، ١٩٩٠.
- نسائم الوطن، ١٩٩٧.
- رشيد، هارون هاشم

ولد في غزة فلسطين عام (١٩٢٧م)

**أعماله الشعرية:**

- مع الغرباء، القاهرة، رابطة الأدب الحديث، ١٩٥٤.
- عودة الغرباء، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٦.
- غزة في خط النار، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٧.
- أرض الثورات، ملحمة شعرية، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٨.
- حتى يعود شعبنا، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.
- سفينة الغضب، الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٦٨.
- رسالتان، القاهرة، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.
- رحلة العاصفة، القاهرة، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.
- فدايون، عمان، مكتبة عمان، ١٩٧٠.
- مزامير الأرض والدم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٠.
- السؤال، مسرحية شعرية، القاهرة، مؤسسة روزاليوسف، ١٩٧٣.
- الرجوع ودلال المغربي، منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠.
- مفكرة عاشق، قصائد للقدس، المطابع الموحدة، ١٩٨٠.
- ديوان هارون هاشم رشيد، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.

- يوميات الصمود والحزن، تونس، ١٩٨٣.
- ثورة الحجارة، تونس، دار العهد الجديد، ١٩٨٨.
- المرأة، غزة، ١٩٨٨.
- عصافير الشوك، مسرحية شعرية، القاهرة، ١٩٩٠.
- طيور الجنة، قصائد للشهداء، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨.
- وردة على جبين القدس، قصائد للسجناء والمبعدين، القاهرة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
- قصائد فلسطينية، عمان، دار مجذلاوي، ٢٠٠٣.
- المبحرون إلى يافا، عمان، دار مجذلاوي، ٢٠٠٤.
- الزركلي، خير الدين  
ولد في بيروت عام (١٨٩٣ - ١٩٧٦م) ونشأ في دمشق  
آثاره الشعرية:  
١. ما رأيت ما سمعت، القاهرة، المكتبة العربية، ١٩٢٣.  
٢. ديوان خير الدين الزركلي، القاهرة المطبعة العربية، ١٩٢٥.  
صایغ، توفيق عبد الله  
ولد في خربا بسوريا عام (١٩٢٣ - ١٩٧١م)  
آثاره الشعرية:  
ثلاثون قصيدة، ١٩٥٤.  
القصيدة لك، ١٩٦٠.  
معلقة توفيق صایغ، ١٩٦٣.  
الأعمال الكاملة، لندن، ١٩٩٠.  
طوقان، فدوی عبد الفتاح  
ولدت في نابلس بفلسطين عام (١٩١٧م)  
آثارها الشعرية:

- أخي إبراهيم، يافا، فلسطين المحتلة، ١٩٤٦.
- وحدي مع الأيام، بيروت، دار الداب، ١٩٦٢ ودار العودة، ١٩٧٤.
- وجدتها، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٢.
- كابوس الليل والنهار، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
- الفدائي والأرض، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
- قصائد سياسية، عكا، ١٩٨٠.
- على قمة الدنيا وحيداً، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.
- أعطني حباً، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.
- الليل والفرسان، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.
- أمم البيت المغلق، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.
- ديوان فدوى طوقان، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.
- تموز والشيء الآخر، عمان، دار الشروق، ١٩٨٧.
- الأعمال الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٢.
- اللحن الأخير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٠.
- العبوسي، برهان الدين ولد في مدينة جنين بفلسطين عام (١٩١١ - ١٩٧٠ م) آثاره الشعرية:
- جبل النار، بغداد، مطبعة الشركة الإسلامية، ١٩٥٦.
- النيازك، بغداد، ١٩٦٧.
- إلى متى، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٢.
- جنود السماء، الكويت، ١٩٨٥.
- وطن الشهيد، مسرحية شعرية، القدس، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٧.
- الفداء، مسرحية شعرية، بغداد، مطبعة البصري، ١٩٦٨.

العدناني، محمد خورشيد

ولد في جنين بفلسطين عام (١٩٠٣ - ١٩٨١ م)

أثاره الشعرية:

اللهيب، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٤ م.

الأمومة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٧ م.

فجرعروبة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٠.

اللوثوب، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٥.

الروض، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٦.

فلسطين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٣.

سلمى.

قلب.

وحي الفؤاد.

العيير.

زهر.

الغروب.

جميع دواوينه الشعرية في ثلاثة مجلدات باسم العدنانيات.

عرسان، علي عقلة

ولد في صيدا درعاً بسوريا عام (١٩٤٠ م)

أعماله الشعرية:

الفلسطينيات، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧١.

الغرباء، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٤.

شاطئ الغربة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٦.

تراث الغربة، دمشق، دار الحصاد، ١٩٩٣.

- الأعمال الشعرية الكاملة، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٩ و٢٠٠٢.
- العيسي، سليمان أحمد ولد في البعيرية - أنطاكية - سوريا عام (١٩٢١م) أعماله الشعرية:
- مع الفجر، ١٩٥٢.
  - أعاصير في السلسل، ١٩٥٤.
  - شاعر بين الجدران، ١٩٥٤.
  - ثائر من غفار، ١٩٥٥.
  - رمال عطشى، ١٩٥٧.
  - أغانيات صغيرة، ١٩٦٧.
  - كلمات مقاتلة، ١٩٦٨.
  - أغنية في جريدة السنديان، ١٩٧١.
  - أغان بريشة البرق، ١٩٧٤.
  - الأعمال الكاملة، ١٩٨٠.
  - شعر سليمان العيسي، بيروت، دار الشورى، ١٩٨٠.
  - الكتابة أرق، ١٩٨٢.
  - الديوان الضاحك، ١٩٨٧.
  - وسافرت في الغيبة، ١٩٨٨.
  - ملحمة في نضال أبي ذر.
  - قصائد عربية.
  - أمواج بلا شاطئ.
  - صلوة لأرض الثورة.
  - حبات من الرمال الذهبية.

رسائل مؤرقة.

الفراشة وقصائد أخرى.

الدم والنجوم الخضر.

أزهار الصبا.

**علوش، جميل إبراهيم**

ولد في بير زيت بفلسطين عام (١٩٣٧) م

أعماله الشعرية:

عرس الصحراء، بيروت، مطبعة عين الرمانة، ١٩٦٦.

خوازيق الحزن، العراق، وزارة الثقافة، ١٩٧٩.

أشواق، عمان، رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٨٠.

جراح ودعاء، عمان، مطبعة الأمارة، ١٩٨٥.

مواكب الربيع، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٨٩.

صوت الشعر، عمان، دار الينابيع، ١٩٩١.

**القاسم، سمييع محمد**

ولد في بلدة الزرقا بالأردن، من أسرة فلسطينية تعيش بالجليل عام (١٩٣٩) م

أعماله الشعرية:

مواكب الشمس، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٨.

قرآن الموت والياسمين، بيروت، دار العودة، ١٩٦٠.

دخان البراكين، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٦٨ وبيروت، دار العودة، ١٩٧٣.

في انتظار طائر الرعد، عكا، دار الجليل، ١٩٦٩.

سقوط الأقنعة، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٩.

رحلة السراديب الموحشة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٩.

طلب انتساب للحزب، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

- دمي على كفي، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
- قرقاس مسرحية شعرية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.
- اسكندرؤن في رحلة الداخل والخارج، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.
- الموت الكبير، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
- مراثي سميح القاسم، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
- ديوان سميح القاسم، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
- إرم سميح القاسم - في سبعة أناشيد، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
- أغاني الحروب، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
- إلهي إلهي لماذا قلتني، حيفا، ١٩٧٤.
- وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، منشورات فلسطين الثورة، ١٩٧٧.
- ديوان الحماسة، المجلد الأول عكا، ١٩٧٨، المجلد الثاني، عكا، ١٩٧٩.
- ثالث أكسيد الكربون، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩.
- أحبك كما يشتهي الموت، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨٠.
- الجانب المعتم من التفاحة، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨١.
- ديوان الحماسة الجزء الثالث، عكا، ١٩٨١.
- قرابين كولاج، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٨٤.
- جهات الروح، بيروت، دار صامد للدراسات والنشر، ١٩٨٤.
- في سرية الصحراء، عمان، دار الجليل، ١٩٨٦.
- لا أستاذن أحد، لندن، رياض الرئيس للكتب والنشر، ١٩٨٨.
- آخذة الأميرة يبوس، ١٩٩٠.
- القصائد، كفر قرع، دار الهدى، ١٩٩١.
- الأعمال الكاملة، القاهرة، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، (٦ مجلدات).
- الكتب السبعة، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٤.

قبانى، نزار توفيق

ولد في دمشق عام (١٩٢٣ - ١٩٩٨ م)

أثاره الشعرية:

قالت لي السمراء، دمشق، ١٩٤٤.

طفولة نهد، دمشق، ١٩٤٨.

سامبا، دمشق، ١٩٤٩.

أنت لي، دمشق، ١٩٥٠.

قصائد، دمشق، ١٩٥٦.

حبيبتي، بيروت، ١٩٦١.

الرسم بالكلمات، بيروت، ١٩٦٨.

يوميات امرأة لا مبالية، بيروت، ١٩٦٨.

قصائد منقوشة، بيروت، ١٩٦٨.

لا، بيروت، ١٩٧١.

كتاب الحب، بيروت، ١٩٧٠.

مائة رسالة حب، بيروت، ١٩٧٢.

أشعار خارجة على القانون، بيروت، ١٩٧٢.

كل عام وأنت بخير حبيبتي، بيروت، ١٩٧٨.

الأعمال السياسية.

الأعمال الكاملة، ٨ مجلدات.

فنصل، الياس

ولد في بيروت بسوريا.

أعماله الشعرية:

السهام، الأرجنتين، ١٩٣٥.

ألحان الغروب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٨.

فنصل، زكي

ولد في بيروت بدمشق عام (١٩١٦ - ١٩٩٤م)

أثاره الشعرية:

شظايا، مجلة المناهل، ١٩٣٩.

سعاد، ١٩٥٣.

سداسية الوطن المحتل، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٧٠م.

نور ونار، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٧٠، وكذلك بوينس آيرس، ١٩٧٢

عطش وجوع، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٤.

ألوان وألحان، بوينس آيرس، دار ميلون، ١٩٧٨.

في متأهلات الطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

ديوان زكي فنصل، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٦.

أشواك، الرياض، دار الرفاعي، ١٩٩٣.

الأعمال الكاملة، جدة، ١٩٩٥.

أمسيات شعرية مسجل صوتي.

محرز، عبد اللطيف محمد

ولد في بيت ناعمة بسوريا عام (١٩٣٢م)

أعماله الشعرية:

العصور الأخضر، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٩١.

أناشيد البحر، دمشق، ١٩٩٢.

أناشيد الحق في رحاب علي بن أبي طالب، ١٩٩٤.

أناشيد الحياة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

شجرات الدماء، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

حقائق وأوهام، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

محمود، عبد الرحيم

ولد في طولكرم بفلسطين عام (١٩١٦ - ١٩٤٨ م).

أثاره الشعرية:

ديوان عبد الرحيم محمود، بيروت، دار العودة، ١٩٧٤.

الأعمال الكاملة، عمان، دار الكرمل، ١٩٩٣.

محمود، راشد حسين

ولد في قرية مصمص بفلسطين عام (١٩٣٦ - ١٩٧٧ م)

أثاره الشعرية:

مع الفخر، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٧.

صواريخ، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٨.

أنا الأرض لا تحرمني المطر، بيروت، اتحاد الكتاب والصحفيين

الفلسطينيين، ١٩٧٦.

قصائد فلسطينية، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٨٠.

مفلح، محمود

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٤٣).

أعماله الشعرية:

مذكريات شهيد فلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٦.

المرايا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.

الراية، الأردن، دار عمال، ١٩٨٣.

حكاية الشال الفلسطيني، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٤.

شموخاً أيتها المآذن، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٧.

فضاء الكلمات، الرباط، دار الأمان، ١٩٨٧.

إنها الصحوة.. إنها الصحوة، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩١.

نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩١.  
غرد يا شبل الإسلام، عمان، دار البشير، ١٩٩١.

المناصرة، عز الدين

ولد في بلدة بنى تميم الخليل بفلسطين عام (١٩٤٦م).  
أعماله الشعرية:

ديوان عز الدين المناصرة، الكويت، منشورات كاظمة، ١٩٦٨.  
ليت للبراق سيفاً، ١٩٧٠.

قمر جرش كان حزيناً، ١٩٧٣.  
 بالأخضر كفناه، ١٩٧٦.

لن يفهمني أحد غير الزيتون، ١٩٧٦.

يا عنب الخليل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣.  
الخروج من البحر الميت، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.

حصار قرطاج، تونس، دار محمد علي المحامي، ١٩٨٣.  
جفرا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣.

الكتعانيات، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨٣.  
كتعانياً ذا، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨٣.

حزينة، ١٩٩٠.

الأعمال الكاملة الشعرية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٤.  
الموسي، خليل جريس

ولد في قرية تينة بدرعا سوريا عام (١٩٤٢م)  
أعماله الشعرية:

أشتاب، دمشق، ١٩٩٧.

مرايا الروح، دمشق، ٢٠٠١.

ثلاثية الدم والنهر في أسفار المتبني، ٢٠٠٤.

العودة إلى أوروك، ٢٠٠٦.

أنتي القصيدة، ٢٠٠٦

هارون، هند

ولدت في اللاذقية عام (١٩٢٨ - ١٩٩٦م)

آثارها الشعرية:

شمس الحب، دمشق، ١٩٨٣.

سارة المعبد، دمشق، ١٩٧٨.

ديوان عمار، دمشق، ١٩٧٨.

بين المرسى والشراع، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٤.

عمار في ضمير الأمومة، دمشق، ١٩٨٨.

الهواري، صالح محمد

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٣٨)

أعماله الشعرية:

الدم يورق زيتونة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٢.

المطر يبدأ العزف، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٧.

عصافير بلادي للأطفال، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨١.

الموت على صدر البرتقال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

بطأً يمر الدخان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

هنادي تغنى للأطفال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧.

أم أحمد لا تبع مواويلها، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

أغاني أيوب الكعناني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

مرايا الياسمين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.

ومن فرح بكينا، دمشق، ٢٠٠٠

ما قال الغيم للشعر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

## **خاتمة البحث**

حاولت أن أعالج في هذه الرحلة الطويلة والشاقة - نسبياً - من هذا البحث الأسئلة التالية:

- هل كان نصيب القدس ما بين عامي «١٩٤٨ - ٢٠٠٠م» في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين وما هو مقداره وما هي أبعاده؟
- ما هي اتجاهات شعر القدس وما هي أبرز دواعيه الشعرية؟
- هل استطاع شعر القدس أن يحرك المدينة و يجعلها قضية الإنسان العربي والإنسان المسلم الأولى؟
- ما هو تأثير القدس كمدينة أو قضية على الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين.
- وما هو موقف الشعرا من القدس ومن هم أهم رواده؟
- هل هناك نتاج أدبي وفني لشعر القدس؟
- ما هي أبرز ملامح شعر القدس شكلاً ومضموناً؟
- إلى أي حد يعكس الشعر علاقة الشاعر والمتلقي بتحرير القدس؟

- وهل قدم الشاعر للقدس الحلول المناسبة أم انطوى على الذات ولاد بالبكاء والوعيل؟

ومن هذا المنطلق حاولنا الإجابة على هذه الأسئلة مستندين بالنصوص الشعرية وبغض النظر عن انتتماءات أصحابها الفكرية والإيديولوجية، أي نظرنا إلى شعر القدس بما هو شعر وكما رسمه الشاعر آخذًا مادته من أحاسيسه وعواطفه ومشاعره تجاه القدس.

مما لا شك فيه أن نكبة فلسطين عام «١٩٤٨» غيرت حياة العالم الإسلامي بشكل عام والحياة الفلسطينية والعربية بشكل خاص بما فيها الحياة الأدبية والشعرية.

وبما أن الشعراً قلب الأمة النابض، وما للقدس من مكانة في قلوب الناس، فمنذ الساعات الأولى للاحتلال الصهيوني، لا بل قبل ذلك حمل الشاعر سلاح الكلمة للذب عن الأرض والذات والإنسان، ومن خلال تبعي لشعر القدس (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) وجدت أن الشعراً كانت لهم ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

١. الدواعي والاتجاهات العربية.

٢. الدواعي والاتجاهات الإسلامية.

٣. الدواعي والاتجاهات السياسية.

ثم لاحظنا كيف حاول شعراً القدس ومن خلال هذه الاتجاهات معالجة قضية الاحتلال كي تبقى القدس لأهلها ولجميع العرب والمسلمين وكيف واكبوا حدث الفاجعة.

من هنا فقد تضمن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التي تناولها شعراً القدس والتي عكست المأساة ووضعت الحلول لها وما يجب أن يمارس من أجل تحريرها، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر شعر القدس على

تسجيل الواقع، وذلك لأن الأدب سلاح حاد يمكن استخدامه لهزيمة العدو وفي حد ذاته دواء شاف لعوامل الضعف وثغرات الهزائم، لذا دعا الشعراء للنضال حائين الأمة على المقاومة والجهاد ومقارعة الاحتلال ومعرفة خيوط المؤامرات، ففي الاتجاه الأول ركز الشعراء علىعروبة والقضايا العربية والقومية كعامل أساس لتوحيد الجبهة ضد العدو وإنقاذ فلسطين والقدس. وقد استمر هذا الاتجاه إلى يومنا هذا شدة وضعفاً، فنادي رواده بإرجاع العرب إلى ماضיהם التليد وما كان لهم من مواقف مشرفة وشجاعة قد شهد لها التاريخ فأيقظوا الضمائر الخامدة واستنصروها الإنقاذ القدس، فكان لبعضهم قصائد تحمل في طياتها النقد اللاذع أمثال نزار قباني والباس قنصل وزكي قنصل وهارون هاشم رشيد وحسن البحيري وغيرهم، والملاحظ أن الخطاب والتوجه الشعري لهذا الاتجاه شمل جميع الأطياف، والجوانب تقريرياً ولكن حظ المرأة والشباب كان ضئيلاً ويمكن القول بأنه عكس الاتجاه الإسلامي حيث هناك توجه الشعراء للدور الفعال الذي يمكن أن يلعبه الشباب والمرأة خاصة لإرجاع القدس وفلسطين. حظيت المدينة - القدس - في هذه الاتجاهات العربية والقومية باهتمام أكثر بعد عام (١٩٦٧) فأصبحت محوراً أساسياً في شعر القدس، واستمر هذا التوجه إلى يومنا هذا حيث لا تكاد تجد ديواناً خالياً من قصائد تخص القدس بالذات، ولكنه بعد اندلاع الانتفاضة الأولى (١٩٨٧) انحدر بشكل ملحوظ.

أما من الناحية الكمية فكان نصيب القدس في هذا الاتجاه كما رتب في بداية الفصل الأول، وأما من الناحية الكيفية فالقول يختلف إذ كان الشعر في بداية الاحتلال يختلف بما هو عليه الآن إذ سلك النضج وال موضوعية والعقلانية أكثر، وهذا واضح.

وعلى أية حال استطاع شاعر هذا الاتجاه أن يجعل المدينة صامدة

مقاومة وغير جامدة، والملاحظ أن القدس لفت نظر الشعراء أكثر بعد حادثة إحراق المسجد الأقصى (١٩٦٩/٩/٢١) فأصبحت القدس قضية سلبت الكري عن عيون الشاعر الملزتم فلهذا صبَّ جام غضبه شعرًا إذ لعله لا يستطيع فعل أكثر من هذا.

وأماماً ما توصل إليه البحث في الفصل الثاني - الدواعي والاتجاهات الإسلامية - لقد كانت محاوره الخمسة هي أهم ما دار حول شعر القدس في الفترة (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) وقد تبيَّن لنا:

أولاً: إن المحاور حسب كمية القصائد الواردة فيها هي كالترتيب التالي: الشهادة والشهد، الصمود والمقاومة، اليقظة الإسلامية، الثورة والجهاد، الوحدة الإسلامية ففي معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقة القوية بين شاعر القدس والواقع الذي صوره في تلك المحاور التي كانت نابعة من أعماق النفس الإنسانية والأحساس الوجدانية في كلمات تشعر بالمشاعر الحماسية المتأججة والمتفجرة.

فقد انطلقا بدورهم في تعين الأمة العربية والأمة الإسلامية للوقوف في وجه العدوان ومقاومة الاحتلال حتى الشهادة في سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجة واضحة حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها، إلا أن قاطبة أولئك الشعراء غفلوا عن محور القدس والوحدة الإسلامية مع ماله من الأهمية الخطيرة إذ أن القدس تتعلق بال المسلمين جميعاً.

ثانياً: قد تفاوتت القصائد في هذه المحاور فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً وهي تعرض لنا صورة القدس ولا يبدو المكان في هذه القصائد ظل ساكناً وإنما كانت الحركة فيه سريعة تبت الحياة فيه، إذ استطاعت أن تجعل منه قضية للإنسان الفلسطيني بل للإنسان العربي والمسلم.

ثالثاً: كانت الصفة الغالبة في قصائد القدس في هذه المحاور هي الخطابية المباشرة.

رابعاً: إن شعر القدس في هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنما كان فعلاً مقاوماً محارضاً على الثورة والجهاد، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (١٩٤٨) حتى عام (٢٠٠٠) وكانوا حريصين على متابعة يوميات القدس، يرصدون أحدها بدقة كالشاعر نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، سليمان العيسى، علي عقله عرسان .. فحملوا هموم أمتهم وإسلامهم من أجل القدس الصامدة.

من الواضح أن هذه المحاور هي قيم يشتراك فيها المسلم وغيره فكان المناطق في اختيار القصيدة هو ما قبل وليس القائل فحسب.

ويمكن أن نشير إلى بعض نتائج الفصل الثالث أي الدواعي والاتجاهات السياسية - القدس الضمير السياسي - القدس الوحدة العربية الإسلامية - قضية السلام - الانتفاضة المقدسة - فكان أبرزها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسي في الفترة الزمنية ما بين عامي (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) مستقياً مادته الشعرية، من أبرز الأحداث السياسية والوطنية والعسكرية، ومن المستجدات أنها تشبه قصائد الفصل الأول لا سيما المحور الأول والثاني والثالث منه إذ أنها نجحت في تحريك الحدث في القصيدة وتحريك المكان، فبدت القدس كرمز بارز للوطن المحتل ومقاومة الاحتلال.

ثانياً: صورة الالتزام تبرز واضحة المعالم في كل هذه المحاور لا سيما المحور الأخير - الانتفاضة المقدسة. إذ ظل قلب الشاعر والمتنقي معلقاً بالقدس وفلسطين فهو يرى في الانتفاضة سبيلاً من سبل التحرير والوصول إلى الحرية الضائعة.

ثالثاً: بادر الشعراء بالتحريض على الوحدة العربية، مؤكدين على تحrir

القدس من خلالها، فاذفين أعباء اللوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان السبب الرئيسي في ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جل شعراً القدس - في محور البحث - دعوة السلام مؤكدين أن تحرير القدس والأرض المحتلة لا يكون إلا عبر نيران المدافع وسوا عد الرجال حيث أصبح - حسب معتقدهم - السلام أوهاماً ليس إلا، وذلك نتيجة إصرار العدو على الاحتلال، وتعنته في العملية السلمية لأكثر من مرة. والمفهوم من النصوص الشعرية أنهم ليسوا ضد السلام العادل الذي يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأتي الله ورسوله والمؤمنون .. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمساً وأكثراً قصائداً في هذا الفصل -

الداعي والاتجاهات السياسية - هو نزار قباني، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ لقضية القدس حتى أتُهم حيناً ومُجدّد حيناً آخر، ثم يأتي بعده في المرتبة الثانية هارون هاشم رشيد، وكان كلّ منهما قد قدّم حلولاً لا يأس بها.

سادساً: منذ أن بدأ محمود درويش ونزار قباني مسيرتهما في الشعر السياسي فتح الباب أمام الشعر السياسي فكان بداية لا نهاية لها.

سابعاً: تأثر الشعر في هذا الاتجاه وبشكل غير مباشر بالثورة الإسلامية في إيران وأفكار الإمام الخميني، والجنوب اللبناني حيث أعطى القدس حيوية وصموداً وتحرّكاً أكثر من السابق.

ثامناً: ترتيب قصائد القدس في هذا الفصل من ناحية الكم هي كالتالي:

محور القدس والضمير السياسي (أربع عشرة قصيدة)

محور القدس والسلام (خمس عشرة قصيدة).

محور القدس والانتفاضة المقدسة (ثمان قصائد)

محور القدس والوحدة العربية (ست قصائد)

وأما في الباب الثاني من هذه الدراسة، فقد حاول البحث أن يسرز  
النتائج التالية:

أولاً: بث الشعرا العجوية في القدس واستمرار الحياة فيها عبر استخدام  
الصور القرآنية والدينية، وقدّموا الفكرة من خلالها بشكل مباشر أحياناً  
وبشكل إيحائي أو رمزي حيناً آخر، كما شاهدنا في قصيدة «القدس» لزار  
قابني وأكثر الشعراء الآخرين.

ثانياً: توظيف الشخصيات التراثية والتاريخية وعلى رأسها شخصية النبي  
محمد ﷺ والسيد المسيح عليهما السلام والإمام الحسين عليهما السلام والشهداء وذلك لربط  
القدس بالتاريخ والتراجم لإعطائه صورة مهمة لا يمكن تجاهلها والتهاون بها.  
ثالثاً: واكب شعر القدس التطور الفني على المستوى العربي والعالمي، لذا  
استخدم أساليب الدراما والمسرح والفنون السينمائية أمثل المونتاج والقصيدة  
الثرية والقصصية وذلك بشكل واسع.

أيضاً انتشرت ظاهرة شعر التفعيلة في شعر القدس وقد أخذت مأخذها  
إلى يومنا هذا.

رابعاً: مما يلفت النظر استخدام الأمور العاطفية والأحداث والحياة اليومية  
حيث أصبحت هذه ظاهرة صارخة في صياغة صورة القدس الشعرية، ولعلها  
الظاهرة الأكبر أثراً على المكان والمتنقي أيضاً، إذ جعلت القدس لا تغيب  
عن الأذهان.

خامساً: استخدام القاموس اللغوي البسيط عند أكثر الشعراء الذين أنشدوا  
القدس شرعاً، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى شمولية هذا النوع من الشعر ودائرة  
اتساعه، ولكن الملاحظ إن بعض الشعراء سلك مسلكاً عكس هذا أمثال الشاعر  
خالد أبو خالد ونجيب مصطفى جمال الدين ولأسباب لا أعرفها.

سادساً: بعض الشعراء مرّ على قضية القدس مرور الكرام أمثال الشاعر

### ٣٣٤ القدس في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان وفلسطين

أدونيس، محمد الماغوط، شوقي بغدادي، عصام ترشحاني، عبد الكريم الناعم، فايز خضور، فؤاد كحل، سعيد عقل، صالح هواري، أنور العطار، شوقي أبي شقراء.

سابعاً: لاذ بعض الشعراً وانطوى على نفسه وغلب اليأس عليه إلى حد ما، ولكن جُلَّ الشعراً عالج قضية القدس بحكمة وحنكة شعرية وشعورية، ولذا نجد الحلول المناسبة في شعره أمثال نزار قباني، هارون هاشم رشيد، نجيب مصطفى جمال الدين، سليمان العيسى، علي عقلة عرسان زكي قنصل.. ثامناً: اتضح لي أن التركيب الكمي - شعراً وشاعراً - في محور البحث هو في الدرجة الأولى فلسطين والأمر واضح والدرجة الثانية سورية وفي الدرجة الثالثة لبنان.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً ولو يسيراً لإحياء القدس والقضية الفلسطينية، ولو بقدر رأس أملة.

## شهادة

نشرت مجلة الموقف العربي في عددها ٤٦٤ السنة التاسعة والثلاثون كانون الأول ٢٠٠٩ مقالاً للدكتور غسان غنيم - من أبرز أساتذة جامعة دمشق - أشاد الكاتب بمكانة القدس وفلسطين لدى الإيرانيين وببعض ما كتبوا عنها من بحوث وكتب ومنها هذا الكتاب قائلاً:

مكانة فلسطين - والقدس لدى الإيرانيين قديماً وحديثاً

يعود تاريخ مدينة القدس إلى حقبة بعيدة في التاريخ، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أنها قد بُنيت على يد ملك اليوسوسيين «ملكيا صادق» واليوسوسيون قبلة عربية هاجرت من الجزيرة العربية في بداية الألف الثالث (ق.م) واستوطنت في هذه البقعة من الأرض. وقد سميت المدينة بداية «يبوس» نسبة إليهم، وهو من أقدم أسماء القدس التي اتخذت أسماء كثيرة فيما بعد، حتى استقرت على اسم «القدس» الذي عُرفت وما زالت تعرف به. وهي مدينة تتمتع بمكانة قدسية دينية، تزيد من حساسية وجودها، والسيطرة عليها. مررت القدس تاريخياً بعهود كثيرة أولها العصر الكنعاني.. وهو عصر التأسيس وبقيت السيادة فيه للكنعانيين على القدس حتى حوالي (١٠٠٠) ق.م ثم زحف

الملك البابلي «نبوخذنصر» حوالي عام (٥٩٧ق.م). فاحتلها وأخذ ملكها وقاده جيشه أسرى إلى بابل في العراق بعد ما غير نظام الحكم في القدس. وعاد إلى القدس إثر تمرد بعض اليهود، فأوقع هزيمة كبيرة بهم وسيّر أكثر السكان إلى بابل «وهذا ما عُرف تاريخياً بالسيّر البابلي...».

وبعد انتصار (كوروش) «الهخامنشي» ملك الفرس آنذاك على البابليين عام (٥٣٩ق.م). أخضع القدس، وأصبحت له السلطة عليها وألحقها بدولته طيلة قرنين، وقد استمر العصر الفارسي في القدس حتى نهاية حكم «داريوش» الثالث وبداية الاحتلال الاسكندري عام (٣٣٢ق.م).

ثم توالى عليها العصور حتى الفتح الإسلامي، حيث سلم بطريقه بطريرك القدس «سفرونيوس» مفاتيح القدس لل الخليفة الثاني «عمر» فبادر الخليفة إلى استلام المدينة ومفاتيحةها بنفسه عام (٦٣٦-٥١٦م).

وما يهمنا بعد هذه المقدمة التاريخية، هو اهتمام الكتاب والأدباء القياده والمفكرين الإيرانيين بهذه المدينة. وقد تزايد اهتمام الإيرانيين بهذه المدينة، بعد الإسلام، لما حظيت به من مكانة مقدسة فيها بعث الأنبياء... وصلوا فوق أرضها. وفيها ينصب الصراط على جهنم إلى الجنة بحسب «التكفير الإسلامي» وثمة أحاديث عند الرسول (أنه قال «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة، فلينظر إلى بيت المقدس»)(١).

هذه المكانة الدينية جذبت الكثير من الإيرانيين في العصور الإسلامية المتتابعة لزيارة القدس «بيت المقدس» والتحدث عن مزاياها وفضائلها ومنهم «أبو حامد الغزالى» (٤٥٠ - ٥٥٠هـ)، والشاعر «الخاقاني» (٥١٠ - ٥٩٢هـ) و«فريد الدين العطار» (٥٣٧ - ٥٨٩هـ) و«جلال الدين الرومي» (٦٠٤ - ٦٧٢هـ) وسعدي «الشيرازي» (٦٩١ - ٦٠٦هـ).

فالغزالى مثلاً نزل في دمشق مدة ستين ثم غادرها إلى بيت المقدس

وأقام فيها مدة من الزمن، وفي القدس شرع في تأليف كتابه: «إحياء علوم الدين» الذي أنهى في دمشق. ثم نُقل إلى اللغة الفارسية مختصرًا بعنوان «كيمساوي سعادت» أي «كيمياء السعادة..». ويقال إنه ألف في القدس أيضًا «الرسالة القدسية في قواعد العقائد»(\*).

أما الشاعر الخاقاني: فقد ذكر «بيت المقدس والمسجد الأقصى» كثيراً في ديوانه وقد كتب الرحالة «ناصر خسرو (٤٨١ - ٣٩٤) عند القدس ووصفها في كتابه «سفرنامة» وقد استفاض خسرو في ذكر بيت المقدس التي مربها قادماً من لبنان في طريق سفره للحج، لأداء الفريضة، ثم عاد إليها مرة أخرى واصفاً مشاهداته ومدوتاً مذكرياته فيها يوماً يوم، فقد جاء إلى «عكا» بداية مع أخيه الأصغر وغلامه الهندي وهناك زار مشاهد الأنبياء - ثم على قرى «البروة» و«دامون» و«أغبلين» حيث قبر هود ثم إلى حطين، حيث قبر شعيب وقبر ابنته زوج موسى - ثم إلى إربد ومنها إلى كفر كنة - ثم عاد إلى طبرية، ثم إلى حيفا، ومنها إلى قرية «كنيسة» ثم قيسارية - ثم إلى الرملة ومنها إلى اللطرون. وقرية العنبع حتى وصل إلى بيت المقدس. ويدرك «ناصر خسرو» بشيء من العجب أن أهل الشام وتلك التواحي يطلقون على بيت المقدس «البيت المقدّس».. والابرانيون إلى يومنا هذا يطلقون على القدس اسم «بيت المقدس»(٢).

كتب خسرو أن طبيعة القدس، ومناخها وأبنيتها، آثارها التاريخية والدينية ومظاهر حياة أهلها، وعاداتهم وتقاليدهم، ووصف المساجد والأماكن الدينية. فقد وصف المسجد الأقصى، وقبة الصخرة وصفاً دقيقاً، يدلُّ على حبه وتدعه بهما، حيث دعم وصفه بالأرقام الدقيقة، مع ذكر أدق الأشياء وأصغرها، يقول في وصف مدينة القدس: «[مدينة] مشيدة على قمة الجبل، وليس بها غير ماء الأمطار، وليس ذات عيون والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص، وعليها أبواب حديدية. وليس بقربها أشجار قط، فإنها

على رأس صخري...». والزراعة فيها من أشجار الزيتون والتين وغيرها، تنبت كلها بغير ماء، والخيرات بها كثيرة ورخيصة، وفيها أرباب عائلات يملكون الواحد منهم خمسين ألف (من) «وهو وحدة وزن تعادل ٦٠٠ مثقال» من زيت الزيتون يحفظونها في الأبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم»<sup>(٣)</sup>. ذكر عدد سكان المدينة القدس عام ٤٣٨هـ. فقال إنه كان «عشرون ألفاً» وربما قصد (بالرجل) «شخصاً».

سجل خسرو بعض المظاهر الدينية، وبعض الاعتقادات لأتباع الديانات المساوية فيها. من ذلك أن أهل الشام من المسلمين كانوا يحجّون إليها في موسم الحج - من لا يستطيعون الحج إلى الديار المقدسة، فيتوجهون إلى الموقف، ويضيّحونه كما هي العادة.

أما غير المسلمين فذكر أن كثيرين من النصارى واليهود يأتون لزيارة المدينة المقدسة. وسجل اعتقاداً كان سائداً في حينه يتحدث عنه «وادي جهنم» وصفه يقول: هو «واد عظيم الانفخاض، كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين ورأيت فيه قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر أعجب منها. حتى إن الناظر ليسأل نفسه: كيف رُفعت في مكانها؟

ويقول العامة: إنها بيت فرعون»<sup>(٤)</sup> ويقول العوام إن من يذهب إلى ناحيته، يسمع صياح أهل جهنم فإن الصدى يسمع هناك، وقد ذهبت فلم أسمع شيئاً»<sup>(٥)</sup>. ثم وصف الصخرة بقوله: «إنها حجر أرزق اللون لم يطالها أحد برجله فقط وفي ناحيتها المواجهة للقبة انخفاض، كأن إنساناً سار عليها فبدت أثار قدمه فيها»<sup>(٦)</sup>.

اما وصفه ل «مسجد الصخرة» فذكر أنه مبني على حافة المدينة من الناحية الشرقية ويطل أحد حيطانه على وادي جهنم وارتفاعه (١٠٠) ذراع من الحجر الكبير الذي لا يفصله عن بعضه «ملاط» أو «جص». ثم وصف داخل المسجد بشكل يكشف عن إعجابه بالدقة التي رُوعيت في تنظيمه، فأرضه

مغطاة بحجارة موثقة إلى بعضها بالرصاص وفيه رواق عظيم جميل ارتفاعه ثلاثون ذراعاً. وعرضه عشرون، وله جنحان منقوشة واجهاته وايوانه بالفسيفساء، المثبتة بالجص، وهي من الدقة بحيث تهر النظر وله بابان مزخرفان؟؟ من النحاس الدمشقي، وقد طعما بالذهب وحلتا بالنقوش الكثيرة. وطول كل منها خمسة عشر ذراعاً. وعرضه ثمان (... إلخ...).

وهو وصف يدل على الدقة والحب لأنه يتبع أدق التفصيات التي تستغرق صفحات طويلة وطويلة.

أما في العصر الحديث فيمكن الحديث عن حضور القدس والقضية الفلسطينية منذ ما بعد الثورة الإسلامية التي فجرها آية الله الخميني (١٩٠٠-١٩٨٩ A.R.Khomeini) الذي شكل مر جعاً أعظم، وقاداً سياسياً ودينياً للشعب الإيراني، فقد تبه الإمام الخميني مبكراً إلى أخطار الصهيونية العالمية، فذكر في البيان الذي القاه في أيلول عام ١٩٦١.. الخطر المحدق بالعالم الإسلامي قال: «إنني بحكم مسؤوليتي الشرعية أعلن عن الخطر المحدق بشعب إيران والمسلمين في العالم. إن القرآن الكريم والإسلام معرضان للسقوط في قبضة الصهيونية التي ظهرت في صورة طائفة البهائية...»(٧).

وبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران. عملت الثورة على قطع العلاقات مع إسرائيل وإدانة سياستها التوسعية في البلاد العربية ودعمت النضال الفلسطيني لتحرير القدس من الاحتلال الإسرائيلي، وقامت بفتح سفارة لفلسطين في طهران، وكان مقرها هو المقر السابق للسفارة الإسرائيلية في العهد السابق «عهد الشاه» نكاية بالصهيونية وحباً بفلسطين والقدس، إضافة إلى تشكيل فرقة عسكرية باسم جيش القدس».

ويمكن اهتمام السياسيين والقادة في إيران، بكل ما يتلقى بالقضية الفلسطينية وقضايا القدس، ووقفهم إلى جانب الحق الفلسطيني، فلا تمر

مناسبة سانحة إلا ويدرك هؤلاء فلسطين والقدس والمسجد الأقصى.. ففي نداء الإمام السيد «علي الحسيني الخامنئي» إلى حجاج بيت الله الحرام في عام ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م يقول: (وفي قلب العالم الإسلامي وفي قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا تنزل سياط الإمبريالية العالمية وغضبها على أجساد ملايين المسلمين، وتحرق فلسطين والقدس، ولبنان بنيران قسوة الصهاينة..) (٨).

أو يقول متبايناً قضية فلسطين: «أمريكا لا يمكن أن تؤمل استعادة إيران إلى دائرة سلطتها، وأن تقضي على صحوة الإسلام في البلدان الإسلامية وأن تقدم فلسطين دونما معارضة للصهاينة العنصريين السفاكين...» (٩).

فهو يضع مصير الثورة الإسلامية والصحوة الإسلامية في البلدان الإسلامية، بموازاة عدم تقديم فلسطين للصهاينة العنصريين، مما يؤشر إلى مدى حضور قضية القدس وفلسطين لدى الإيرانيين سأعرض أسماء بعض الكتب مما اهتم بالقدس وفلسطين... منها:

كتاب (هادي خسروشاهي) (تاريخ بيت المقدس ومسألة فلسطين) نشر في قم ١٩٧٥م.

وكتاب (موحد خوئي) (المسجد الأقصى وبيت المقدس) نشر في قم ١٩٨٢م.  
كتاب السيد (محمد حسين الطباطبائي) (تفسير الميزان) الذي ذكر جملة كبيرة من الأحاديث التي تتناول بيت المقدس، ومدى قدسيتها.

كتاب منوجهر أميري «أيا سفر نامة ناصر خسرو تلخيص أز من مفصلتر؟».  
هل الرحلة تلخيص لنص أطول، في كتاب (يادنامه ناصر خسرو - مطبوعات جامعة مشهد ١٩٧٦) ولا بد من التعریج على رسالة دكتوراه تقدم بها السيد «جهاد فيض الإسلام» بإشراف الأخ الدكتور خليل موسى في جامعة دمشق بعنوان (القدس في الشعر العربي الحديث) نوقشت في ٢٩/٢/٢٠٠٧  
تحدّث فيها الباحث الإيراني الشاب بمعتهي الحب عن القدس تدفعه عاطفة

دينية ووطنية صادقة تجاه القدس وفلسطين ففي الإهداء يقول: «إلى الذين تضروا بدمائهم على أرض الإسراء والمراج، فلسطين...» وفي المقدمة يظهر عاطفته الصادقة بكلمات توضح من معن المحبة والتأثير... يقول: «ربما لا تجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميرأ حيّاً وهو لا يفكر بقضية القدس وفلسطين، ولا يهتم بهما. إذ أصبحت القدس وفلسطين في العقود الأخيرة. حديث الساعة وهاجس القلب...». (١٠)

ويضع في أهداف البحث ومسوّغاته: «المحاولة لتحريص ودفع الشعر إلى خدمة القدس الشريف...». (١١)

وهذا ما يثبت أن الإيرانيين، وعلى الأخص بعد الثورة الإسلامية ١٩٧٩ قد اهتموا للقدس ولقضية القدس... ولقضية فلسطين بعامة، ووقفوا إلى جانب الحق العربي، وإلى جانب أبناء القدس وفلسطين... ومما لا شك فيه أن لاهتمام الإيرانيين بالقدس وبفلسطين دوافع دينية صادقة، كما كانت الحال مع الإيرانيين القدماء من مثل، الغزالى، وفريد الدين العطار، وجلال الدين الرومي، وسعدى الشيرازي، وناصر خصرو... وسواءهم.

كما أن لهم دوافع سياسية ودينية، صادقة تجاه القدس وقضية فلسطين في المرحلة الراهنة، كما هي الحال مع الإمام الخميني الزعيم الروحي والسياسي والشاعر قائد الثورة، التي اتجهت بإيران بكليتها نحو فلسطين والحق الفلسطيني بعد أن كانت إيران في عهد الشاه إلى جانب إسرائيل، وضد الحق العربي والفلسطيني. وهذا ما رأينا مع الإمام الخامنئي الذي وضع القضية الفلسطينية بموازاة المحافظة على استمرارية الثورة الإيرانية بالتساوي. إضافة إلى الدارسين والمؤلفين المعاصرين، كما هي الحال مع الباحث جهاد فيض الإسلام وسواء... من مثل هادي خرسروشاهي - وموحد خوئي وغيرهم كثير. إن تبني الثورة الإسلامية لقضية فلسطين بعد نجاحها عام ١٩٧٩ لدليل

على مدى حضور القدس وفلسطين في قلوب الإيرانيين وعقولهم... ولعلني لا أكون مبالغًا إذا ما قلت بأن تحرير القدس وفلسطين سيكون لإيران والإيرانيين دورًّا فاعلًّا وأساسيًّا فيه.

الهوامش:

- (١) الحنبلي - مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مكتبة دندیس - عمان ١٩٩٩ج، ١، ص ٣٦٠.
- (\*) بكار، يوسف حسين: نحن وتراث فارس. منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية ٢٠٠٠م.
- (٢) بكار، يوسف حسين: المرجع السابق ص ١٠٣.
- (٣) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٤.
- (٤) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٧.
- (٥) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٧.
- (٦) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٩.
- (٧) بهلوان - سمر: العلاقات السورية الإيرانية منذ نهاية الحرب الثانية حتى قيام الثورة - مجلة جامعة دمشق مجلد (٢٢) العدد (٣ - ٤) ٢٠٠٦. ص ٣١٧ - ٣١٨.
- (٨) نص نداء الإمام علي الخامنئي إلى حجاج بيت الله الحرام ١٤٢٠هـ مجلة الثقافية الإسلامية. المستشارية الإسلامية.
- (٩) المصدر السابق: ص ١٣
- (١٠) فيض الإسلام، جهاد - القدس في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه في جامعة دمشق ٢٠٠٧، المقدمة، ص أ.
- (١١) المرجع السابق، ص ب.



## فهرس المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر والمراجع الدينية والمقدسة

١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس، دار الشرق، بيروت، ١٩٨١.
٣. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهوم لألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفة، ط٤، بيروت، ١٩٩٤.
٤. آية الله ناصر مكارم شيرازى، تفسير القرآن الكريم (تفسير الأمثل)، قم، ٢٠٠٣.
٥. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٩٧.

### ثانياً: المصادر والمراجع العامة

٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥.
٧. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٩٧١.
٨. ابن سينا، الشفاء، تحقيق أحمد نواد الأهوانى، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨.
٩. ابن عساكر، التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧. (تاريخ مدينة دمشق).
١٠. ابن فارس، مقاميس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية، ١٩٦٤.

١١. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.
١٢. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ت.
١٣. البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣.
١٤. المياحيظ، الحيوان، ج ٣، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦.
١٥. الجوهرى، الصبحان، ج ١، دار المحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤.
١٦. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج ٣، دار سعيدان، بيروت، د.ت.
١٧. عبد العزيز سعود البابطين، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرین، هيئة المعجم، ٢٠٠٢.
١٨. الفلقشندى، صبى الأعشى فى صناعة الإنشاء، ج ٤، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧.
١٩. المجلسى، بحار الأنوار، ج ١٢، مؤسسة الوفاء - دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٢٠. المنجد فى اللغة والإعلام، دار الشرق، بيروت، ٢٠٠٠.
٢١. محمد محمود، الموسوعة الأدبية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠١.
٢٢. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ١٩٩٦.
٢٣. الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة، دمشق، ١٩٨٤.
٢٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧.
٢٥. يعقوب أميل، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.

### ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصة

٢٦. ابن الجوزي، تذكرة الغواص، مؤسسة آل البيت عليهما السلام، بيروت، ١٩٨١.
٢٧. ابن رشيق، العمدة في محسن الشعر وأدابه وتقده، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.
٢٨. أبو أصبع صالح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩.
٢٩. أبو ناصر عدنان حسين، فلسطين في خطاب الإمام الخميني، مطبعة إخوان، دمشق، ٢٠٠٠.

٣٠. أبو نضال نزيه، *الشعر الفلسطيني المقاتل*، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤.
٣١. أدونيس، *زمن الشعر*، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
٣٢. أرسطو، *فن الشعر*، شرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
٣٣. أسعد علي، *صناعة الكتابة*، دار السؤال، ط٤، دمشق، ١٩٨١.
٣٤. أنيس إبراهيم، *موسيقى الشعر*، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٧٢.
٣٥. موسى باشا عمر، *الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك*، دمشق، ١٩٦٤.
٣٦. بركات جميل، *فلسطين والشعر*، دار الشروق، عمان، ١٩٨٩.
٣٧. توما أميل، *ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية*، دار ابن رشيد، ١٩٧٨.
٣٨. جيدة عبد المعجد، *الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر*، مؤسسة توقف، بيروت، ١٩٨٠.
٣٩. الجيوسي سلمى خضراء، *موسوعة الأدب الفلسطيني*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
٤٠. حاطوم نوم الدين، *نحو الوحدة العربية*، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩.
٤١. حاوي إيليا، *نزار قباني شاعر قضية والتزام*، ج٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.
٤٢. حتى فلبيب، *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢.
٤٣. حسان عبد الحكم، *النظرية الروماناتيكية*، دار المعارف، ١٩٧١.
٤٤. الدفاق عمر، *فنون الأدب المعاصر في سوريا*، دار الشرق، حلب، ١٩٧١.
٤٥. الدفاق عمر، *تاريخ الأدب الحديث في سوريا*، منشورات جامعة حلب، ط٢، ١٩٧٩.
٤٦. الدهان سامي، *الشعر العربي الحديث في الأقليم السوري*، جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٩٧.
٤٧. رمزي هياں، *ندوى طوقان شاعرة أم بركان*، دار الكرمل، عمان.
٤٨. الزيات أحمد حسن، *الرسالة*، ج٤، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣.

٤٩. سقيرق طلعت، الانفاضة في شعر الوطن المحتل، دار الجليل، دمشق، ١٩٩٩.
٥٠. سمارة منية، فلسطين في ذاكرة العالم، دار طبريا، الأردن، ١٩٨٨.
٥١. السوافيري كامل، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤.
٥٢. السوافيري كامل، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣.
٥٣. السيد أحمد عزت، انهيار أسطورة السلام، دار الفكر الفلسطيني، ط٢، دمشق، ٢٠٠٣.
٥٤. الشايب أحمد، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، القاهرة، د.ت.
٥٥. شراد شلتاغ عبود، تطور الشعر العربي الحديث، دار مجذاوي، عمان، ١٩٩٨.
٥٦. صبحي علي، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
٥٧. صبحي محبي الدين، الكون الشعري عند نزار قباني، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢.
٥٨. صدوق راضي، شعراء فلسطين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
٥٩. الصواف محمد توفيق، الانفاضة في أدب الوطن المحتل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢.
٦٠. ضيف شوقي، في النقد الأدبي الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
٦١. العارف عارف باشا، تكبة بيت المقدس والغردوس المفقود، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٢.
٦٢. عباس إحسان، عن الشعر، دار بيروت، ط٣، بيروت، ١٩٥٩.
٦٣. عبود حنا، التزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩.
٦٤. عساف ساسين، الصورة الشعرية، دار مارون عبود، ١٩٨٥.
٦٥. عساف ساسين، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٨٢.
٦٦. العسلى كامل جميل، القدس في التاريخ، مطبعة جامعة الأردن، عمان، ١٩٩٢.
٦٧. عصفور جابر، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣.

٦٨. عطاء الله موسى، نقاط على حروف السلام، مكتب الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٢.
٦٩. العلايلي عبد العلي، تهذيب المقدمة اللغوية، دار النعمان، لبنان، ١٩٦٨.
٧٠. عوض ريتا، بنية الشعر العجاهلي والصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.
٧١. عياد شكري معين، مدخل إلى علم الإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢.
٧٢. الفارابي محمد بن محمد، الموسيقى الكبير، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
٧٣. الفراء محمد علي عمر، السلام الخادع، دار مجدهاوي، عمان، ٢٠٠١.
٧٤. القباني نزار، مع الشعر، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٩٧.
٧٥. القط عبد القادر، الاتجاه الوجوداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨.
٧٦. المسيري عبد الوهاب، من الانفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٢.
٧٧. المصري حسين مجتبى، القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٢.
٧٨. مكى الطاهر أحمد، الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٧٢.
٧٩. الملائكة نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢.
٨٠. ميرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية، بيسان، بيروت، ٢٠٠٢.
٨١. نجم محمد يوسف، نزار قباني شاعر لكل الأجيال، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٨.
٨٢. وحيد علاء الدين، شعر اليقظة الإسلامية في بداية القرن العشرين، دار ستابل، ١٩٩٥.
٨٣. الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.

#### **رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعرية**

٨٤. ابن الساعاتي، الديوان، ج٢، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٩.
٨٥. أبو خالد خالد، وسام على صدر الميليشيا، دار الآداب، بيروت، ١٩٧١.

- ٨٦ أبو خالد خالد، شاهراً سلاسلِي أجيء، اتحاد الكتاب العرب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٧٤.
- ٨٧ أبو ريشة عمر، الديوان، ج ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
- ٨٨ أبو ريشة عمر، الديوان، ج ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
- ٨٩ أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي، المشرد، دمشق، ١٩٦٣.
- ٩٠ أسر حنا، أمة وجراح، دار ميسلون، بوينس آيرس، ١٩٨٠م.
- ٩١ أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي، شرح العكاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ٩٢ أبو العناية، ديوان أبي العناية، تحقيق شكري فيصل، جامعة دمشق، ١٩٦٥.
- ٩٣ أمرى القيس، ديوان أمرى القيس، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ٢٠٠١.
- ٩٤ البحيري حسن، حيفا في سواد العيون، مطابع العلم، دمشق، ١٩٧٣م.
- ٩٥ البحيري حسن، لفلفل فلسطين أغنى، دار الحياة، دمشق، ١٩٨٢.
- ٩٦ البحيري حسن، لعنبي بلادي، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩١.
- ٩٧ البرادعي خالد محبي الدين، مجلة الثقافة الإسلامية، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ٢٠٠٤.
- ٩٨ البستانى وديع، فلسطينيات، دار الشانز، بيروت، ١٩٨١.
- ٩٩ الجبل بدوى، ديوان بدوى الجبل، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٠٠ جمال الدين نجيب مصطفى، الكتابة على أعمدة الشمس، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٦.
- ١٠١ جمال الدين مصطفى، قصائد إلى عاصمة المدنة الشرقية، إدارة المساحة العسكرية، دمشق، ١٩٨٢.
- ١٠٢ الحاج عيسى محى الدين، من فلسطين وإليها، المطبعة السورية، حلب، ١٩٧٥.
- ١٠٣ الحامد بدر الدين، ديوان بدر الدين الحامد، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥.
- ١٠٤ حامد محمود، موت على ضفاف المطر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣.
- ١٠٥ حامد محمود، شهقة الأرجوان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
- ١٠٦ حامد محمود، بيسان، وزارة الثقافة العسكرية، دمشق، ٢٠٠٢.
- ١٠٧ حاوي خليل، ديوان خليل حاوي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
- ١٠٨ حجازي عذيران، القدس في القلب وفي الأسر، الدار البيضاء، المغرب، دون تاريخ.

١٠٩. الحصني عفيفة، شهيد التضحيات، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
١١٠. حلاق عبد الله يوركى، حصاد الذكريات، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٦٦.
١١١. حلاق عبد الله يوركى، أسديات، دمشق، ١٩٩٣.
١١٢. حلاق عبد الله يوركى، عصير الحرمان، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠.
١١٣. حمصي عبد الكرييم، الحان من البرصوك، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٢.
١١٤. الحصمي الخضر، الليل والطريق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
١١٥. الحوت محمود، المهزلة العربية، منشورات البصري، بغداد، ١٩٥١.
١١٦. الخطيب يوسف، العيون الظمى للنور، المطبعة العمومية، دمشق، ٢٠٠١.
١١٧. الخطيب يوسف، واحة الجحيم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٤.
١١٨. الخوري رشيد سليم، ديوان القروي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨.
١١٩. الخوري ناصر، ستابل، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩.
١٢٠. خيربك جابر، شوارد التقم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
١٢١. درويش محمود، ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ١٩٩٤.
١٢٢. دمر علي، الديوان، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٧.
١٢٣. رشيد كمال، شلوغ الغرباء، مؤسسة الجمعية العلمية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٨٣.
١٢٤. رشيد كمال، القدس في العيون، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠.
١٢٥. الرفاعي عبد المنعم، المسافر، الدار المتعددة للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
١٢٦. رشيد هارون هاشم، عودة الغرباء، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٦.
١٢٧. رشيد هارون هاشم، مفكرة عاشق (قصائد للقدس) المطابع الموحدة، ١٩٨٠.
١٢٨. رشيد هارون هاشم، ديوان هارون هاشم رشيد، دار العودة، بيروت، ١٩٨١.
١٢٩. رشيد هارون هاشم، ثورة الحجارة، دار العهد الجديد، تونس، ١٩٨٨.
١٣٠. رشيد هارون هاشم، طيور الجنة (قصائد للشهداء) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣١. رشيد هارون هاشم، وردة على جبين القدس، (قصائد للسجناء والمبعدين) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣٢. رشيد هارون هاشم، الصمود والحزن، تونس، ١٩٨٣.
١٣٣. رشيد هارون هاشم، قصائد فلسطينية، دار مجذلاوي، عمان، ٢٠٠٣.
١٣٤. الزركلى خير الدين، ديوان خير الدين الزركلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.

١٣٥. زياد توفيق، *الأعمال الشعرية الكاملة*، مطبعة الاتحاد، حيفا، ١٩٦٦، ودار العودة، ١٩٧١.
١٣٦. شمس الدين محمد حسين، *النازحة*، كلية الحقوق، ١٩٥٠.
١٣٧. طوقان فدوى، *الليل والفرسان*، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.
١٣٨. طوقان فدوى، *ديوان فدوى طوقان*، دار العودة، بيروت، ١٩٨٤.
١٣٩. طوقان فدوى، *الأعمال الكاملة*، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٣.
١٤٠. العبوشي برهان الدين، *جبل النار*، بغداد، ١٩٥٦.
١٤١. العبوشي برهان الدين، *إلى متى*، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٢.
١٤٢. العدناني محمد، *اللهيب*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٤.
١٤٣. العدناني محمد، *العدنانيات*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٠.
١٤٤. عرسان علي عقلة، *فلسطينيات*، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧١.
١٤٥. عرسان علي عقلة، *الأعمال الشعرية الكاملة*، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.
١٤٦. عكاوي محمد إبراهيم، *لبيك يا أقصى*، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.
١٤٧. علوش جميل، *صوت الشعر*، دار الينابيع، ١٩٩١.
١٤٨. العيسى سليمان، *فلسطينيات*، دار فلسطين، دمشق، ١٩٩٥.
١٤٩. العيسى سليمان، *الأعمال الشعرية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.
١٥٠. الكيلاني حسين زيد، *أطيااف وأغارييد*، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٠.
١٥١. القاسم سعيم، *الوطن المحتل*، دار فلسطين، دمشق، ١٩٦٧.
١٥٢. القاسم سعيم، *الأعمال الكاملة*، ج١، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.
١٥٣. قباني نزار، *الأعمال الكاملة*، منشورات نزار قباني، ط٥، بيروت، ١٩٩٣.
١٥٤. قنصل زكي، *الأعمال الكاملة*، جدة، ١٩٩٥.
١٥٥. قنصل إلياس، *الحان الغروب*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨.
١٥٦. محرز عبد اللطيف، *أناشيد الحق في رحاب علي عتبة*، دمشق، ١٩٩٤.
١٥٧. محرز عبد اللطيف، *شجرات الدماء*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
١٥٨. محرز عبد اللطيف، *حقائق وأوهام*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
١٥٩. مفلح محمود، *المرايا*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
١٦٠. مردم بك خليل، *الديوان*، المعجم العلمي العربي، دمشق، د.ت.

١٦١. محمود عبد الرحيم، ديوان محمود عبد الرحيم، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.
١٦٢. المناصرة عز الدين، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٤.
١٦٣. النابلي، عفيف، نفحات عاملية، قصائد للمقاومة والشهداء، دار الهادي، ٢٠٠١.
١٦٤. هارون هند، سارقة المعبد، دار الأنوار للطباعة، دمشق، ١٩٧٧.

#### **خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعية**

١٦٥. بكري عكوه، الثورة وقضاياها في الشعر العربي المعاصر في سوريا من (١٩٤٨ - ١٩٦٧)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. عمر الدقاد، جامعة حلب، ١٩٩١ (مخطوط).
١٦٦. عربة هيفا، الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، الإيجابية والرومانسية والمعاصرة، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. عصام قصبي، جامعة دمشق، ١٩٩٨.
١٦٧. الكيالي عبد الرحمن، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، رسالة دكتوراه، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٥ (مطبوع).

#### **سادساً: الكتب المترجمة**

١٦٨. أوستن وادري وصاحبها، نظرية الأدب، ترجمة محبي الدين الصبحي، دمشق، ١٩٧٢.
١٦٩. العсли، كامل جميل، القدس في التاريخ، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.
١٧٠. دي لويس، سيل، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون، بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٨٢.
١٧١. مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية، تعرّيف: محمد الخاقاني، بيروت، الدار الإسلامية ط ٢، ١٩٩٢.
١٧٢. مطهري، مرتضى، الشهيد يتحدث عن الشهيد، تعرّيف: محمد الخاقاني، بيروت، الدار الإسلامية، ٢٠٠٠.

### سابعاً: الكتب الأجنبية

#### أ) اللغة الفارسية

١٧٣. سليمان حيم، القاموس المعاصر، طهران، مؤسسة القاموس المعاصر، ٢٠٠١.  
١٧٤. السيد هادي خسر وشاهي، تاريخ بيت المقدس ومسألة فلسطين، نشر كتاب، قم، ١٩٧٥.

١٧٥. موحد الخوئي، المسجد الأقصى وبيت المقدس، قم، منشورات الكتاب، ١٩٨٢.

#### ب) اللغة الانجليزية

176. Cattan Henry, the Question of Jerusalem London, 1980.

177. Haim S. the Shorter English - Persian Dictionary, Tehran, 1993.

178. Grabar O. Encyclopaedia of islam, voluu5, Leiden 1979.

### ثامناً: الدوريات

١٧٩. جريدة تشرين، دمشق.

١٨٠. مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق.

١٨١. مجلة عالم الفكر، الكويت.

١٨٢. الرسالة، القاهرة.

١٨٣. مجلة الوسط، لندن.

١٨٤. المعرفة، دمشق.

اكتفيت بذكر أسماء الدوريات التي أخذت أو استفادت منها، أما الجزيئات فقد أشرت إليها في هوماش الصفحات.